

مقارنات

للدراسات اللسانية والنقدية والأدبية

مجلة دورية دولية محكمة، تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي أفلو - الأنواط

تحتون ضمن هذا العدد:

- الأنساق اللسانية النصية والأنساق الجمالية -مقاربة علائقية-د. حسن حماني /المغرب
- الأدوار الاجتماعية للمرأة خارج نطاق الأسرة في ضوء الخطاب القرآني. دة. زهور شتوح /الجزائر
- جينا لوجيا الجسد الأسطوري في الشعر الجاهلي. أ. ستار كاظم حمد وأ.د. عواد كاظم لفتة /العراق
- تطبيقات المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية كلغة أجنبية لدى طلاب كلية التربية ولاية كدونا نيجيريا. علي محمد الثاني ومحمد الثاني ابراهيم /نيجيريا



جوان

2020

العدد

السابع

مقرات



مجلة

مجلة دورية دولية علمية محكمة
تصدر عن معهد الآداب واللغات
بالمركز الجامعي بأفلو
التّرقيم الدّولي: ISSN2543-3857

المدير الشرفي للمجلة: الدكتور عبد الكريم طهاري . مدير المركز الجامعي .

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور: الوكال زارقة

رئيس التحرير: الدكتور: بن الدين بخولة

نائب رئيس التحرير: الدكتور: بوجمل حمزة

هيئة التحرير:

د. شادلي عمر

د. لخداري امحمد

د. بلعالم فضيلة

د. بن دبله جلول

د. محمد الحبيب منادي

أ. شمعي أمين

د. بومدين فؤاد

تصميم وتنسيق:

د. سيد أحمد محمد عبد الله

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة:

المستشار العلمي	الجامعة	البلد
أ.د رائد مصطفى عبد الرحيم	جامعة النجاح الوطنية – نابلس -	فلسطين
أ. د . محمّد أبو نبوت	جامعة القاهرة	مصر
د. عصام واصل	جامعة ذمار	اليمن
د. الجوهر مودر	جامعة مولود معمري تيزي وزو	الجزائر
د. خضراء ارشود قاسم الجعافرة	جامعة مؤتة	الأردن
أ.د بوفاتح عبد الحليم	جامعة عمارثليجي الأغواط	الجزائر
د. سليمان بوراس	جامعة محمّد بوضياف المسيلة	الجزائر
د. إحسان بن صادق بن محمد اللواتي	جامعة السلطان قابوس	عمان
أ.د. مهوب جعيرن	جامعة عمارثليجي الأغواط	الجزائر
د.ة . زهور شتوح	جامعة الحاج لخضر باتنة 1	الجزائر
أ.د محمد حدوارة	جامعة عبد الرحمن بن خلدون تيارت	الجزائر
أ.د محمد الأمين خويلد	جامعة زيان عاشور الجلفة	الجزائر
أ.د ناصر سطمبول	جامعة احمد بن بلة وهران 1	الجزائر
د. سليم حمدان	جامعة حمة لخضر الوادي	الجزائر
د. عبد السلام زرارقة	جامعة أحمد زبانة غليزان	الجزائر
د. رضا الأبيض	المعهد العالي للعلوم الإنسانية مدين	تونس
أ.د. فايز صبحي عبد السلام تركي	جامعة الملك فيصل	السعودية
أ. د مولاي علي سليمان	جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال	المغرب
أ. د سليمان عشراي	المركز الجامعي بالبيضا	الجزائر
أ.د عيسى برهمات	جامعة عمارثليجي الأغواط	الجزائر
د . العيد علاوي	المركز الجامعي بالبيضا	الجزائر
د. زين العابدين بن زياني	جامعة أكلي محند أولحاج البويرة	الجزائر
أ. د إبراهيم شعيب	جامعة عمارثليجي الأغواط	الجزائر
د. سيد أحمد محمد عبد الله	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	الجزائر
أ.د بوداود وذناني	جامعة عمارثليجي الأغواط	الجزائر
أ.د لخضر حشلافي	جامعة زيان عاشور الجلفة	الجزائر
د. المختار علّة	جامعة زيان عاشور الجلفة	الجزائر
أ.د عميش عبد القادر	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	الجزائر

تونس	المعهد العالي للغات جامعة قرطاج	د. محمد شندول
الجزائر	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	د. عراب أحمد
الجزائر	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	أ.د. حبيب بوزوادة
الجزائر	جامعة مولود معمري تيزي وزو	د. فتيحة حداد
الجزائر	جامعة عبد الرحمن بن خلدون تيارت	د. موفق عبد القادر
الجزائر	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	د. شهبان رضوان
الجزائر	جامعة الونشريسي تيسمسيلت	أ. د. قاسم قادة
الجزائر	جامعة عمار ثليجي الأغواط	د. عثمان بولرباح
الجزائر	جامعة باجي المختار عنابة	د. فاضل نعمان
الجزائر	المركز الجامعي بعين تموشنت	د. عز الدين حفار
الجزائر	المدرسة العليا للأساتذة - مستغانم-	د. زينب لوت
الجزائر	المركز الجامعي بركة- باتنة	د. لعويجي عمار
الجزائر	جامعة عبد الرحمن بن خلدون تيارت	أ.د. عمر حدوارة
الجزائر	جامعة محمد شريف مساعدي سوق اهراس	د. سليمة محفوظي
الجزائر	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	د. نصيرة شيادي
الجزائر	المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة	د. بوزيدي إسماعيل
الجزائر	المركز الجامعي بالبيض	د. طالبي عبد القادر
الجزائر	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	د. جلول دواحي عبد القادر
الجزائر	جامعة يحي فارس المدية	د. عائشة جمعي
الجزائر	المركز الجامعي بعين تموشنت	د. عيسى خثير
الجزائر	المركز الإسلامي للبحوث بالأغواط	د. محمد الفاروق عاجب
الجزائر	جامعة د/ مولاي الطاهر سعيدة	د. العربي دين
الجزائر	جامعة أكلي محند أولحاج البويرة	د. عيسى شاعة
الجزائر	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	د. باية غيبوب
الجزائر	المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط	د. بلقاسم بن قطاية
الجزائر	المركز الإسلامي للبحوث بالأغواط	د. مختار حسيني
الجزائر	جامعة أكلي محند أولحاج البويرة	د. فتيحة بوتمر
الجزائر	جامعة زيان عاشور الجلفة	د. بلقاسم بودنة
الجزائر	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	د. جفدم الحاج

قواعد وشروط النشر بالمجلة:

تُرحب مجلة "مقامات" للدراسات اللسانية والأدبية والتّقدية بجميع مشاركات الأساتذة والباحثين قصد نشر بحوثهم ودراساتهم وفق الشروط المحددة على النحو الآتي:

الشروط العلمية:

1. تنشر المجلة جميع البحوث والدراسات الأكاديمية اللسانية والأدبية والنقدية باللغات: العربية والفرنسية والإنجليزية.
2. يشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدماً للنشر في دورية أو مجلة أخرى.
3. التوثيق والحرص على الأمانة العلمية في النقول والاقتباسات.
4. تقبل الأعمال الفردية والثنائية، حيث تخضع المقالات قبل إجازتها .للتقييم والتحكيم من قبل خبراء مختصين، وقراراتهم غير قابلة للطعن أو الاعتراض.
5. الأعمال المقدّمة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
6. ما يرد من آراء وأحكام فيما ينشر في المجلة هي تعبير عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

الشروط التقنية:

1. حجم الصفحات وعددها: يترك 1.5 من جميع الجهات الأربعة. وينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة (على ورق A4)، ولا تقل عن 10 صفحات.
2. نوع الخط وحجمه في العربية : 16 sakkal majalla و 14 sakkal majalla لقائمة المصادر والمراجع، وفي اللغتين الفرنسية والإنجليزية هو : Times New Roman (14) للمتن وللهوامش. ويكون الفصل بين الأسطر ب: 01 سنتم. أمّا العناوين فيضاف إليها التثخين فقط (G)، وترقيمها، دون ترقيم التقديم وخاتمة المقال، وقائمة المصادر والمراجع، والهوامش.
3. تسجل المعلومات الكاملة (مؤسسة الانتماء، الولاية، البلد، الإيميل) للباحث باللغتين العربية والإنجليزية أسفل عنوان المقال.
4. الملخص يكون باللغة العربية بحجم 14 sakkal majalla والإنجليزية، Times New Roman (14) مرفقا بالكلمات المفاتيح، التي لا تتجاوز الخمسة.
5. الهوامش تكون في نهاية البحث بخط sakkal majalla حجم 12 بطريقة آلية وأرقامها بين قوسين مثال:(1).
6. خاتمة: خاتمة البحث ملخص لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.
7. يشترط في الأشكال والمخططات أن تكون بصيغة صورة وتوسط الصفحة.
8. كما يشترط في المخططات والأشكال المركبة أن تكون مجمعة (Grouper)
9. تكتب الآيات القرآنية بخط غليظ ومشكلة، وتوضع بين قوسين مزهرين ﴿﴾، دون استعمال أي برنامج، وتعقبا أسماء السور وأرقام الآيات في المتن بين معقوفين، مثل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة، 186].
10. تكتب الأبيات الشعرية وتشكّل، كما توضع الاقتباسات بين مزدوجين: "...." دون تثخينها.
11. تكتب الأسماء الأعجمية بالحرف اللاتيني زيادة على كتابتها بالحرف العربي.
12. يجب على المؤلف عند إعداد بحثه أن يلتزم بالمعايير المذكورة أعلاه والتي تعتبر عاملا مهما في القبول الأولي لبحثه.

للمراسلة والاتصال:

ترسل على البريد الإلكتروني: cua.makam@gmail.com

رئيس التحرير: د. بن الدين بخولة. معهد الآداب واللغات. المركز الجامعي بأفلو.

الهاتف: +213699113862

محتويات العدد:

الصفحة	جهة الانتماء	الباحث (ة)	الموضوع
07	أفلو / الجزائر	أ.د.الوكال زارقة	كلمة العدد
08	مراكش/المغرب	د.الحسن بواجلابن	أشكال الانزياح في ديوان الفروسية للشاعر أحمد المجاطي
17	الشلف/الجزائر	أ.عوادي صالحه	انزياحات التشكيل الاستعاري في القصيدة الثورية . إلياذة الجزائر. مقارنة أسلوبية
30	مكناس/ المغرب	د. حسن حماني	الأنساق اللسانية النصية والأنساق الجمالية -مقاربة علنقية-
47	تيارت/ الجزائر	د. فارز فاطمة	المصطلحات التأسيسية للسانيات السوسيرية -الثنائيات اللغوية أنموذجا-
57	الشلف/ الجزائر	د. حاج هي محمد	صناعة المعاجم في خدمة الدرس اللهجي- مقارنة وصفة تحليلية في معاجم اللهجات-
65	مراكش/ المغرب	د.ة. ناعيم مليكة	المعرب والدخيل في القصص القرآني -قراءة في الأبعاد الدلالية والقيم الحضارية
76	تلمسان/الجزائر	د.ة. فتيحة بلحاجي	فهرست المخطوطات النحوية في بعض خزائن المغرب وتونس.
90	باتنة/ الجزائر	د.ة. زهور شتوح	الأدوار الاجتماعية للمرأة خارج نطاق الأسرة في ضوء الخطاب القرآني.
103	تيارت/ الجزائر	د.ة. بوهنوش فاطمة	التصنيف التعليمي بين سلطة الشاهد الشعري وصناعة المثال.
120	ذي قار/ العراق	ستار كاظم حمد، أ.د. عواد كاظم لفتة	جينالوجيا الجسد الأسطوري في الشعر الجاهلي.
134	سكيكدة/ الجزائر	د. أحسن دواس	معالم القصة القصيرة في الجزائر- النشأة والتطور والمضامين -
143	كشنا/ نيجيريا	علي محمد الثاني محمد الثاني ابراهيم	تطبيقات المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية كلغة أجنبية لدى طلاب كلية التربية ولاية كدونا نيجيريا.
162	نابلس/فلسطين	د. رائد عبد مصطفى الرحيم	سيرة الشيخ محمد بن مالك اليماني ت نحو 470هـ من خلال كتابه كشف أسرار الباطنية -قراءة في المضمون وآليات الخطاب-
180	تلمسان/ الجزائر	د. علام محمّد	ممكّنات القيم التاريخية والاجتماعية والإنسانية في النصوص التعليمية اللغوية-كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط أنموذجا -
190	ميلة/الجزائر	أ.عبد العزيز نصراري	قراءة في الزمن: دلالاته وتقنياته، في رواية " امرأة بلا ملامح" لكمال بركاني.

كلمة العدد:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين

تشرق شمس " مقامات " في عددها السابع للسداسي الأول من عام 2020م على فضاء الدراسات العلمية الأدبية والنقدية واللسانية في حلّة جديدة من حيث الشكل والمضمون محافظة على نهجها الذي رسمته لنفسها منذ تأسيسها ، وهي تسعى من خلال فريقها بصدق وعزيمة إلى التموّج الجاد والهادف في جغرافية البحث العلمي الوطني والقومي والعالمي متحديّة كل الصعوبات التي تعترض طريقها نحو تحقيق أهدافها العلمية ، وقد أثبتت أعدادها السابقة هذا السعي الجاد من خلال الخط التصاعدي لتوسّعها الوطني والقومي والإسلامي ، ويؤكد العدد السابع هذا التواجد القومي لـ" مقامات" في ساحة البحث العلمي الأكاديمي العربي فقد احتفى بمقالات بحثية من المغرب والعراق شكلت ثلث مقالات العدد أما الثلثين الآخرين فكانا من نصيب الجامعات الوطنية (سكيكدة ، الشلف ، تيارت، تلمسان ، باتنة، ميله). وما يلاحظ على هذا العدد التنوّع في الموضوعات بين الدراسات اللسانية والدراسات الأدبية النقدية، فقد تناولت المقالات البحثية الأدبية والنقدية القصة القصيرة في الجزائر من حيث النشأة والتطور والمضامين، ودراسة الزمن في الرواية من خلال نموذج روائي عربي ، ودراسة لشخصية المرأة في الرواية السعودية النسوية المعاصرة ، ودراسة جينالوجيا الجسد الأسطوري في الشعر الجاهلي ، ، ودراستين نقديتين بلاغيتين الأولى تداولية لإحدى قصائد الشاعر الجزائري مفدي زكريا ، والثانية بلاغية للشاعر أحمد المجاطي .

أمّا المقالات اللسانية فقد تنوعت بين الدراسات اللسانية البحثية الوصفية في مجال فهرست المخطوطات النحوية وصناعة المعاجم وبين الدراسات اللسانية التحليلية التي تعرضت للأبعاد الدلالية للمعرب والدخيل في القصص القرآني، ودراسة للأنساق اللسانية والنصية والأنساق الجمالية.

فمن خلال هذا العرض الموجز لموضوعات العدد السابع نلاحظ التزام " مقامات" بخطها وأهدافها خدمة للبحث النقدي الأدبي اللساني لإثراء الخزانة البحثية الوطنية والعربية، وتزويد الباحث بمادة علمية مساعدة على إثراء دراساته وتوسيع آفاقه.

إنّ صدور العدد السابع يعود بعد توفيق الله إلى الجهد الصادق لفريق التحرير وعلى رأسه الدكتور بن الدين بخولة رئيس تحرير المجلة ونائبه الدكتور حمزة بوجمل. اللذان يسهران على استمرارية المجلة وتطويرها وتوسيع رقعتها الجغرافية.

نتمنى في الأخير أن يجد القارئ الباحث متعته وضالته في قراءة موضوعات العدد السابع لمجلة " مقامات" التي تلتزم بفتح أبوابها للأساتذة والطلبة الباحثين لعرض دراساتهم وبحوثهم.

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور الوكّال زارقة

جوان 2020م

أشكال الانزياح في ديوان الفروسية للشاعر أحمد المجاطي.

Forms of deviation in the poetry of the collection "Elffouroussia" of the poet Ahmed Elmejaati.

د. الحسن بواجلابن ، Hassan Bouijellaben

مختبر الترجمة وتكامل المعارف، جامعة القاضي عياض / مراكش.

Laboratoire de Traduction et Interdisciplinarité, Université Cadi Ayad / Marrakech

إيميل الباحث: elh_bouijelabn@yahoo.fr

المخلص:

تستهدف هذه الدراسة إعادة النظر في موضوع تحليل شعر أحمد المجاطي اعتمادا على أشكال الانزياح المسيطرة في قصائد ديوان الفروسية؛ لذا أثرت الإشكالية، وهي: جدوى دراسة أشكال الانزياح في تعرف أسس الشعاعية عند الشاعر أحمد المجاطي. فاستخلصت أن لكل شكل من أشكال الانزياح ما يبرر سيطرته وحضوره تداوليا في كل قصيدة على حدة؛ بحيث إن قصيدة القدس قد عرفت هيمنة سلسلة الاستعارات المكنية لأجل تشخيص الشاعر المجاطي الانكسارات العربية. أما قصيدة السقوط، فقد غلبت عليها شعرية الاستعارات المكنية والنوعت المنافرة كي يُشخص الشاعر أحمد المجاطي معاناة الهزيمة العربية. وبالنسبة لقصيدة سبته، فقد سيطر الترصيع الصرفي المسجوع على أشكال الانزياح، فاستحال الترصيع الصرفي المسجوع تطريزا منح القصيدة جمالية صوتية.

الكلمات المفتاحية: أشكال. الانزياح، ديوان، الفروسية، المجاطي.

Abstract:

This paper aims at proofreading the poetry of the poet Ahmed Elmejaati from the dominant figures forms of deviation in the poetry of the collection "Elffouroussia"; this is why I presented

the problematic: to what extent the study of the facets of poetic deviation will enable me to discover the foundations of poetricity in the poet Ahmed Elmejaati . I deduced that each dominant figure of deviation has its pragmatic justification in each poem; in the poem of "Elkodess" an series personifying

metaphors that prove Arab disappointment dominates, in the poem of "Essoukout" poem reigns the poetics of personifying metaphors and sassy epithets so that the poet Ahmed Elmejaati

personifies the sufferings of the Arab defeats, and in the poem of " Ceuta " assonance dominates, which gave birth to prosody and its phonic aesthetics.

Keywords: figures; deviation; collection ; Elfouroussia; Elmejaati.

تقديم:

يُعدّ الشاعر أحمد المجاطي من الشعراء الأفيذاذ الذين أرسوا ركح القصيدة الحديثة بالمغرب، قدّم للمشهد الشعري العربي الحديث رافدا شعريا مهما، وخلف ديوان الفروسية الذي فاز بجائزة ابن زيدون للشعر التي منحها المعهد الإسباني العربي للثقافة بمديره لأحسن ديوان بالعربية والإسبانية لعام 1985م. كما فاز بجائزة الكتاب المغربي، كما أن للشاعر أحمد المجاطي كتاب نقدي¹ تحت عنوان "أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث"، بالإضافة إلى كتابة العديد من الدراسات النقدية في المجالات العربية والمحلية.

تستهدف هذه الدراسة إعادة النظر في موضوع تحليل شعر أحمد المجاطي اعتمادا على أشكال الانزياح في قصائد ديوان الفروسية: القدس، والسقوط، وسبته؛ لذا أثرت الإشكالية، وهي: جدوى أشكال الانزياح في تعرف أسس شاعرية الشاعر أحمد المجاطي. لقد تأسست شاعرية أحمد المجاطي على دعامتين فنيتين، هما: الانزياح، والتناس، وتُشكّل كل دعامة مدخلا مهما لقراءة شعر أحمد المجاطي. وسأكتفي بأشكال الانزياح، وهو ما سأبينه من خلال قصائد: القدس، والسقوط، وسبته.

1- أشكال الانزياح:

لوصف لغة الشعر في اشتغالها الخاص، لابد من توظيف مفهوم الانزياح². ويفترض الحديث عنه وجود أصل يُنزاح عنه هو المعيار. ونُلفي في ديوان الفروسية لأحمد المجاطي الانزياحات: الصوتية، والدلالية.

1-1. الانزياح الصوتي:

يشمل الانزياح الصوتي: الترصيع، والتصدير.

1-1-1. الترصيع:

- يحضر الترصيع الصرفي المسجوع³؛ حيث تتجانس الصوائت وتتوازن نوعا وسجعا.

ومن تجلياته، قول الشاعر أحمد المجاطي من قصيدة (السقوط):

"أحيل شبحي

مرايا

أرقص في مملكة العرايا"⁴

بين كلمتي: "مرايا" و"عرايا" ترصيع صرفي مسجوع. والكتابة الترصيعية للكلمتين توضح بجلاء مدى تجانسهما:

م	ر	ا	ي	ا
---	---	---	---	---

ع	ر	ا	ي	ا
---	---	---	---	---

يتضح من هذه الكتابة الترصيعية أن بين الكلمتين ترصيع صرفي مسجوع؛ حيث توازنت الصوائت القصيرة والطويلة للكلمتين، مما أتاح تجانسا صوتيا.

ومن الترصيع الصرفي المسجوع أيضا، قول الشاعر أحمد المجاطي من (سبتة):

" وأترك للريح والضيف صيفي

ومجدول سيفي"⁵.

والكتابة الترصيعية الآتية تبين مدى تجانس كلمتي " صيفي " و " سيفي ":

ص	ي	ف	ي
س	ي	ف	ي

توشك الكلمتان أن تستحيلتا إلى كلمة واحدة نظرا لشدة تجانسهما الصوتي.

ومن الترصيع الصرفي المسجوع، قول الشاعر أحمد المجاطي من (سبتة):

" أنتِ قرارة كأسِي

وقبضة فآسي "⁶.

توضح الكتابة الترصيعية الآتية مدى تجانس الكلمتين:

ك	أ	س	ي
ف	أ	س	ي

ومما ورد فيه الترصيع الصرفي المسجوع قول الشاعر أحمد المجاطي من (سبتة):

" وتمتد لثغتك القرطبية

بيني وبين القبور"

وبيني وبين العبور"⁷.

اجتمع التكرار " بيني وبين"، والترصيع الصرفي المسجوع بين كلمتي: " القبور" و " العبور"، فانضاف التجانس الصوتي الذي أتاحه التكرار إلى التجانس الصوتي الذي حوَّله الترصيع، مما كثَّف ذلك التجانس.

والكتابة الترصيعية الآتية تبين مدى التجانس الصوتي الذي تتمتع به الكلمتان:

ل	ق	ب	و	ر
ل	ع	ب	و	ر

ومن الترصيع الصرفي المسجوع، قول الشاعر أحمد

المجاطي من (سبته):

" أنا التهرأسرُجُ همسَ الثواني

وأركب نسعَ الأغاني " .⁸

والكتابة الترصيعية الآتية توضح كثافة محسن الترصيع الصرفي المسجوع بين " همسَ " و " نسعَ " وبين:

الثواني " و " الأغاني":

هـ	م	س	ث	ث	و	ا	ن	ي
ن	س	ع	ل	أ	غ	ا	ن	ي

تنفرد قصيدة سبته بخاصية كثرة الترصيع الصرفي المسجوع؛ حيث ألاحظ بصريا أن الكلمات المرصعة قد تجاوزت السطر الشعري، وطَفِقَتْ تنظم فضاء القصيدة، لذا فالترصيع يسمو ويرتقي فنيا إلى درجة أسى فيصير تطريزا.⁹

2-1-1. التصدير :

اتّسمت قصيدة (سبته) بسلطة محسن بلاغي هو التصدير¹⁰، ومن تجليات حضوره في القصيدة، قول الشاعر

أحمد المجاطي:

" آتي على صهوة الغيم

آتي على صهوة الضيم

آتي على كلِّ نفع يُثار " .¹¹

ينحصر التصدير في قول الشاعر: " آتي على "، وهو تصدير افتتاحي لوقوعه في بداية الأسطر الشعرية. ودلالته تأكيد مجيء الشاعر إلى مدينة سبته. ومنح التصدير القصيدة تجانسا صوتيا، انضاف إليه التجانس الصوتي الذي أتاحه الترصيع الصرفي المسجوع بين " الغيم " و " الضيم "، مما كثف المتجانسات. وبالإضافة إلى نسق الانزياح الصوتي، نجد نسق الانزياح الدلالي، قوامه الاستعارة المكنية؛ إذ جعل الشاعر لكل من الغيم والضيم صهوة.

ومن التصدير، قول الشاعر من القصيدة نفسها:

"أصحو على مذبح النهر

أصحو على مصرع الكبرياء"¹²

يتجلى التصدير الافتتاحي في قول الشاعر: "أصحو على" لتأكيد استمرارية انهماجه. وجدل الشاعر مرة أخرى محسن التصدير ومحسن الترصيع الصرفي: "مذبح" و"مصرع"، مما كثف الانزياح الصوتي.

اتّسمت قصيدة سبته باجتماع نسقي التصدير والترصيع الصرفي، الشيء الذي وفر للقصيدة تجانسا صوتيا، وموسيقى داخلية.

لقد عمل الترصيع الصرفي المسجوع والتصدير على إشاعة التجانس الصوتي، ووضعها في مكان واحد. وإلى هذه الخاصية أشار جان كوهن لما قال بأن النثر يجنب نفسه التقريب بين المتجانسات في خطابه، ويبحث الشعر عنها، ويعمل على تقريبها.¹³ وأتاح النّسق انزياحا بالتجانس الصوتي.

2-1. الانزياح الدلالي:

تحقق الانزياح الدلالي بالاستعارة، والنعته المنافر.

1-2-1. الاستعارة:

وتتحقق الاستعارة عبر "زمنين متعاقبين، ومتكاملين:

• أولا- حالة الانزياح: المنافرة.

• ثانيا- نفي الانزياح: الاستعارة".¹⁴

ومن الاستعارات قول الشاعر أحمد المجاطي من قصيدة (القدس):

"رَأَيْتُكَ تَدْفَنِينَ الرِّيحَ

تحت عرائش العتمة

وتلتحفين صمتك

خلف أعمدة الشبابيك

تصبين القبور

وتشربين".¹⁵

يتخلل الصورة الشعرية: " تَدْفَنِينَ الرِّيحَ تحت عرائشِ العَتَمَةِ " زمان

- أولاً: زمن المنافرة الدلالية: حيث شبه الشاعر أحمد المجاطي القدس بإنسان يقوم بالدفن.
 - ثانياً: زمن الملاءمة الدلالية: استعار الدفن للقدس للتعبير عن تراجع المقاومة لاسترجاع القدس، فتحققت الاستعارة المكنية: أي: الانزياح الدلالي. والريح رمز للتغيير والمقاومة.
- والصور الشعرية: " وتَلْتَجِفِينَ صمْتِكِ خلف أعمدةِ الشَّبَابِيكِ "، و " تَصْبِيْنَ القُبُورَ "، و " وتَشْرِيْنَ " استعارات مكنية. وظف الشاعر أحمد المجاطي الرمز الطبيعي (الريح)، وسلسلة من الاستعارات المكنية، مما كثّف الانزياح الدلالي. ومن الاستعارات قول الشاعر أحمد المجاطي من قصيدة (السقوط):

" تلبسني شوارع المدينة
أسكن في قرارة الكأس

(..)

يَرْفُضُ أَنْ يَغْسِلَنِي الفَجْرُ
وَأَنْ تَشْرِبَنِي الغَمَامَةُ

أَبْقَى وَرَاءَ السَّيْفِ

والغَمَامَةُ

مُلِقَى عَلَى ظَهْرِ التُّرَى

مُلِقَى بِلا قَبْرِ

ولا قِيَامَهُ " .¹⁶

تتخلل الصورة الشعرية " تلبسني شوارع المدينة " فترتان:

- أولاً: زمن المنافرة الدلالية: أسند الشاعر المجاطي إلى الشوارع خاصية يتفرد بها الإنسان، فهي ترتدي شاعرنا؛ لذا فهي كالإنسان، مما يجعل هذه الصورة الشعرية تشبيهاً، ونعلم أن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه.

ثانياً: زمن الملاءمة الدلالية: استعارة الارتداء للشوارع؛ أي: زمن تحقق الاستعارة المكنية.

ويرافق هذه الصورة الشعرية رمزان طبيعيان، وكناية.

وأما الرمز، فهما: الفجر الذي يعبر عن ميلاد الحرية، والغَمَامَةُ التي تدل على التطهير.

أما الكناية، فتتجلى في قول الشاعر أحمد المجاطي:

" أَبْقَى وَرَاءَ السَّيْفِ

والغَمَامَةُ

مُلَقَى عَلَى ظَهْرِ النَّزَى
مُلَقَى بِبَلَا قَبْرِ
وَلَا قِيَامَهُ "

وهي كناية عن السقوط والهزيمة، والانسحاب من مواجهة العدو، دونما انخراط حقيقي في الصراع. فجمع الشاعر المجاطي بين الاستعارة المكنية، والرموز، والكناية، الشيء الذي أدى إلى تكثيف الانزياح الدلالي.

1-2-2. النعت المُنافِر:

النعت المُنافِر هو صورة لا تنجز الوظيفة الطبيعية: التحديد؛ بحيث إن " النعت يلعب عادة دور التحديد بطبيعته، وكل نعت لا ينجز هذا الدور يعتبر انزياحا أو صورة ".¹⁷

وتضمّن شعر الشاعر المجاطي عدة صور للنعت المُنافِر، من ذلك قوله من (القدس):

" تحز خناجر الثعبان

ضوء عيونك

الأشيب ".¹⁸

الثعبان رمز للعدو الصهيوني. وينحصر النعت المُنافِر في قوله: " ضوء عيونك الأشيب "، فنعتُ الضوء بالأشيب، لا يقدم تحديدا للضوء، وإنما حقق غرابة بالمنافرة الدلالية التي عبرت عن انعدام بريق عيون القدس، وفي ذلك انزياح دلالي.

ومن صور النعت المُنافِر، قول الشاعر المجاطي من (سبتة):

" وآتيك،

أمنح عينيك لَوْنَ سهادي

وحزنَ سهيل جوادي".¹⁹

يتجلى النعت المُنافِر في قول الشاعر المجاطي: "أمنح عينيك لَوْنَ سهادي"؛ إذ أسند الشاعر اللون إلى الأرق، وهو غير ملون. وهذه الصورة من نعوت الألوان التي تؤدي إلى الانزياح الدلالي ما دامت تنتهي إلى "الألوان المسندة إلى أشياء غير ملونة بطبيعتها".²⁰

ومن صور النعت المُنافِر، قول الشاعر المجاطي من (السقوط):

" في اللَّحْظَةِ الأَخِيرَةِ

إِذَا تَلَأَسَى اللَّيْلُ
فِي سَعَلْتِهِ الضَّرِيرَةَ
يَرْفُضُ أَنْ يَغْسِلَنِي الْفَجْرُ " 21.

وينحصر النعت المُنَافِر في قول الشاعر: " سَعَلْتِهِ الضَّرِيرَةَ "؛ حيث أسند الشاعر النعت " الضَّرِيرَةَ " إلى سعلة الليل. وهل يمتلك الليل سعلة؟! وهو نعت لا يتغيى التحديد، وإنما أراد الشاعر أحمد المجاطي التعبير عن معاناته النفسية من جزاء وطأة معاناة استشعار الهزائم العربية والانكسارات، وهي معاناة بلغت ذروتها في الهزيع الأخير من الليل.

جَدَلَ الشاعر المجاطي التصدير والترصيع الصرفي المسجوع، مما كثف التجانس الصوتي المميز لبنية الشعر. ووظف كل أشكال الانزياح الدلالي من الاستعارات المكنية، والرموز الطبيعية:

(الريح، والفجر، والغمامة)، والكناية، والنعت المُنَافِر، وصورة نعت الألوان، الشيء الذي أدى إلى تكثيف الانزياح الدلالي وتنويع أشكاله.

خاتمة:

واتضح من خلال دراسة أشكال الانزياح ورصدها في قصائد ديوان الفروسية: القدس، والسقوط، وسبته أن لكل شكل من أشكال الانزياح ما يبرر سيطرته وحضوره تداوليا في كل قصيدة على حدة؛ بحيث إن قصيدة القدس قد عرفت هيمنة سلسلة الاستعارات المكنية لأجل تشخيص الشاعر المجاطي الانكسارات العربية التي ولدت في نفسه حمية الثأر من العدو، وإشعال فتيل الثورة ضده.

أما قصيدة السقوط، فقد غلبت عليها شعرية الاستعارات المكنية والنعوت المُنَافِرَة كي يُشخص الشاعر أحمد المجاطي معاناة الهزيمة العربية، ويعبر عن غرابة أطوار المتلقي الذي مُني بتلك الهزائم.

وبالنسبة لقصيدة سبته، فقد حضر المحسن البلاغي: الترصيع الصرفي المسجوع تارة إلى جانب الاستعارة المكنية، وتارة أخرى بجانب التصدير، مما خوّل للترصيع الصرفي السيطرة على أشكال الانزياح الواردة في قصيدة سبته، فاستحال الترصيع الصرفي المسجوع تطريزا منح القصيدة جمالية صوتية، فغدت قصيدة سبته مرتعا لشعرية التطريز الذي يجول في حناياها، لينظم فضاء القصيدة.

• المصادر والمراجع:

1. ديوان الفروسية. أحمد المجاطي. شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط، 03، 2011.
2. العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني. تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط، 04، 1972.
3. كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1986.

4. بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986.

• الهوامش:

- 1- أحمد المجاطي (1936-1995) كتابه النقدي " أزمة الحدائث في الشعر العربي الحديث هو في أصله أطروحة دكتوراه الدولة في الآداب، صدرت طبعته الأولى عن دار الأفاق الجديدة. المغرب. 1993.
- 2- ينتهي مفهوم الانزياح إلى البلاغة وإلى الشعرية، واهتمت البلاغة العربية بدراسة مختلف أوجه المفهوم. واعتنى به منظرو البلاغة الغربية، فقد عرفه جان كوهن بقوله: " الانزياح في الشعر خطأ مُتعمد يُستهدف من ورائه الوقوف على تصحيحه الخاص " بنية اللغة الشعرية، ص: 194. ترجمة محمد الولي ومحمد العمري.
- 3- عرفه ابن رشيق قائلا: " إذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع، فذلك هو التصحيح عند قدامة "، العمدة: جزء 2، ص: 26.
- 4- أحمد المجاطي: الفروسية، ص: 53.
- 5- الفروسية، ص: 59.
- 6- الفروسية، ص: 60.
- 7- الفروسية، ص: 61.
- 8- الفروسية، ص: 59.
- 9- عرّف أبو هلال العسكري (ت: 395 هـ) التّطريز قائلا: " وهو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطرز في الثوب " كتاب الصنائع، ص: 480.
- 10- عرفه ابن رشيق بقوله: " وهو أن يَرُدُّ أعجاز الكلام على صدوره، فيبدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده: جزء 2، ص: 3.
- 11- الفروسية، ص: 59.
- 12- الفروسية، ص: 63.
- 13- يُنظر جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، ص: 84.
- 14- جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، ص: 110.
- 15- الفروسية، ص: 47.
- 16- الفروسية، ص: من 53 إلى 55.
- 17- بنية اللغة الشعرية: 138.
- 18- الفروسية، ص: 47.
- 19- الفروسية، ص: 59.
- 20- بنية اللغة الشعرية، ص: 126.
- 21- الفروسية، ص: 55.

انزياحات التشكيل الاستعاري في القصيدة الثورية .إلياذة الجزائر .مقاربة أسلوبية.
*The metaphors of the metaphoric formation in the revolutionary poem - The Iliad of
Algeria - a stylistic approach*

أ. عوادي صالحه

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف مخبر اللغة الوظيفية

Hassiba Ben Bouali University, Chlef, functional language laboratory

ايميل الباحث: aouadisaliha04@gmail.com

ملخص:

لطالما كانت الثورة مجالا خصبا للمثاقفة والإبداع والعلمية، مما جعل الأدباء يجعلونها بؤرة للكتابة الشعرية سواء لتحدي الاستعمار أو للتغني ببطولات الثوار، فأصبحت الثورة بوصفها هاجسا يحرك قريحة الشعراء ليولد إبداعا شعريا تتميز بصور استعارية وانزياحية تتشكل عبر المتخيل الذهني للشاعر لتصبح منطلقا تخيليا وتأويليا يحتمل العديد من القراءات، فكان مفدي زكريا من الأعلام الفذة التي عملت من أجل نقل صوت الثورة و التغني بها ، فكان له معجم خاص به، يحمل دلالات ذات أبعاد نفسية، تعكس نمط النص الثوري ، فقصيدته "إلياذة الجزائر" التي تحمل موضوعا ملحميا يروي نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار الغاشم.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التي تروم إلى الكشف عن المستوى الدلالي من خلال الانزياحات القائمة على علاقة المشابهة، خاصة الاستعارية التي كانت الأكثر رواجاً بسبب ما يفرضه النص الثوري من معانٍ.

كلمات مفتاحية: القصيدة الثورية، الانزياح، الاستعارة، إلياذة الجزائر.

Abstract:

The revolution has always been a fertile field for culture, creativity, and universality, which made writers make it a focus of poetic writing, either to challenge colonialism or to sing the heroism of revolutionaries, so the revolution became an obsession that motivates the poet's ideology to generate poetic creativity characterized by metaphors and displacement forms that form through the imaginative imagination of the poet to become an imaginative and holistic approach to many The recitations, Moufdi Zakaria was one of the fancy pens that worked to convey and enrich the voice of the revolution, and he had a dictionary of his own, bearing connotations of psychological dimensions, reflecting the style of the revolutionary text, so his poem "The Iliad of Algeria" which carries an epic theme that narrates the struggle To the Algerian people against the brutal Alastdmar

We will try through this research paper that aims to reveal the semantic level through shifts based on similar relationship, especially the metaphors that were most popular due to the meanings imposed by the revolutionary text.

Keywords: Revolutionary poem, displacement, metaphor, Iliadza, Algeria.

تقديم:

غدت الأسلوبية منهجا يقوم على مقارنة النصوص الإبداعية، ودراستها من خلال المستوى الفني والإبداعي وهذا انطلاقا من الشكل اللغوي «فتهم الأسلوبية بدراسة الخطاب الأدبي، وتبحث في كيفية تشكيله حتى يصير خطابا له خصوصيته الأدبية والجمالية، فالخطاب الأدبي مفارق لمألوف القول، ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيته، ويحقق خصوصيته».

¹ فمن بين الظواهر التي تسعى الأسلوبية لدراستها وكشف أثرها في النصوص الانزياح.

1. ظاهرة الانزياح بين التراث العربي والمفهوم الغربي:

للظواهر الأسلوبية أثر في البلاغة العربية فيذهب بعض النقاد إلى أن الجاحظ قد أشار في (البيان والتبيين) إلى مستويين في اللغة: المستوى العادي في الاستعمال والمستوى الفني في الاستعمال الخاص ويقترن الأول بالطريقة العامة، وغرضه إفهام الحاجة، أما المستوى الثاني فغرضه البيان البليغ ويتميز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللفظ وينفرد بالتجويد والتماس الألفاظ وتخيرها.²

ويذهب ابن جني إلى أن الانزياح الذي يكون من خلال المعنى "وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة هي الاتساع والتوكيد والتشبيه فإن عدم تلك الأوصاف كانت الحقيقة البتة".³

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن الانزياح أو هو "صرف من المجاز، على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المغلق، والكاتب البليغ والإحسان والاتساع في طرق البيان".⁴

أما في الدراسات الغربية فإن "جون كوهين أول من خص هذا المصطلح بحديث مستفيض عن لغة الشعر فهو يعني به ظاهرة فردية خاصة بأحد الكتاب أو بأحد المبدعين".⁵

أما الانزياح عند ريفاتير «يكون خرقا للقواعد حيناً ولجوء إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر، فأما في حالته الأولى فهو من المشمولات فيقتضي إذن تقييماً بالاعتماد على أحكام معيارية، وأما في صورته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات العامة والأسلوبية الخاصة".⁶

وهناك من يرى أن الانزياح يعني خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياسيا في الاستعمال رؤية ولغة وصياغة وتركيبا.⁷

ينقسم الانزياح إلى الانزياح الاستبدالي، والانزياح التركيبي.⁸

2- الانزياح الاستبدالي:

يرى صلاح فضل أن "الانحراف الاستبدالي يخرج عن قواعد الاختيار للرموز اللغوية كمثل وضع الفرد مكان الجمع أو الصفة مكان الاسم أو اللفظ الغريب مكان المألوف"⁹.

ويذهب محمد ويس إلى أن الاستعارة تمثل عماد هذا النوع من الانزياح.¹⁰

ويضيف صلاح فضل أن الانزياح الاستبدالي هو مجال التغيرات المجازية التصويرية من تشبيه واستعارة وغيرها.¹¹

يشير صلاح فضل أن مشكلة المجاز في الدراسات الأسلوبية تتلخص في أنها انحراف عن الاستخدام العادي للغة، سواء كان ذلك عن طريق استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، وإسنادها إلى ما لا ينبغي أن تسند إليه في النظام المألوف للغة.¹²

ويعني أيضا الانزياح الاستبدالي "الانتقال من العمق الأساسي أو المعجمي للفظة إلى المعنى السياقي الذي تأخذه الكلمة حينما توضع في سياق معين يحدده معنى الجملة بأكملها، حيث تنزاح الدوال عن مدلولها فتختفي نتيجة ذلك الدلالات المألوفة للألفاظ، لتحل محل محلها دلالات جديدة غير مقصودة يسعى إليها المتكلم".¹³

3. الاستعارة ودورها في تشكيل الانزياح:

تعد الاستعارة إحدى مقومات الانزياح فيعرفها الجرجاني بقوله: «واعلم الاستعارة في الجملة أن يكزن لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمل الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه غير لازم فيكون هناك كالعارية.¹⁴

الملاحظ أن عبد القاهر الجرجاني يشترط في تحقق الاستعارة، أن يكون الأصل اللغوي للفظ معروف يستدل عليه من خلال الشواهد، فيستعمله القائل في غير الموضع الذي وضع له.

وقد قسم الجرجاني الاستعارة إلى قسمين الاستعارة الغير المفيدة ويرى انه نوع " قصير الباع، قليل الاتساع حيث يكون اختصاص الاسم فيه بما وضع له طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة، مع مراعاة دقائق الفروق في المعاني المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان.¹⁵

فحسب رأي الجرجاني فإن الاستعارة غير المفيدة يكون لها تأثير قياسي لها تأثير محدود في المتلقي.

أما الاستعارة المفيدة فهي استعارة متسمة بالجد كونها تعمل على بيان الفكرة، وتوضيحها بعمق واتساع لأنها تبرز المدلول في صورة مستجدة تزيده قدرا ونبلا حتى نرى بها اللفظ المفردة قد تكررت في مواضع، ولها في كل موضع معنى متفرد، وهي تعطي الكثير من المعاني بإيجاز في اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدد من الدرر وتحبي من الغصن الواحد أنواع من الثمر.¹⁶

أما الخطيب القزويني فيعرف الاستعارة بقوله: «هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له، وقد نعيد بالحقيقة، لتحقق معناها حساً وعقلاً»¹⁷.

ويضيف أن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة المبالغة في التشبيه.¹⁸

يمكن القول أن الاستعارة حسب ما ذهب إليه القزويني تكمن في علاقة مشابهة القائمة بين المعنى الأصلي والمعنى الذي وضع له، والعمل على تحقيق معناه حساً وعقلاً، ويرى القزويني أن الاستعارة السبيل منها المبالغة .

وتنقسم الاستعارة إلى قسمين:¹⁹

الاستعارة التصريحية: هي ما يصحح فيها لفظ المشبه به.

الاستعارة المكنية: هي التي لم يذكر فيها المشبه به وإنما المكنية عنه يذكر احد لوازمه.

إضافة إلى الرمز الذي كان له حضور في الشعر، فتميز اللغة الانزياح بتوظيف الرمز "وهو إحدى الوسائل التي يستخدمها الأديب أو الشاعر لتحقيق غايته جمالية معينة، كما يعبر الرمز على الأغراض النفسية للشاعر وهو وثيقة الصلة بالدلالة، فهو يتسم بالغموض الذي يعطي بدوره دوراً جمالياً يؤثر في القارئ ويشكل الرمز في الأعمال الشعرية معلماً يدل على القدرة التعبيرية التي يرمي من خلالها الشاعر إلى جعل القارئ يتجاوب مع النص دلالاته من ثم يحقق المبدع غايته التواصلية التأثيرية، والرمز الأدبي هو تركيب لفظي يستلزم مستويين مستوى الصورة الحسية التي تأخذ قالباً للرمز ومستوى الحالات المعنوية التي يرمز إليها بهذه الصورة الحية"²⁰.

4. تيمة الوطن والثورة في الشعر:

أخذت تيمة الوطن في الثقافة العربية القديمة حيزاً كبيراً من الاهتمام حيث "ألفت في شأنها كتب عديدة مثل الحنين إلى الأوطان لكل من أبي حيان التوحيدي وموسى بن عيسى الكسراوي والشوق إلى الأوطان لأبي حاتم السجستاني، ولقد كان للوطن حضور مكثف في الشعر الجزائري القديم والحديث فكثرت البكائيات على ضياعه منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر"²¹.

فقد سجلت المقاومة الجزائرية الخالدة "حضوراً واسعاً في الشعر العربي لدى جيل كامل من الشعراء العرب بين الخمسينات والستينات من القرن الماضي، في الحقبة التي عاشت فيها الأمة العربية تحولات عميقة، سعى الشاعر العربي بتطلعاته الجديدة إلى تسخير شعر المقاومة لخدمة الأهداف الوطنية والقومية التي تجسدت كمشروع فكري وثقافي يسعى إلى تحليق جديد لمفهوم العروبة"²².

كان الوطن المسلوب في عهد الاستعمار يدفع الشعراء إلى التعلق به تعلقاً مكانياً، قد يكون محدوداً من حيث الرقعة الجغرافية (قيمة الوطن) وقد يتضمن قيماً دينية (حب الوطن من الإيمان) وثقافية (البعد التاريخي والانتماء الحضاري) وإذا وقفنا على شعر الثورة لألقينا هذا الشعر يمثل صوتاً صارخاً يحب الوطن الذي لا ينفصل

عن الإسلام والعروبة وبعض الاستعمال.²³

فالثورة هي استعداد حضاري عام وشامل يقوم به الإنسان لانجاز المهام الكبرى التي تؤهل للسيادة والاستخلاف، فالثورة بهذا المعنى لا تبين على العبث ولا يحكمها قانون الصدفة بل هي نتيجة حتمية لسنن التغيير التي أودعها الله عباده، والتي سارو وفقها وبلغو مرحلة الثورة التي تؤول بهم إلى زمن التغيير الدائم.²⁴

"فالثورة ليست كإحدى الحروب التي تدور رحاها مع العدد والعتاد، بل أنها تعتمد على الروح والعقيدة، والثورة الجزائرية لم تنبثق عن صراع بين طبقات المجتمع الواحد، بل كانت نتيجة للكفاح الذي خاضه الشعب بأسره ضد الاحتلال الأجنبي من اجل استعادة أرضه ولغته وتاريخه وثقافته، وباختصار من أجل إثبات شخصيته الأصلية التي طالما حاربها الاستعمار"²⁵

ومما هو مؤكد ارتباط تيمية الوطن في شعر الثورة بالانتماء إلى الأرض المغتصبة وبالتطلع إلى الحرية المسلموية وطلب الاستقلال المنشود التغني بالأمجاد والتاريخ والمظاهر الطبيعية الخلابة.²⁶

ومن الشعراء الذين مجدوا الوطن وتغنوا به وبأبطاله الشاعر مفدي زكريا²⁷، فقد خلف العديد من القصائد الثورية والوطنية منها "إلياذة الجزائر" "قسم مفدي زكريا قصيدة الإلياذة إلى قسمين قسم الجمال أي الجمال الطبيعي للبلاد، وقسم الجلالة أي المجد التاريخي، وتمثل الإلياذة سجل التاريخي للجزائر حتى اليوم، وسميت بالإلياذة الجزائرية وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق، فيما هذه الأخيرة أي الإلياذة اليونانية، لا تروي إلا أساطير، نجد الإلياذة الجزائرية قد خلدت أمجادا حقيقية، وسطرت تاريخ وقائع وأحداث هي من روائع الدهر، لا من خلق الجن، ولا من اصطناع الشاعر، ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان".²⁸

جاءت لغة الشاعر مليئة بالصور الشعرية واللغة الإنزياحية أو ما تسمى " بالمصاحبات اللغوية غير العادية".²⁹

يقول الشاعر: في المقطع الأول من قصيدته

جزائريا مطلع المعجزات **** ويا حجة الله في الكائنات
ويا بسمة الرب في أرضه **** ويا وجهه الضاحك القسمات
ويا لوحة في سجلّ الخلو **** د تموج بها الصور الحالمات
ويا قصة بثّ فيها الوجود **** معاني السمّوبروع الحياة
ويا صفحة خطّ فيها البقا **** بنار ونور جهـاد الأباة
ويا للبطولات تغزو الدنا **** وتمنحها القيم الخالدات
وأسطورة ردّدتها القرون **** فهاجت بأعماقنا الذكريات
ويا تربة تاه فيها الجلال **** فتاهت بها القمم الشامخات
وألقى النهاية فيها الجمال **** فهمنا بأسرارها الفاتنات
وأهوى على قدميها الزمان **** فأهوى على قدميها الطفافة³⁰

لقد عمد الشاعر إلى تصوير الجزائر ووصفها بلغة شاعرية تحمل معاني الإيحاء وهذا ما تجسد في الألفاظ التالية (المعجزة، الحجة، أسطورة).

فقد برع الشاعر في التلاعب باللغة فجعل من الجزائر حجة معجزة، والمعجزة هي الشيء الخارق، والحجة يأتي بها للبرهنة والإقناع.

ثم يشبه الشاعر الجزائر باللوحه وهذا في سحرها وجمالها ومناظرها الخلابة، ثم جسد اللوحه وصور فيها أمواج البحر على سبيل الاستعارة وتجسيد المعنوي بالمحسوس.

ثم نجد الشاعر يشبه الجزائر بالقصة التي تتميز بمعاني السمو، ثم يشبهها أيضا بالصفحة ثم أبدع الشاعر في تشبيه الحبر بالنار والنور وترك لفضة خط لدلالة عليه وهنا تبرز شعرية اللغة واستعمال الألفاظ في غير موضعها الأصلي.

شبه تاريخ الجزائر المجيد الزاخر بالمعارك والانتصارات بالبطولات التي تغزو الدنيا، وشبه الذكريات بالأمواج التي تهوج حين يستحضر الإنسان ذكرياته على سبيل الاستعارة، وشبه الجزائر بالأسطورة في أمجادها وتاريخها العريق.

وصور جمال مناظرها وسحرها البديع في ذكره لتراثها وقممها الشامخة، وشبه الشاعر جمالها وروعها بالمرأة الفاتنة التي تدفعك إلى الهيام بها من شدة جمالها.

عظمة الجزائر في نظر الشاعر جعل من الزمان شيئاً محسوساً يهوى أما عظمتها كما ركع الطغاة أمام أبطالها. للتشبيه روعة وجمال وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدناؤه البعيد من القريب يزيد المعاني رفعة ووضوح ويكسيها جمالا وفضلا ويكسوها شرفا ونيلا، فهو فن واسع النطاق وفسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.³¹

ومن التشبيهات : يقول الشاعر

ويا بابل السحر من وحيا *** تلقب هاروت بالساحر

ويا جنة غار منها الجنان *** وأشغله الغيب بالحاضر

ويا لجة يستحمّ الجما *** ل ويسبح في موجه الكافر

ويا ومضة الحب في خاطري *** وإشراقه الوحي للشاعر³²

لقد أبدع الشاعر في تشبيه الجزائر وتصويرها بلغة شاعرية موحية فقد شبه تراثها وتاريخها العريق الروماني والاسباني بحدائق بابل، وهو يرى أن جمالها وسحر مناظرها شيء من الجنة وشبه رقعتها بالجنة أو البحر الذي لا يُعرف عمقه وقاعه، ويتفنن الشاعر في تصوير وطنه فشبه حبه بالوميض الذي يدل على البريق والإشراق، فكان هذا الوميض مصدر الحب والإلهام للشاعر.

ويقول في بيت آخر

ويا ثورة حار فيها الزمان **** وفي شعبها الهادئ الثائر³³

فقد شبه وطنه وشعبه الراض للظلم والخنوع بالثورة وهي مطلب التغيير، ويرى في وطنه ثورة حيرت الزمان، فتجلى الزمان على أنه رجل جبار، فأبدع الشاعر بتجسيد المعنوي بالمحسوس ويواصل الشاعر في التغني والافتخار بوطنه بجماله وبطولاته، فيبدع التصوير ويحسن التشبيه

فيقول :

ويا من سكبت الجمال بروحي **** ويا من أشعت الضياء بدربي³⁴
يصور الشاعر الجمال على أنه ماء يسكب، وشبه وطنه بالشمس من خلال استخدامه للفظه "أشعت" فقد
استعار الشاعر ألفاظاً للتعبير عن علاقته بوطنه فيؤكد علاقته القوية بوطنه في قوله:
ومهما بعدت ومهما قربت *** غرامك فوق ظنوني ولي³⁵
فيجسد وطنه كأنه امرأة تربطه به علاقة حب وغرام على رغم من طول وقصر المسافات وفي مقطع آخر يواصل
الشاعر وصفه والتغني بالجزائر من خلال لغة شعرية انزياحية تخضع للتشبيه والاستعارة فيقول:
جزائر أنت عروس الدنيا **** ومنك استمدّ الصباح السنا³⁶
فنلمح الشاعر في صدر البيت من خلال التشبيه البليغ فشبّه الجزائر بالعروس، وفي عجز البيت استعارة صفة
السنا أو الضياء وهي صفة الشمس ونسبها إلى وطنه الجزائر فأبدع في التصوير ويقول الشاعر في بيت آخر مشبهاً
وطنه بالجنة الموعودة على سبيل التشبيه البليغ
و أنت الجنان الذي وعدوا **** وإن شغلونا بطيب المنى³⁷
وفي بيت آخر يقول الشاعر مصوراً وطنه بأنه الأم التي تتصف بالحنان والسماحة :
و أنت الحنان و أنت السما **** ح ، وأنت الطماح وأنت الهنا³⁸
وفي بيت آخر يصور بطولات الشعب التي صنعتها الجزائر والبطولات لا تصنع وإنما الآلة التي تصنع، لكن الشاعر
استطاع من خلال التلاعب بألفاظ اللغة أن يصور صنع الجزائر للبطولات فيقول :
صنعت البطولات من صلب شعب *** سخي الدماء فرعت الدنيا³⁹
ويواصل الشاعر تصويره التخيلي بلغة شاعرية موحية من خلال تفننه في الاستعارة فيقول :
وعبدت درب النجاح لشعب **** ذبيح فلم ينصهر مثلنا⁴⁰
فقد شبه الشاعر درب النجاح بالطريق فحذف المشبه به وترك قرينه تدل عليه وهي عبدت و من خلال
هذه الصورة تم تجسيد المعنوي بالمحسوس، واستعمل الشاعر لفظه الذبيح كرمز للشعب الفلسطيني الذي يعاني
من الاستعمار والاضطهاد من طرف الصهاينة.
ويقول الشاعر:

سل البحر و الزورق المستها **** م ، كأن مجاديفه قلب شاعر⁴¹

فالشاعر ينقلنا بلغته الشاعرية إلى تجسيد البحر والزورق في هيئة إنسان أو رجل يمكن محادثته فكان هذا
التشبيه بليغ يزيد من رونق اللغة ثم يضيف في عجز البيت مشبهاً مجاديف الزورق بقلب الشاعر للمجاديف دور
في تسهيل سير الزورق في البحر في قلب الشاعر أحاسيس ومشاعر تدل على حبه وشغفه بوطنه.
ويقول الشاعر:

وسل قبة الحور نم بها **** منار على حورها يتأمر⁴²

يصور الشاعر قبة الصخرة بأنها إنسان يسأل وهنا شعرية تتمثل في تحريك الجامد وجعله ناطقا، فقبة الحور في رونقها من حيث التركيب اللغوي (الحور والقبة) والحور من الجنة، والقبة الصخر في عظمة شكلها يقول في بيت آخر:

سل الورد يحمل أنفاسها *** لحيدر مثل الحظوظ البواكر⁴³

يحملنا الشاعر إلى صور تخيلية تجعل من الورد شخص يُسأل له أنفاس، ويجمع الحظ السعيد والأوفر مع شجاعة الحيدر.

وفي بيت آخر يصور الشاعر غضبه وطموحه بلغة شاعرية فيقول:

بها ذاب قلبي كذوب الرصاص *** فأوقد قلبي وشعبي جمرا

وثورة قلبي كثورة شعبي *** هما ألهماني فأبدعت شعرا⁴⁴

يشبه الشاعر ذوبان القلب وانفطاره على وطنه كذوبان الرصاص فأوقد هذا الغضب قلب الشاعر وشعبه فعبر عن هذا الغضب، وعن هذه الثورة بالجمر، ويرى أن سبب تحرك قريحته وإبداعه لهذا الشعر هو ثورة قلبه وثورة شعبه.

وينتقل إلى تصوير جمال وعظمة المناظر التي تتميز بها أرض الجزائر، فهاهو يبدع في تصوير جبال الشريعة في قوله:

شريعتنا كجلال الشريعة * * * كمالاتها راسخات ضليعه

كأن الذي شرع الصالحا * * * ت ، أقام الدليل فأعلى الشريعة

وعمر فيها "بني صالح" * * * فزكىّ الصلاح جمال الطبيعه

تطلّ جواسقها الضارعا * * * ت شواخص تحمد ربّ الصنيعه

كذوب النجوم على قدميها * * * فيبدع منها الزمان ربيعه

ولولا تواضع أطلسنا * * * لكانت جزائرنا في الطليعه⁴⁵

لقد أبدع الشاعر في رسم صورة جبال الشريعة التي شبهها بالشريعة السمحاء في جلالها، فهي من صنع الخالق الذي يرى أنها دليل على عظمة الله في خلقه وصور ثلوجها البيضاء كأنها نجوم تذوب ليحل الربيع وينجلي الظلام بإخفاء النجوم ليطلع الفجر، فشبه الشاعر الزمان بالمبدع فجسد المعنوي بالمحسوس وهو الإبداع من

صفات الإنسان أو الفنان وهذا المنظر الخلاب الذي يتميز به وطننا على غرار المناظر والصور الخلابه التي يتميز بها فيا ليت الأطلس يتواضع-والتواضع من صفات البشر، فيجعل الجزائر في طليعة البلدان.

ويواصل متغنيا بربوع هذا الوطن فهاهو يصيف تلمسان قائلا:

تلمسان أنت عروس الدنيا * * * وحلم الليالي وسلوى المحب

بحسبك هام أبو مدين * * * وفي معبد الحب شاد القبب

وأجرى بك الروم ساقية * * * بها أسكر الحسن بنت العنب⁴⁶

لقد شبه الشاعر تلمسان وهي إحدى المدن العريقة في الجزائر بالعروس وحلم الليالي وسلوى المحب فتحوّلت تلمسان من المعنى الأصلي وهو المكان إلى معنى جديد وهو العروس أو المرأة، والحلم الذي يراودك كل ليلة، وأصبحت تلمسان سلوى للمحب.

ثم ينتقل الشاعر إلى الدلالة التاريخية للمعالم الأثرية بتلمسان في قوله أجرى بك الروم ساقية، ثم صور الخمر أحسن تصوير ينتقل المتلقي من خلال هذه الصورة (بها أسكر الحسن بنت العنب) وهنا كناية عن الخمر، وقد شبه حسن وجمال هذه الساقية الذي يذهب العقل بالخمر وهنا على سبيل التشبيه الضمني.

يقول الشاعر أيضا في بيت آخر مصورا عظمة الجزائر وإعجابه بها الذي جعل كل شيء حائرا في جمالها وتاريخها :

أقسم هذا الزمان يمينا * * * وقال الجزائر دون عناد

وجلت بطولات أرض الجزا * * * ثمهد الأسود وربيع الكرام⁴⁷

قد أبدع الخالق في صنع الجزائر، فجعل الشاعر من الزمان إنسانا يتعجب منها فيقسم أن يختار الجزائر دون سواها، وكيف لا يتعجب الزمن من أرض هي مهد الأسود أي الشجعان والأبطال والربيع الكرام، أهل الجود الكرم .

ويواصل الشاعر افتخاره بهذه الثورة التي خاضها شعبه فأصبح أسطورة تمجد البطولات والتضحيات التي قدمها الشعب في سبيل الوطن والحرية فيقول :

وثرنا، نفجر نارا و نورا * * * ونصنع من صلبنا الثائرين

ونلهم ثورتنا مبتغانا * * * فتلهم ثورتنا العالمين⁴⁸

فأصبحت هذه الثورة من خلال اللغة الانزياحية للشاعر تفجر النار والنور وشبه الثائرين والأبطال بالآلات التي تصنع لمواجهة العدو، ويواصل الشاعر من خلال اللغة المليئة بالغضب والحماس فمن خلال هذه الثورة سيصل الشعب إلى مبتغاه وستصبح هذه الثورة وهذا الشعب رمزا للكفاح والنضال يقتدي به ويقول الشاعر أيضا :

وفاض بها العلمُ يجلو العقو***ل ويغمر أرضَ الجزائر نبلا⁴⁹

من خلال الصورة الشعرية التي يسعى الشاعر إلى تجسيد المعنوي بالمحسوس مما يزيد اللغة أكثر إحياء وأدبية، فقد شبه العلم بالماء الذي فاض وتعمر الأرض، فيكتفي بذكر المشبه وقرينته تدل على المشبه به وغاياته في ذلك استثارة العقول وإشباع هذه الصورة بالمعاني التي من شأنها التأثير في المتلقي.

ويقول الشاعر في موضع آخر من خلال لغته الإحيائية متحدثا عن شهر نوفمبر

نوفمبر جلّ جلالك فينا ***ألست الذي بث فينا اليقيناً؟⁵⁰

نوفمبر غيرت مجرى الحياة***وكنت نوفمبر مطلع فجر

فرنسا تناسيت ما ليس يُنسى *** أما في نوفمبر... كنا اقترعنا⁵¹

فالشاعر يجرّد نوفمبر من حقيقته أنه شهر من الشهور فيصبح كأنه بطل وكأنه شخص عظيم فيقول بث فينا القين، غيرت مجرى التاريخ.

فأصبحت لفظة نوفمبر تحمل مدلولات جديدة والتعظيم اليقيني، والتغير، فهذا الشهر تغير مسار الشعب وتفكيره ووضع من شعب مستعبد إلى شعب ثائر رافض للظلم والخنوع والاستعباد، وفي هذا الشهر استطاع الشعب أن يعلم فرنسا درسا في الوطنية والانتماء، فانزاحت لفظة نوفمبر من معناه الأصلي لتأخذ معاني ومدلولات جديدة.

ثم ينتقل الشاعر ليتحدث عن ذكرى أخرى بلغة تناسبه وأكثر شاعرية فيقول:

تأذن ربك ليلة قدر *** وألقى الستار على ألف شهر⁵²

فليلة القدر في الثقافة الدينية هي ليلة عظيمة تنزاح عن معناه الأصلي إلى ذكرى في التاريخ الجزائري وهي الفاتح من أول نوفمبر 1954 ليلة اندلاع الثورة التحريرية.

ويقول الشاعر في بيت آخر من خلال لغته الشاعرية:

شربت العقيدة حتى الثمالة *** فأسلمت وجهي لرب الجلالة⁵³

ينقل الشاعر ذهن المتلقي من خلال هذه الصورة التخيلية، فيصور تشبعه بالعقيدة والتزامه بها كالذي يشرب الخمر حدّ الثمالة وكانت النتيجة انه اسلم لرب العزة، فقد تفنن الشاعر في توظيف كلمة الثمالة في غير موضعها الأصلي.

وكذلك يمارس الشاعر القطيعة أو الاغتراب وذلك لأنه أدرك أن أية محاولة ترمي الى جعل شعره بوقا لمصلحة ما دون مصلحة الشهداء هي محاولة فاشلة لأنها تؤدي حتما إلى سلب الشاعر حرّيته وهذا ما لا يقبله، فلنسجل إذن أن الغائب (رقم واحد) هنا هو النموذج السياسي السليم الفاعل ليجعل محله نموذج هزيل خائب، فيقول:

وكيف يسوس البلاد غبي *** بليد الضمير فضاعا؟

ومن يطمئن لأقدار شعب *** إذا استخلف الشعب فيها الضباعا⁵⁴

في إلياذته التي توضع في قالب شعر ملحمي الذي يجسد بطولة الشعب الجزائري منذ فجر التاريخ وهذا صحيح إذا تسير أغلب الصفحات التي تفوق المائة في هذا السبيل، لكننا مع التاريخ نقرأ في الإلياذة ما يحمل موقف مفدي زكريا البطولي من واقعه، ذلك الموفق الذي اصطدم فيه الشاعر بجبال من العوائق التي قادت إلى الإحباط الثائر المؤيد بالشعري والتاريخي يقول :

وتبا لمجتمع خائر *** تعيش الرجال به كالدمى

يموت ويقبر فيه الضمير *** ويحى البريء به المجرما

تعالى فرنسا .. ادخلي بسلام *** فأبناء صلبك ملء الحمى

غدا بالزغاريد يستقبلون *** نزولك في أرضنا بعدما..⁵⁵

خاتمة:

إذا كان الانزياح هو خروج اللغة عن المؤلف، نخلص إلى أن الظاهرة الأسلوبية تحققت بجلاء في إلياذة الجزائر.

فيمكن القول أن الشاعر مفدي زكريا شاعر ثوري وطني، فجّل قائله تتغنى بالوطن والثورة التحريرية العظيمة التي كانت عبرة للشعوب ودرسا للمحتل الغاصب

إضافة إلى أن الشاعر ذو قدرة فائقة في اختيار الألفاظ داخل السياق الدلالي للنص، على صعيد ما يسمى أسلوبيا بمحور الاختيار، وتفنن في تحويل الألفاظ من دلالتها المباشرة إلى ألفاظ إيحائية وذات شحنات دلالية جديدة ضمن سلسلة كلامية تتكون من مجموعة معجمية كبيرة وهذا ما يتم ضمن علاقات استبدالية.

يعمل الشاعر على تحقيق خيبة الانتظار وتحقيق الدهشة الجمالية لدى المتلقي، وهذا من خلال المصاحبات اللغوية غير العادية نذكر على سبيل المثال (يا بابل السحر، يا قبة حار فيها الزمان، سل البحر، شربت العقيدة حتى الثمالة).

• قائمة المراجع:

1. ابن جني، الخصائص، ج2. تح: محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تع: محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، ط1، 1999.
3. الأزهر الرشاد، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي لنشر والتوزيع بيروت ط1 1992.
4. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981.
5. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والبيان والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت. (د ط) (د ت).
6. النهي الشتيوي، صالح علي سليم، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، مجلد 21 ع3.
7. جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر، محمد الوالي ومحمد العمراني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب 1986.
8. صلاح فضل، علم الأسلوب، ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة 1998.
9. عبد السلام المسدي، المقاييس في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين للجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، ع13.
10. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2006.
11. علي نظري، يونس ولي، ظاهرة الانزياح في الشعر أدونيس، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة ع 17.
12. عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر. الشعر وسياق المتغير الحضاري. دار الهدى، الجزائر 2004.
13. محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 2000.
14. مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987.

• الهوامش:

1. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2006، ص35.
2. عبد السلام المسدي، المقاييس في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين للجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، ع13، ص185.
3. ابن جني، الخصائص، ج2. تح: محمد علي النجار، ص 442.
4. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تع: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص120.
5. علي نظري، يونس ولي، ظاهرة الانزياح في الشعر أدونيس، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، ع 17، ص88.
6. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط: 3، ص103.
7. النهي الشتيوي، صالح علي سليم، ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، مجلد 21 ع3 ص200.
8. المرجع نفسه، ص200.
9. صلاح فضل، علم الأسلوب، ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة 1998، ص212.
10. محمد ويس الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 2000، ص111.
11. صلاح فضل، علم الأسلوب ص119.
12. صلاح فضل المرجع نفسه ص228.
13. جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر، محمد الوالي ومحمد العمراني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب 1986 ص205.
14. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة تع: محمود محمد شاكر دار مدني، جدة (ب ت) ص30.
15. عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص 30.
16. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص42.
17. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة والبيان والبديع، دار الكتاب العلمية، بيروت. (د ط) (د ت) ص285.

- 18 - المرجع نفسه، ص 285
- 19- الأزهري الرشاد، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي لنشر والتوزيع بيروت ط 1992، ص 59.
- 20- الكندي علي محمد، القناع في الشعر العربي الحديث دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2003 ص 2003.
- 21- احمد يوسف يتم النص والجينولوجية الضائعة - التأملات في الشعر الجزائري المختلفة - منشورات الاختلاف، ط 1، 2002، ص 101.
- 22- حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2005، ص 23.
- 23- أحمد يوسف، المرجع نفسه ص 102.
- 24- عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر. الشعر وسياق المتغير الحضاري. دار الهدى، الجزائر 2004، ص 76
25. المرجع نفسه، ص 76.
- 26 المرجع نفسه، ص 77.
27. مفدي زكريا (1908-1977) شاعر الثورة التحريرية، ومؤلف النشيد الوطني (قسما)، ولد في أحد القصور السبع لوادي ميزاب، بغرداية في جنوب الجزائر، من إنتاجاته الشعرية "ديوان تحت ظلال الزيتون"، "اللهب المقدس"، "من وحي الأطلس"، "إلياذة الجزائر".
- 28 مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987، ص 12
29. عبد الوهاب بوقرين، ثورة اللغة الشعرية، بحث في البنية اللغوية للخطاب الشعري الجزائري المعاصر. دار المعرفة، الجزائر، 2003، ص 83
30. إلياذة الجزائر، ص 19
- 31 أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تع: محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، ط 1، 1999، ص 113.
- 32 إلياذة الجزائر، ص 20
33. المرجع نفسه، ص 20
- 34 - المرجع نفسه، ص 21
- 35 - المرجع نفسه، ص 21
- 36 - المرجع نفسه، ص 22
- 37 - المرجع نفسه، ص 22
- 38 - المرجع نفسه، ص 22
- 39 - المرجع نفسه، ص 22
- 40 - المرجع نفسه، ص 22
- 41 - المرجع نفسه، ص 23
- 42 - المرجع نفسه، ص 23
- 43 - المرجع نفسه، ص 23
- 44 - المرجع نفسه، ص 25
- 45 - المرجع نفسه ص 31
- 46 - المرجع نفسه، ص 33
- 47 - المرجع نفسه، ص 37-38
- 48 - المرجع نفسه، ص 70
- 49 - المرجع نفسه، ص 71
- 50 - المرجع نفسه، ص 69
- 51 - المرجع نفسه، ص 70
- 52 - المرجع نفسه ص 69
- 53 - المرجع نفسه، ص 89
- 54 - المرجع نفسه، ص 119
- 55 - المرجع نفسه، ص 105.

الأنساق اللسانية النصية والأنساق الجمالية -مقاربة علائقية-

*The linguistics textual of systems and the aesthetics of systems Relational approach-*د. حسن حماني *hassane hammani*

كلية الآداب والعلوم الإنسانية . مكناس

Faculty of letters and human sciences Meknes

إيميل الباحث: *hammani-h@hotmail.com*

الملخص:

عرفت المناهج اللسانية أزمة في أواسط الستينيات جعلتها تتوجّه إلى لسانيات الأنساق النصية بحثًا عن الحلول للمآزق التي وقعت فيها، والإجابة عن الإشكالات الكبرى التي ظلت عالقة بأذهان العديد من الرواد اللسانيين، ولم تكن لسانيات الجملة متوفرة على الآليات والتقنيات الكافية لمعالجة الأنساق والقضايا اللسانية، فكان التوجّه إلى إقحام النص وأنساقه وبعض المعطيات التداولية وربط الصلة بين ميادين وعلوم أخرى لها صلة بالمؤسسة اللغوية. فكان التوجّه إلى إقحام النص وأنساقه وبعض المعطيات التداولية وربط الصلة بين ميادين وعلوم أخرى لها صلة بالمؤسسة اللغوية. لذا شكل هذا المقال العلمي محاولة من بين العديد من المحاولات التي اهتمت ببسط الحديث عن الاختلاف الحاصل بين الأنساق اللسانية النصية والأنساق الجمالية، من جهة، باعتبارها علما أعاد النظر في الموروث اللساني، وحاول دراسته دراسة راهنة متعددة الأبعاد، ومن جهة أخرى اهتم بالأنساق الجمالية، باعتبارها أنساقا أعادت الاعتبار للقارئ، حيث منحته مكانة راقية في عملية التلقي.

الكلمات المفتاحية: الأنساق اللسانية النصية . لسانيات الجملة . الأنساق اللسانية الجمالية . المناهج اللسانية . الموروث

اللساني.

Abstract:

The linguistic methods experienced a crisis in the mid-1960s that made it turn to the linguistics of the text in search of solutions to the dilemmas in which it occurred, and to answer the major problems that remained stuck in the minds of many linguistic pioneers, and the linguistic of the sentence were not available on the mechanisms and techniques sufficient to address Linguistic issues, the Visualization was to insert the text and some deliberative data and link the relation between other fields and sciences related to the linguistic institution.

Therefore, this scientific article was one of many attempts to simplify the discussion of the difference between the linguistics textual of systems and the aesthetics of systems, as well as the universal relationship between them, on the basis that the second is an integral part of the former. It also aims to give an integrated conception of the linguistics textual on the one hand, as a science that reconsidered the linguistic heritage, and tried to study it a current multidimensional study, and on the other hand, he was interested in the aesthetics of systems which restored the reader's consideration, giving him a high position in the receiving process.

Keywords: *The linguistics textual of systems - The linguistics of sentence - the aesthetics of systems - The linguistic methods - the linguistic heritage.*

تقديم:

جدير بالذكر أن هذا المقال العلمي لم يكن بإمكانه، أن يدعي الشمولية المطلقة في هذا المجال، أو الإمام الكلي بثنايا الموضوع قيد الدراسة، سواء من حيث الاتساع والعمق أو من حيث المفاهيم والحدود والمكونات والآليات المعتمدة في مجال: لسانيات الأنساق النصية والأنساق الجمالية، فهو لا يجيب عن جميع الإشكالات العميقة المتعلقة بالمجالين، والتي تشكل أساسا مركزيا في ذكر الاختلاف بينهما، أو الحديث عن الوشائج الجامعة بينهما. بل كان مدخلا إلى موضوع الاختلاف والانتلاف بين حقلين لسانيين واسعين تربط بينهما آليات وخصوصيات، وتفصل بينهما أخرى.

إذ لم تكن لسانيات الجملة متوفرة على الآليات والتقنيات الكافية لمعالجة الأنساق والقضايا اللسانية التي كانت سائدة في تلك اللحظة، مما جعلها غير قادرة على الاستجابة لآمال وتطلعات النقاد واللسانيين. الشيء الذي جعل ضيق مجال الدراسة اللسانية عنصرا مساهما في البحث عن السبل التي بها يتم توسيع هذا المجال والخروج به عن قيود لسانيات الجملة، وإقصاء الدلالة والمعنى والسياق وهي اختيارات متى ضمنت بعضها إلى بعض أفضت إلى جعل اللغة مجرد هيكل شكلي منطقي مجرد، فكانت الفرضية التي يدافع عنها هذا الموضوع متمثلة في التوجه إلى إقحام مجالي الأنساق اللسانية النصية والأنساق الجمالية في هذا السياق لمعالجة المواضيع والقضايا الكبرى. وهذا الأمر يهدف إلى إبراز الخصوصيات والسمات المميزة للحقلين المعرفيين، التي يتفان ويتكلمان فيها والتي ينفرد بها كل حقل من الحقلين المعرفيين. من هنا إلى أي حد يمكن القول إن هناك اتفاقا وتكاملا معرفيين بين الأنساق اللسانية النصية والأنساق الجمالية؟ وأين تتمثل خصوصياتهما؟ وأين تتجلى نقط التباين بينهما التي تضيء على كل علم منهما طابع الاستقلال الذاتي؟

1. الأنساق اللسانية النصية: مقارنة في المفهوم والآليات

1.1 نحو الأنساق النصية مقارنة مفهومية

إن للغربين نظرة رحبة لـ «نحو الأنساق النصية» أو ما يعرف بلسانيات الأنساق النصية، ذلك أنهم ركزوا في تصورهم على النظام النصي الذي يساهم بشكل كبير في خلق بنية نصية شاملة ذات رؤية دلالية عميقة، تسند مهمة الكشف عنها لـ «نحو الأنساق النصية»، على أساس أنه "علم بمبادئ وأصول يعرف بها تماسك النص انسجاما واتساقا، وغرضه معرفة مدى تحقيق نصية النص"¹. وهو علم يهتم، حسب هاليداي ورقية حسن، بدراسة تماسك النص وانسجامه، وتحقيق نصيته، "ويرى الباحثان أن النص يكتسب نصيته، من وجود تلك الاعتبارات؛ إذ هما يميزان الخطاب من النص، بمعنى: أنهما يؤمنان بأن نصية النص قضية داخلية، وظيفية المتلقي أمامها الحكم بوجودها، أو عدمه؛ إذ قدم بحثهما على موازاة بين الاتساق في النص، والخصائص التي تجعل من عينة لغوية ما نصا"². "فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"³.

من ثم، "تتعلق الوحدات المبنية لتشكيل نصا. كل الوحدات النحوية: الجمل والأقوال، والمركبات، والكلمات متسقة داخليا، لأنها ببساطة، مبنية (...). إلا أن الاتساق يتوقف، داخل نص ما، على شيء آخر غير البنية، بمعنى أن هناك علاقات معينة، إذا توافرت في نص ما، تجعل أجزاءه متآخذا مشكلة بذلك كلا موحدًا. تعد طبيعة هذه العلاقات دلالية، وهي خصائص تميز النص باعتباره كذلك، مما يجعله وحدة دلالية"⁴. وهو ما وضحه خطابي بقوله: "يذهب ديك إلى أن النظرية اللسانية ((تتعامل مع أنساق اللغة الطبيعية، أي مع بنياتها الفعلية والممكنة، ومع تطورها التاريخي واختلافها الثقافي ووظيفتها الاجتماعية وأساسها المعرفي)). وتعتبر هذه الأنساق قواعدا متواضعا عليها تحدد السلوك اللغوي كما يتجلى في استعمال أقوال لغوية في مقامات تواصلية"⁵. يوضح لنا خطابي بأن النصية الدقيقة تجمع بين أمرين اثنين: داخلي وخارجي، الأول يبني على الأنساق والوشائج الداخلية للنصوص، أما الآخر يتعلق بسياقات النصوص الخارجية.

من هنا، فنص ديك يشير إلى أمرين اثنين مهمين في «الأنساق اللسانية النصية»: أولهما: أن نحوه ينظر إلى النص من حيث بنيته الشاملة الموحدة، وثانيتها: كون النحو ينظر إلى النص باعتباره سياقًا عامًا لسياقات مختلفة. وهو ما يساعد المتلقي على فهمه وتفسيره. وقد استطاع ديك الجمع بين السياق وعلم النص من خلال أبحاثه المتباينة، ودراساته القيمة والتي شكلت إضافة نوعية في هذا المجال. الشيء الذي جعله يوجه اهتمامه، وبلغت نظره صوب هذا العلم الحديث باعتباره علما هامًا أعاد النظر في الموروث اللساني، وحاول دراسته دراسة راهنة متعددة الأبعاد، مما جعله يصوغ إشكالات كبرى شكلت كتاباته إجابة حقيقية عنها، فالأول يرتبط بعلم النص باعتباره مدخلا علميا متعدد الاختصاصات، والثاني يرتبط بالنص والسياق ومحاولة مقارنته مقارنة دلالية تداولية. يقول فان ديك: "يوجد على الأقل في كل موقف تواصلية شخصان، أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان... وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية... لها اللغة نفسها وترابط ضروب الاتفاق والتواطئ للقيام بالفعل المشترك الإنجاز"⁶. ولكنه في نظره إلى السياق عموماً يقيم تمييزاً بين ثلاثة أنواع من السياق: أولها: السياق التداولي، وثانيتها: السياق النفسي، (الإدراكي العاطفي)، وثالثها: السياق الاجتماعي. الثقافي، وهو يستعين بكل الأنواع السابقة في مقارنة النص⁷؛ لأن عملية تحليل النصوص من خلال وجهة لسانيات الأنساق النصية تبنى على القضايا النفسية، والتداولية، والاجتماعية. الثقافية. وهذه الرؤى المختلفة شكلت رصيذا ايبيستيمولوجيا عميقا، ومعطيات يقتضيها المقام للوصول إلى المقاربة الصحيحة للنصوص، وهو ما جعل فان ديك يتوجه بنقده الشديد لكل من يهتم بالبنية السطحية في تأويله للنص. في حين يركز اهتمامه على البنية العميقة في تحليله للنصوص ودراستها دراسة لسانية نقدية.

ينطلق فان ديك من البنى البسيطة متجها صوب البنى العميقة؛ وهذا الأمر لا يستغني عن السياق، أو الدلالات التأويلية للنص. فهو يقول: "لما كانت الجمل بسبب تركيبها التراتبي، تتحدد كوحدة نظرية في النحو، وليست كمتوالية من الألفاظ المفردة... صارت إذن تراكيب الخطاب الكلية حاصلة على الأقل على مستوى من التحليل اللساني تعامل فيه ضروب الخطاب أو فقراته معاملة الوحدات النظرية"⁸. ف "البنى الكبرى يمكن أن تصير بدورها موضوعا لبعض

القواعد والقيود المتغيرة بتغير أنواع الأقاويل⁹. ومن مهام علم النص تصنيف وتعريف هذه المقولات والقواعد وخصوصيات وظائفها التناسية¹⁰. يقول: "ولما كانت الأفعال تنجز دائما في إطار قيود اجتماعية محددة فإن اهتمام البحوث اللغوية القائمة على نظرية النشاط يتجه أيضا إلى تخصيص التكوين الشرطي الذي يعد أساس الفعل، ألا وهو الموقف، فكل ما يصف قطاعاً معيناً من الواقع الاجتماعي الذي ينتج فعلاً (اتصالياً)، يمكن أن يتحدد باختصار بأنه موقف (اتصالياً)¹¹. هذا الموقف الذي يتخذ بعداً تداولياً في النصوص اللسانية النصية. "ووصف هذا المستوى التداولي من هذا القبيل هو الذي يهيء شروطاً حاسمة لغاية إنشاء وتركيب جزء من ضروب التواضع والاتفاق مما يجعل العبارات مقبولة أعني أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصلي"¹².

وجدير بالذكر أن فان دايك يعتمد في مقارنته اللسانية النقدية للنصوص على الرؤية متعددة الأقطاب، حيث لا يميل إلى تصور علمي عام أو ينحاز إلى آخر، ولا ينعطف مع تصور من تصورات اللسانيين النصيين، لكن اتسم بتصوره الخاص، وبعينه المبدعة، وبرؤيته الثاقبة للنص. وإذا كان النص والسياق شديدي الارتباط والاتصال بحيث يصعب فصل أحدهما عن الآخر، كما يرى أغلب الباحثين، فإن من سمات النصية أن تسمح للخطاب بالتماسك ليس فقط بين أجزائه بعضها ببعض، وإنما بين قضاياها وسياقاته، ذلك أن كل خطاب علمي يمكن أن يتعين ببنية عامة من نحو مدخل. إشكالية. حل. نتيجة، مع إدراج حجية البنيات والتراكيب من صور وأشكال شتى.

1. 2 من لسانيات الجملة إلى لسانيات الأنساق النصية

لقد شهدت التيارات اللسانية والنقدية أزمة عارمة في أواسط الستينات جعلتها تتوجّه إلى لسانيات الأنساق النصية بحثاً عن الحلول للمآزق التي وقعت فيها، والإجابة عن الإشكالات الكبرى التي ظلت عالقة بأذهان العديد من الرواد اللسانيين، ولم تكن لسانيات الجملة متوفرة على الآليات والتقنيات الكافية لمعالجة القضايا اللسانية التي كانت سائدة في تلك اللحظة، مما جعلها غير قادرة على الاستجابة لآمال وتطلعات النقاد واللسانيين¹³. الشيء الذي جعل ضيق مجال الدراسة اللسانية عنصراً مساهماً في البحث عن السبل التي بها يتم توسيع هذا المجال والخروج به عن "قيود نحو الجملة...، وإقصاء الدلالة والمعنى والسياق وإن من باب الإرجاء، وهي اختيارات متى ضمنت بعضها إلى بعض أفضت إلى جعل اللغة مجرد هيكل شكلي منطقي مجرد...، فكان التوجّه إلى إقحام الخطاب والنص وبعض المعطيات التداولية وربط الصلة بين ميادين وعلوم أخرى لها صلة بالمؤسسة اللغوية..."¹⁴. وبهذا كان نحو الجملة صورة من صور التحليل النحوي يقف في معالجته عند حدود الجملة ويرى أنها هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها، دون أن يتجاوزها إلا في القليل النادر. فإذا ما تعدى الأمر حدودها إلى التتابعات الكبرى المتصلة بالنص نكون أمام نحو أنساق النصوص¹⁵؛ إذ أعادت لسانيات أنساق النص الاعتبار لجانب المعنى والمقام، وذلك من خلال اعتمادها على الاستعمال اللغوي الذي غيب في الدراسات السالفة، ودليلها في ذلك أن اللغة شكل لا مادة. في حين نجد أن غياب المعنى ينعكس على موضوع الدراسة اللغوية وطبيعة القواعد والأصول المتعلقة بها¹⁶. من هنا يتبين بأن هناك farkاً دقيقاً وتبايناً واضحاً بين نحو الجملة ونحو الأنساق النصية، ومادامت الظواهر اللغوية تتسم بترباط

أنساقها، وبتناسق عناصرها، وتكامل آلياتها التي تشتغل بها، وأن ميادين العلوم يطبعها التداخل والانسجام، فإن هناك ارتباطا وثيقا بين النحويين: الجُملي والنصي، بحيث إن أولهما يمثل القاعدة أو بمثابة الحجر الأساس في البناء، أما الآخر فيشكل ما تبقى من البنيان. هذا الأمر يبين مدى فاعلية نحو الجملة في نحو الأنساق النصية، وكذلك باعتبار الثاني استمرارا للأول، وأن وجود الثاني يقتضي بالضرورة وجود الأول. وعلى الرغم من التطور والتقدم الملحوظ الذي عرفه الحقل اللساني في الزمن الراهن حتى أصبحنا نسمع بنحو الأنساق النصية أو لسانيات النص، فإننا لا ننكر الجهود اللغوية العربية القديمة، وإسهامات الرواد الغربيين الذين اهتموا بلسانيات الجملة التي لا يمكننا الاستغناء عنها، كما أن لسانيات الأنساق النصية ضرورة لتحقيق أهدافها العلمية.

وإذا كانت لسانيات الجملة تعمل على وصف الجمل وشكل الكلمات والبنية الجمالية، فإن لسانيات الأنساق النصية تنظر إلى وصف الجمل باعتبارها آلية لوصف النصوص وتقوم على التحليل النحوي للعلاقات النحوية الترابطية بين الجمل، ووصف الترابطات بين الأنساق النصية وتفسيرها. ومن الأشياء التي توقفت عندها اللغويون بكثير من الرفض هي أن "نحو الجملة" حين يعتبر قواعد ما منتهى همّه ومبلغ علمه فإنه لا يقر للنص بكونه متميزة توجب معالجة تراكيبه معالجة نحوية تستجيب لمقتضيات بنيته، وبهذا يقع النص خارج مجال الدرس النحوي¹⁷. فالتحليل في نحو الجملة يبدأ باختراع الجمل وعزلها تقريبا عن سياقها في النص أو الخطاب، ويصبح السلوك اللغوي مجرد تحقيق لا نهائي لعدد من نماذج الجملة، وما على النحوي إلا الكشف عن هذه النماذج وتحديد قوانينها الحاكمة لمكوناتها التركيبية؛ ليصير الكلام جميعه قيد الضبط¹⁸. ذلك أن نحو الجملة هو النحو التقليدي الذي أقيم على مجموعة من الأسس العامة التي التزم بها وربما تخطاها في بعض الأحيان غير أنها أسس ملزمة لنحاة الجملة. ومن المبادئ العامة الحاكمة له، كما يشير إلى ذلك دي بوجراند أساسين اثنين هما¹⁹:

1. استقلال النحو عن رعاية المواقف اللغوية؛ ومعنى ذلك أن نحو الجملة يقوم بدراسة الجمل معزولة عن سياقها أو الجمل المصنوعة.

2. إخضاع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة؛ فنحو الجملة يؤمن باستقلالية الجملة؛ وبالتالي فهو نحو تحليل لا تركيب. وأدى هذان المبدآن إلى عدم تمكن النحو والمعنى من أن يتفاعلا في أثناء عمليتهما الخاصة، وانعدام التكافلات النحوية بين العناصر السطحية.

ومن الواضح أن الإغراق في الاهتمام باللغة باعتبارها شكلا مجردا أو إقصاء للمعنى منها، ضمانا للموضوعية، قد قُوِّل بنقد شديد وجّهه فيرث J.Firth للدارسين مؤاخذا إياهم على إهمال الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع، وما يمكن أن يفرضه البعد الاجتماعي الجماعي من الضوابط والقيود على مستعملي تلك اللغة²⁰. ولا سيما أن النصوص تقوم على التنسيق بين النشاطات الإنسانية، وتوجيه السلوك الاجتماعي. وكما تهدف إلى التطور والتكامل بين البشر والمجتمع²¹. حيث "إن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية . جملة مثلا . تحليلا كاملا دون مراعاة

للسياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك كبير، فإذا أراد النحوي المهتم بالجملة أن يقدم أحكاما بشأن مدى نحوية جملة من الجمل، وهو يحدد ما إذا كانت الأنساق اللغوية التي يقدمها نحوه جملا صحيحة، فإنه يعتمد ضمنا على اعتبارات ذات علاقة بالسياق²²، "وبعد الاستدلال على شرعية نحو النص لتفادي ما ساد في النظريات اللسانية من التزعة إلى الحصر والإقصاء فإنهم قد اعتنوا بمختلف القضايا التي يفضي إليها اعتبار النص موضوع علم مستقل أو جزءا من موضوع الدراسة اللسانية كالحديث عن الأسباب الداعية للاهتمام بهذا الموضوع وتحديد هوية النص وضبط طبيعته وتكوّنه وخصائصه"²³. فلما كان المعنى هو ما يهدف المتكلم إلى إيصاله لأفراد المجتمع الآخرين فإنه ينبغي التوجه إلى تحديد الضوابط التي تحكم الاستعمالات والسياقات التي تحدد معاني الكلمات. ويميز هنا بين السياق المقالي (Verbal Context) والسياق المقامي (Context of situation)، حيث يبين الأول أن الكلمة لا يتحدد معناها إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، ويبرز الثاني أوجه التغير الذي يصيب المدلولات باختلاف المواقف التي تستخدم فيها الكلمات²⁴. ولعل الاجتزاء الذي يعرفه النص، أحيانا، لا يعطي لكليته قيمة دلالية فاعلة؛ لأنه لا توجد علاقة بين أجزاء النص الواحد، ولا تراعى علاقة آخر النص بأوله، ولا علته بمعلوله، ولا كيفية الترابط بين أجزاء النص الواحد في فضاء النص الرحب²⁵، ولا بين أنساقه وقضاياه المختلفة.

ومن الواضح أن لسانيات النص لا تهتم بالمعاني السطحية فحسب، بل تسلط الضوء على الجوانب السياقية التي تراعى المقام وظروف النص، مع بيان أثر النص في المتلقي، وكما تنظر إلى النص، باعتباره، بنية كلية محافظة على المعنى، تقوم على علاقات نحوية دقيقة، ومفاهيم مختلفة، وآليات خاصة.

وجدير بالذكر أن نحو الجملة يتقيد بحدود جزئية، أما لفظ (نحو) في نحو الأنساق النصية فإن له معنى خاصا يشير إليه سعيد بحيري عندما يرى أنه ليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص، بل إنه يعني مجموعة من القوانين الاختيارية التي استخلصت من النص، والتي تزود الوصف ببنى ((لسانية)) لنص قائم في لغة خاصة، وتحدد الشروط التي يجب على التابع أن يملأها لكي يكون مقبولا. وهي تنظر إلى التابع بوصفه التعبير المقبول لعدد معين من الأحداث. يشير صلاح فضل إلى أن لسانيات الأنساق النصية تعنى بالأبنية "النحوية للجميل والنصوص، كما تعنى بالشروط والخواص التي تتصل بالسياقات المختلفة"²⁶؛ إذ ترى إلى النصوص رؤية جوهريّة في بنيتها وتماسكها من خلال علاقات شاملة تهدف إلى الكشف عن معايير لتحديد النصوص من اللانصوص، وتحديد الأقسام المختلفة للنصوص، وهي لا تحدد أبنية النص فحسب، وإنما تشتغل على العمل الاتصالي للنصوص أيضا²⁷. والملاحظ أن أهم مهمة لسانيات الأنساق النصية الصياغة، والتي تمكن من حصر كل النصوص النحوية في لغة تزودنا بوصف دقيق للأبنية، بالإضافة إلى "البحث في الأبنية الدلالية العميقة للنص أو البنية الكبرى والمعنى الشامل للنص، مما يؤدي إلى القضايا الكبرى الناجمة عن الوحدات والقضايا الصغرى المتماسكة"²⁸. إذا كان كلاوس برينكر يرى بأن نحو النص يرتبط بالصياغة النحوية للنصوص، فإن محمد الشاوي قد وافقه الرأي، وذلك من خلال تركيزه على الصياغة النحوية التركيبية والتأويلية، وهو ما أبرزه في نصه قائلا: تتقاسم نحو النص نزعتان كبيرين: "إحدهما

تغلب محاولة صياغة قواعد نحوية تركيبية للنص (كقواعد الإضمار...) والثانية تغلب محاولة صياغة قواعد نحوية التأويل والعناية بالجانب الدلالي والمضمون وتزهده في هذا الجانب الصيغاني النحوي. وذهب سيكر Segre إلى أن التغلب على هذا التوزع لا يمكن أن يتم إلا إذا أولينا عناية أكبر لإواليات إنتاج النص، فتكون مهمة نحو النص في نظره دراسة إنتاج الوحدات التواصلية، دراسة عمادها وظيفة التواصل²⁹. ومن اللسانيين من اعتبر أن لسانيات الأنساق النصية والجملة من قبيل الكيانات اللسانية المتباينة، والمختلفة من حيث الصياغة النحوية؛ لذا ذهب Gopnik إلى وجوب الفصل بينهما باعتبارهما أمرين متقابلين منفصلين إلا في بعض الظواهر العامة، مما يبين لنا أن العلمين ينفصلان في خصوصيات خاصة ويجتمعان في بنى عامة. ومن "الدارسين من اعتبر أن نحو الأنساق النصية مشتمل على نحو الجملة حملا على اشتغال النص على الجملة، فكل ما دخل في موضوع لسانيات الجملة هو أيضا داخل في موضوع لسانيات الأنساق النصية"³⁰. يتبين بأن التواصل مع النص يقتضي منا الإحاطة بالقواعد التركيبية والتأويلية للنص، وأن الغاية العظمى من نحو النص هي صياغة النصوص التي تمكنا من وصف الأبنية النصية بمختلف أشكالها وأنواعها، ووصف الإواليات النصية. وللإشارة أن المهتمين بلسانيات الأنساق النصية ينقسموا إلى فرق ثلاث: فريق يمجّد العلاقة الرابطة بين لسانيات الجملة ولسانيات الأنساق النصية على أساس أن الثانية تتمم الأولى وتطويرا لها، والفريق الثاني يثبت مدى التباين الحاصل بين العلمين، على أساس أن كل علم له مكوناته وخصوصياته وقضاياها وإشكالاته، والفريق الثالث يشير إلى أن العلمين يجتمعان في النحو الشامل ويختلفان في النحو الخاص. في حين نرى أن العلاقة الرابطة بينهما تقوم على الترابط والتكامل المعرفي بين عناصر النحويين.

2. المنهج الجمالي وآليات تحليل النص:

2.1 التلقي والتأثير: آلية للتحليل الجمالي:

تركز نظرية الأنساق الجمالية جل اهتماماتها، على "العلاقة الجدلية" بين "التأثير" و"التلقي"، أو بين "النص والمتلقي"³¹، دون اختزال هذه العلاقة في أحد طرفيها³²، أي دون اختزال العلاقة في "التأثير" أو "التلقي" وحده، على حساب الطرف الآخر كما تفعل جل النظريات الأخرى، فهي تنظر إلى هذه العلاقة على أساس أنها علاقة جدلية تحاورية بين الأنساق ومتبادلة بين "التأثير" الذي يمارسه النص و"التلقي" الذي يمارسه المتلقي، وبهذا ستبقى مشروطة في الآن نفسه ببنيات النص التأثيرية والتوجيهية³³، وأكثر من ذلك تقوم بدور أساس يتجلى في تحديد طبيعة "فعل القراءة" وإنتاج التأثير، غير أن هذا لا يعني بأن "بنية الفعل" مفصولة عن "بنية رد الفعل" المرتبطة بالمتلقي، لأن النص الفني لا يمكن أن يوجد إلا بواسطة الوعي الذي يتلقاه، سواء في لحظة البث، أو في لحظة القراءة وسيرورتها التاريخية³⁴، قد لا يهمننا في هذا الجانب نوع التأثير الممارس من لدن القارئ في النص الفني، بقدر ما تهمننا العلاقة بين نص قد أنجز فعلا، وبين قارئ قد حقق ردود أفعال.

وفي إطار الثلاثية المتكونة من الكاتب والعمل الأدبي والجمهور، فإن الأخير ليس مجرد عامل سلبي، ينحصر دوره في الفعل المحدد سلفاً، لينمي بدوره طاقة تساهم في صنع التاريخ، وليس بالإمكان تصور حياة العمل الأدبي عبر التاريخ دون المشاركة الحية لأولئك الذين وجه إليهم³⁵. وبناء عليه، يمكن اختصار تصور «ياوس» (Jauss) لتاريخية العمل الأدبي ولمجموع المفاهيم المشكلة لنظريته، من خلال قولته: "إن العلاقة بين العمل والقارئ تتقدم في مظهر مزدوج، جمالي وتاريخي"³⁶، لبناء نظرية للتواصل الأدبي، يرتكز موضوع أبحاثها على ثلاثة عناصر فاعلة: المؤلف والعمل الأدبي والجمهور، أي عملية جدلية³⁷، تتم فيها دائماً الحركة بين "الإنتاج" و"التلقي" بواسطة التواصل الأدبي³⁸.

2.2 أفق التوقع آلية لتحليل الأنساق الجمالية:

اهتم «هانس جورج جادامير» (Hans Georg Gadamer) بالتاريخ بوصفه مدونة تضم الإدراكات السابقة، وأصوات الخبرات...، لأنها تشكل سندا رئيساً لأفق التوقع، الذي تساهم في بلورته تخمينات القارئ. وقد تطور هذا الأفق عند «ياوس» (Jauss) بكونه مدونة تضم معايير تذوق العمل الأدبي عبر التاريخ، وتمتلك قيمة مقبولة في كل عملية فهم³⁹، فمفهوم "التوقع" حسب «ياوس» (Jauss) يساهم في إدراك تاريخ الأدب⁴⁰، والوصول إلى معرفة "جمالية التلقي"⁴¹، حيث اعتُبر الأطروحة المركزية في عمل "ياوس"، وقد وجد جذوره في هيرمينوطيقة أستاذه «جادامير» (Gadamer). ويرتبط برؤية «ياوس» (Jauss) للعمل الأدبي المرتبطة بتاريخيته، وبتلقي العمل ضمن العمل نفسه، وضمن علاقته مع الأعمال السابقة له.

ومادام الأثر الأدبي يرتبط بالأعمال السالفة، فإنه لا يقدم نفسه، باعتباره جديداً جده مطلقاً منبثقة من فراغ؛ إذ إن جمهوره يكون مستعداً لتلقيه من خلال مرجعية من الإشارات الخفية، فهو يوقظ ذكريات لما سبق قراءته، ويضع القارئ ضمن استعداد عاطفي مسبق. عندها تبدأ توقعات لوسط العمل ونهايته بالظهور، وهي توقعات يمكن تثبيتها أو نفيها خلال القراءة طبقاً لقواعد محددة مرتبطة بجنس النص أو نوعه⁴². واعتماداً على الطروحات المركزية التي قدمها رواد النظريات السالفة تبيين لـ «ياوس» (Jauss) بأن فاعلية هذا الأفق تنطلق مسبقاً من التلقي التفسيري للنص، حيث يمكن طرح السؤال حول التفسير الفردي، وتذوق القراء المختلفين، ومستويات القراء والقراءة بشكل ذي معنى فقط، عندما يكون قد أوضح أولاً كل أفق جمالي يحكم تلقي وتأثير النص، من ثم فمفهوم أفق التوقع حسب «ياوس» (Jauss) يتمثل في "النسق المرجعي الذي يمكن أن يصاغ موضوعياً"⁴³، وفي منظور أحمد طايبي: "يجسد النسق المرجعي لكل تجربة مأمولة ومحتملة، بل العنصر الباني والمؤسس للمعنى في الفعل البشري والفهم الأولي للعالم"⁴⁴. ومن خلال ذلك يتضح أن الميل نحو عمل محدد، وهو ما يطلبه الجمهور، يمكن الوصول إليه حتى في الوقت الذي تغيب فيه الإرشادات الواضحة من خلال ثلاثة عوامل محددة سلفاً بشكل عام⁴⁵:

1. التجربة القبلية التي يمتلكها الجمهور عن جنس النص.

2. شكل الأعمال السابقة وموضوعها، والتي يفترض العمل الجديد معرفتها.

3. التعارض بين وظيفة اللغة الشعرية ووظيفة اللغة العملية⁴⁶، والتي تكون دائما للقارئ الانطباعي أثناء القراءة بكونها افتراضا للمقارنة. ومن هنا يتبين أن نظرية الأنساق الجمالية تركز اهتماماتها على الأقطاب الثلاثة السابقة، والتي تتلخص في التجربة القبليّة وشكل الأعمال السابقة والتعارض بين الوظيفة الشعرية ووظيفة اللغة اليومية.

3.2 المسافة الجمالية آلية للتحليل الجمالي:

يجدر بالذكر أن أي قارئ يمتلك بشكل أو بآخر "أفق توقع"، سواء قام بتشكيله قبل البدء في قراءة العمل الأدبي أو أثناءه.

وقابلية هذا الأفق للتحقق نسبية ومرتبطة بذكاء المؤلف وقدرته على الإمساك بحركية الخفاء والتجلي داخل فضاء النص الشعري، ويرى «ياوس» (Jauss) في هذا الصدد، بأن تحقق "أفق توقع" القارئ، بدرجة كبيرة في النص، علامة واضحة على بساطة هذا النص، وانتمائه إلى دائرة النصوص النمطية التي لا تمتلك أية قيمة جمالية مضافة. إن الأثر الأدبي في هذه الحالة يقترب من منظور «ياوس» (Jauss) "من مجال فن الوصفات الجاهزة"⁴⁷، يشير هذا الأمر إلى أن الأنساق الجمالية الجديرة بالتقدير والخلود، هي تلك التي تنجح في تغيير اتجاه أفق التوقع السائد لدى معظم القراء، سواء تم ذلك انطلاقا من التجديد في البناء الشكلي للعمل، أم عبر عمق الطرح الفكري لقضاياها. ومن أجل التأكد من مدى تحقق "أفق توقع" القراء اعتمد «ياوس» (Jauss) على مفهوم "المسافة الجمالية".

وإذا قام المرء بإطلاق مسمى "المسافة الجمالية" Anesthétique Distance على الفرق بين أفق توقع معطى ومظهر العمل الأدبي الجديد، والذي قد يؤدي تلقيه إلى "تغيير في الأفق" change of Horizons من خلال تجاهل الخبرات المألوفة، أو من خلال رفع الخبرات الحديثة إلى مستوى الوعي⁴⁸، فالمسافة الجمالية يمكن أن تحدد موضوعيا بشكل تاريخي مصاحبة لردود أفعال الجمهور والأحكام النقدية كالنجاح المباشر أو الرفض أو الصدمة، والفهم التدريجي أو المتأخر أو الموافقة المشروطة التي يقوم بها العمل الأدبي في اللحظة التاريخية لظهوره بإشباع أو تجاوز أو إحباط أو معارضة انتظارات جمهوره الأول، تقدم بشكل واضح محدداً لتحديد قيمته الجمالية، فالمسافة بين "أفق التوقع" والعمل (...) تحدد السمة الفنية للعمل الأدبي حسب جمالية التلقي⁴⁹، إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام يتمثل فيما يلي: إلى أي حد ساهم "الانزياح الجمالي" في بناء "أفق توقع" النص الأدبي؟

4.2 الانزياح الجمالي آلية لتحليل الأنساق الجمالية:

اعتمد «ياوس» (Jauss) على هذا المفهوم لقياس درجة توتر الأنساق الجمالية بين قارئ متشبع بحمولات فنية وثقافية وبين نص جمالي عنيد لا يستجيب بسهولة لتلك الانتظارات والتوقعات. وقد يستسلم القارئ أمام هذا التوتر، فيكف عن قراءة النص، وقد يرفع بدوره شعار التحدي فيستمر في قراءته بمرونة؛ ليجد نفسه أمام معايير جديدة قد تغير أفق انتظاره. وعلى هذا الأساس فإن هذا المفهوم يعد أداة أساسا يعتمد عليها في التأريخ للأدب. حيث يعرفه

«ياوس» (Jauss) بقوله: "وإذا سمينا "انزياحا جماليا" *écart esthétique* المسافة الفاصلة بين "أفق التوقع" الموجود سلفا، وبين العمل الجديد الذي يحدث تلقيه "تغيرا في الأفق"، بتعارضه مع التجارب المألوفة أو بجعل تجارب أخرى. معبر عنها لأول مرة. تبلغ مستوى الوعي؛ فإن هذا الانزياح الجمالي قياسا إلى ردود أفعال الجمهور (نجاح مباشر، رفض أو صراع، موافقة الأفراد، فهم تدريجي أو بطئ)، من الممكن أن يصبح معيارا للتحليل التاريخي"⁵⁰.

وقد يستجيب الأثر الأدبي فور ظهوره لتوقع جمهوره الأول، وقد يتجاوزه أو يخيبه أو يعارضه، هذه الكيفية التي يتفاعل بها الأثر الأدبي مع الجمهور تزود المتلقي بمعيار للحكم على قيمته الجمالية السابقة. و"تغيير الأفق" الناتج عن استقبال الأثر الأدبي الجديد، تحدد لجمالية التلقي الخاصية الجمالية الخالصة لأثر أدبي ما⁵¹.

5.2 لسانيات الأنساق النصية والمتلقي:

يرى "أيزر" أن النص لا يتموقع بالنسبة إلى واقعه الخارجي العام، بل يتموقع بالنسبة إلى الأنساق الدلالية السائدة في عصره، باعتبارها نماذج فكرية لفهم وتأويل هذا الواقع⁵². وكل نسق دلالي، باعتباره تفسيرا اختزاليا وانتقائيا لتجربة العالم، يعرف مجموعة محددة مستقرة من المعايير ومن العادات، وكيفيات التأويل، وسلما خاصا من القيم، وأنواعا معينة من التوقعات (...). وسوف تظهر في كل نسق مجموعة من الإمكانيات الدلالية السائدة في مقابل مجموع الإمكانيات الدلالية الأخرى الممكنة لفهم العالم، والتي يقصمها وينسفها هذا النسق⁵³، وكما أنها تحيل على أفق النسق في حد ذاته وإلى حدوده الخاصة⁵⁴، يعني كل ما تعلقه هذه الأنساق أو تعطله، لأنها لا تستطيع إدماجه دون أن يزحزحها من أجل تحقيق ذلك، فالنصوص الأدبية تحاول أن تثبت أو تنف الأنساق اللغوية المشكلة لها، من خلال إمكانياتها الدلالية.

والملاحظ أن "إيكو" و"أيزر" يتوافقان حول ضرورة وجود استراتيجية نصية ما لتنظيم وترتيب العملية التواصلية والمادة النصية. وإن كانت عناصر الاستراتيجية "الإيكوية" تفوق الاستراتيجية "الأيزرية"⁵⁵؛ لأنها تحاول التحكم في السيرورة التواصلية من الكاتب النموذجي إلى القارئ النموذجي، بالارتكاز على قصيدة الكاتب وقصيدة النص وقصيدة القارئ، فإن نظرية "أيزر" تقترح بدورها بنيتين خاصتين تطلعا مفهوم الاستراتيجية عنده، نقصد بذلك أولا: البنيات الخلفية والأمامية "Structure de l'avant et l'arrière plan"، وثانيا بنية الموضوع والأفق "Structure du thème et de l'horizon"⁵⁶.

ذلك أن النص يتحقق باعتباره نوعا من الاستراتيجية⁵⁷، والذي لا يمكنه أن يبني إلا وفقها، والتقاء بسجل ما؛ لكن ذلك المعنى لا يتأسس دفعة واحدة، وكي تحقق الاستراتيجيات النصية هذه المهمة، عليها أن تربط عناصر السجل النصي بعضها ببعض⁵⁸، وهو ما أشارت إليه ميساء زهدي الخواجا قائلة: "يلاحظ أن مفهوم "الصورة الأمامية الخلفية" قد يرتبط باعتماد أيزر على الرواية كنموذج تطبيقي لعمله. ومن هنا يكن فهم حديثه عن انتزاع معايير الواقع الاجتماعي من سياقها ووضعها في سياق آخر داخل العمل الأدبي، وعند ذلك تطفو على السطح معانٍ جديدة

لكنها ستجرب سياقها الأصلي في أعقابها، وستظل عملية الانتقاء الكامنة في كل نص أدبي تخلق هذه العلاقة بين الصورة الأمامية والخلفية⁵⁹.

بحيث يكون التوافق بينها ممكنا، وهذا يعني أن الاستراتيجيات النصية هي المسؤولة عن كيفية توزيع عناصر السجل على النسيج النصي وترتيبها وتنظيمها، وعلى ضوءها يتحدد النص في بنائه وشكله الخاص، وهي التي "تقيم العلاقة بين السياق المرجعي للسجل النصي وبين القارئ المدعو لتحقيق نسق الموافقات النصية"⁶⁰، فهي الرابط بين النص ومرجعياته، وبين المعنى والمتلقي.

تقوم الاستراتيجيات برسم حدود بناء موضوع النص ومعناه، وكذلك كل ما يتصل بشروط التواصل⁶¹، ويوضح "آيزر"، في السياق نفسه، أنه لمعرفة أهمية، وكيفية اشتغال هذه الاستراتيجيات، فإنه على المتلقي أن يقوم بفصلها وإبعادها عن النص ذاته⁶². وبهذا يستطيع إدراك مكانة الاستراتيجيات النصية خارج النص لمعرفة دورها داخل النص، وأهميتها في تفكيك الأنساق وبناء التأويلات.

يقول "آيزر": "لا بد للاستراتيجيات النصية أن تنظم العلاقات الداخلية للنص، وأن تكون الموضوع الأدبي الذي يبلور عملية القراءة"⁶³. وكما ترسم النسق التعادلي للنص، حيث تربط ما بين أجزائه. يقول عبد الكريم شرفي: "كي يتحكم النص في أفعال الفهم لدى القارئ، أو في عمليات تحقيق التوافقات النصية المعلقة أو المعطاة افتراضيا فقط، فإن النص ((ينظم استراتيجية معينة)) ولكي تحقق الاستراتيجيات النصية هذه المهمة فعلها أن ((تربط عناصر السجل النصي بعضها ببعض)). بحيث يكون التوافق بينها ممكنا"⁶⁴.

مع ذلك يوضح "آيزر" أنه لا يجب الاعتقاد بكون الاستراتيجيات تمثل التحام النص ووحدته بشكل شامل، بل تكتفي بتقديم بعض إمكانيات القراءة للقارئ⁶⁵، فهي تقدم إوليات أولية للقراءة، إنها ترسم شروط تلقي النص الأدبي، لذلك يرى عبد الكريم شرفي بأن "الاستراتيجيات النصية لا تشكل المعنى بنفسها، إن هذه المهمة ملقاة على عاتق القارئ، ولكنها في المقابل تشكل مجموعة من التأثيرات والتعليمات النصية الضرورية لتوجيه القارئ أثناء بنائه لمعنى النص. ويمكننا الآن أن نتساءل عن البنية أو البنيات الأساسية لهذه الاستراتيجيات وعن كيفية توجيهها للقارئ"⁶⁶.

بمعنى أنها تشكل التوجيهات العملية التي تقدم للقارئ مجموعة من الإمكانيات المركبة التي يركز عليها فعل القراءة⁶⁷، في حين يرى عبد الكريم شرفي أن الاستراتيجيات لا تتكفل فقط بتنظيم المواد النصية، وإنما تنظم أيضا شروط التواصل، أي أنها (تشمل بنية النص الباطنية، وعمليات الفهم التي تستثار نتيجة لذلك لدى القارئ. ومن هذا المنطلق كان آيزر لا ينظر إلى الاستراتيجيات النصية باعتبارها مجرد تأثير يمارسه النص، بل باعتبارها آلية تسبق عملية بناء النص وبناء معناه أيضا⁶⁸.

من هنا يقوم القارئ بفك الشفرة عبر عمليات الانتقاء، والربط بينه وبين النص، مما يسمح بفهمه⁶⁹، ويتضح لنا من خلال ما أورده عبد الكريم شرفي "أن الاستراتيجيات النصية لا تشكل المعنى بنفسها، إن هذه المهمة ملقاة على عاتق القارئ، ولكنها في المقابل تشكل مجموعة من التأثيرات والتعليمات النصية الضرورية لتوجيه القارئ أثناء بنائه لمعنى النص. ويمكننا الآن أن نتساءل عن البنية أو البنيات الأساس لهذه الاستراتيجيات وعن كيفية توجيهها للقارئ"⁷⁰.

وفي ذلك لا تصبح القراءة عملاً موجهاً من القارئ ورغباته فقط، وليس عملاً نصياً يرتبط بعلامات النص وحده أيضاً فحسب، وإنما هي عمل مشترك قابل للتغيير بنمو القراءة وتطورها. مما يبين أن قراءة النص ممارسة تفاعلية يحكمها قطبان: فني وجمالي، الأول يرتبط بالنص وعلائقه الداخلية القائمة على الاتساق والانسجام، والثاني يتعلق بمتلقيه الذي يتزود بسجل لغوي نصي قبل قراءته للنص والحكم عليه، والإجابة عن مجمل الإشكالات التي يفترضها.

خاتمة:

تشكل لسانيات الجملة صورة من صور التحليل النحوي وتقف في معالجتها عند حدود الجملة وترى أنها هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها، دون أن يتجاوزها إلا في القليل النادر. فإذا ما تعدى الأمر حدودها إلى التتابعات الكبرى المتصلة بالنص نكون أمام نحو لأنساق النصوص. ذلك أن لسانيات الأنساق النصية أعادت الاعتبار لجانب المعنى والمقام، من خلال اعتمادها على الاستعمال اللغوي الذي غيب في الدراسات السالفة؛ إذ إن عملية تحليل النصوص، من خلال وجهة لسانيات الأنساق النصية، تبنى على القضايا النفسية، والتداولية، والاجتماعية. الثقافية.

ولكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة، وفي انسجام قضاياها المعرفية، واتساق أنساقه ومكوناته وعناصره الشكلية، وتعالق وحداته النحوية. وإذا كان النص والسياق شديدي الارتباط والاتصال بحيث يصعب فصل أحدهما عن الآخر، كما يرى أغلب الباحثين، فإن من سمات النصية أن تسمح للنص بالتماسك ليس فقط بين أجزائه بعضها ببعض، وإنما بين قضاياها وسياقاته، وبنياته الكبرى التي من الممكن أن تصير بدورها موضوعاً لبعض القواعد والقيود المتغيرة بتغير أنواع الأقاويل.

ومن مهام علم أنساق النص تصنيف وتعريف هذه المقولات والقواعد وخصوصيات وظائفها التناسبية. من ثم استطاع دايك الجمع بين السياق وعلم أنساق النص من خلال أبحاثه المتباينة، ودراساته القيمة. وبناء عليه نخلص إلى مجموعة من الخلاصات والاستنتاجات، ومن أهمها ما يلي:

- إن "الأنساق الجمالية" تركز جل اهتماماتها، على "العلاقة الجدلية" بين "التأثير" و"التلقي"، أو بين "النص والمتلقي".

- إنها علاقة تحاورية ومتبادلة بين "التأثير" الذي يمارسه النص و"التلقي" الذي يمارسه المتلقي، وبهذا ستبقى مشروطة في الآن نفسه ببنيات النص التأثيرية والتوجيهية.

- إن آليات الأنساق الجمالية يمكن حصرها فيما يلي: التلقي والتأثير. أفق التوقع. المسافة الجمالية. الانزياح الجمالي. السجل الجمالي. الاستراتيجية الجمالية. بنية الواجهة الأمامية والواجهة الخلفية. وأماكن اللاتحديد. والبياض الجمالي. والسانكرونية والدياكرونية.

- إن معايير لسانيات الأنساق النصية تتمثل فيما يلي: السبك. الالتحام. القصد. القبول. رعاية الموقف. التناس. الإعلامية. ويمكن تقسيم هذه المعايير السبعة إلى ثلاثة أصناف:

- ما يتصل بالنص في ذاته: السبك والالتحام.
 - ما يتصل بمستعملي النص: سواء أكان منتجا أو متلقيا، معيارا القصد والقبول.
 - ما يتصل بالسياق الخارجي للنص، وذلك يرتبط بالمعايير الثلاثة: الموقف والتناس والإعلامية.
- إذا كانت لسانيات الأنساق النصية لها جدور فلسفية وعلمية، وتصور تداولي، فإن نظرية الأنساق الجمالية لها الجدور نفسها، والتصور نفسه.

- وإذا كانت لسانيات الأنساق النصية تركز على العديد من آليات السبك والالتحام قصد تشكيل بنية مترابطة وشاملة للنص، فإن نظرية الأنساق الجمالية تهتم بالترابطات النصية التي تفرضها الاستراتيجيات الجمالية بهدف تحقيق جمالية النص. من ثم فكلاهما يرغبان في الوصول إلى نصية النص.

- إن لسانيات الأنساق النصية لم تسقط من حسابها الاهتمام بالسياق الخارجي للنص، وهو المرتبط بالمعايير الثلاثة: الموقف والتناس والإعلامية. في حين نجد نظرية الأنساق الجمالية قد ارتبطت بالسيرورة الدياكرونية والسانكرونية والسجل النصي، وهي معايير لها صلة وطيدة بالسياق النصي. من هنا، فكلاهما يعتبران السياق من بين أولويات الدراسات النصية.

- وإذا كانت نظرية الأنساق الجمالية تهتم بالمتلقي من خلال ارتكازها على أفق توقعه، فإن لسانيات الأنساق النصية قد انتقت معياري: القصد والقبول المرتبطين بالمتلقي، فكلاهما يرغبان في تحقيق سياق النص.

• المصادر والمراجع:

1. أحمد طايبي، القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، منشورات زاوية، ط 1، الرباط. المغرب، 2007 ص 40.
2. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 2001.

3. إدريس بلمليح، استعارة الباث واستعارة المتلقي، ضمن نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، ط1، الدار البيضاء. المغرب، 1992.
4. بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول... وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت. لبنان، 2001.
5. الجرجاني، (816هـ/1413 م) التعريفات، دار الكتاب العربي، ط 2002.
6. جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسات لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009.
7. سامي إسماعيل، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وولفغانغ إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2002.
8. عبد العزيز طليعات، فعل القراءة: بناء المعنى وبناء الذات قراءة في بعض أطروحات إيزر، ضمن نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء. المغرب 1992.
9. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، ط 1، ناشرون، 2007.
10. عثمان أبو زينيد: "نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية"، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2009.
11. عمر أبو خرمة: "نحو النص نقد النظرية... وبناء أخرى سورة البقرة نموذجاً"، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد. الأردن، ط2004.
12. فان ديك: "النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة: عبد القادر قنيبي، أفريقيا الشرق، طبعة 2000.
13. فولفجانج هاينه مان ديتفم فاجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004.
14. كارل بروكلمان. (1376 هـ / 1956 م)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة وتقديم يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف، ط3، القاهرة، ب س، ج 1.
15. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ترجمة وتعليق: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، ط1، 2005.
16. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، ج1، مج 14، المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، 2001.
17. محمد خطابي: "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، ط2، 2006.
18. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء. المغرب، 1985.
19. ميساء زهدي الخوaja، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009.
20. هانس روبرت ياوس هانس روبرت، ياوس، "نحو جمالية التلقي"، ترجمة وتقديم: محمد مساعدي وعز العرب الحكيم بناني، العدد الثاني، غياب الطبعة والسنة، مطبعة الأفق. فاس.
21. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، أغسطس 1992.

22. H.R.Jauss, «pour une esthétique de la réception», trad par Claude Maillard, Gallimard, paris. 1972-1978.

23. Halliday, M A K and R.Hasan, Cohesion in English.longman.london, 1976.

24. W.Iser, "The Act of Reading Theory of Aesthetic Effect", translated from German by Evelyn Sznyer, ed : stone. Mardaga. Brussels, 1985.

25. W.Iser, l'acte de lecture théorie de l'effet esthétique , traduit de l'allemand par evelyna sznyer , éd : pierre. Mardaga . Bruxelles, 1985.

• الهوامش:

- 1 - عثمان أبو زنيد: "نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية"، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2009، ص:31.
- 2 - عمر أبو خرمة: "نحو النص نقد النظرية... وبناء أخرى سورة البقرة نموذجاً"، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط2004، ص:83.
- 3 - محمد خطابي: "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، ط2، 2006، ص:13.
- 4 - Halliday, M A K and R.Hasan (1976), *Cohesion in English*.longman.london, p; 10.
- 5 - محمد خطابي: مرجع سابق، ص:28.
- 6 - فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2000، ص258.
- 7 - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسات لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009، ص411.
- 8 - المرجع نفسه، ص305.
- 9 - فان دايك: مرجع سابق، ص211.
- 10 - المرجع نفسه، ص214.
- 11 - فولفجانج هاينه مان ديتفمفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004، ص64.
- 12 - فان دايك، مرجع سابق، ص19.
- 13 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، ج1، مج14، المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، 2001، ص8.
- 14 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 15 - أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001، ص65.
- 16 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، مرجع سابق، ص69.
- 17 - المرجع نفسه، ص65.
- 18 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 19 - المرجع نفسه، ص7372.
- 20 - المرجع نفسه، ص70.
- 21 - فولفجانج هاينه مان ديتفمفجر، مدخل إلى علم لغة النص"، مرجع سابق، ص109.
- 22 - أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مرجع سابق، ص67.
- 23 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، مرجع سابق، ص81.
- 24 - المرجع نفسه، ص70.
- 25 - أحمد عفيفي، مرجع سابق، ص65.
- 26 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، أغسطس 1992، ص229.
- 27 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، أغسطس 1992، ص229.
- 28 - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ترجمة وتعليق: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، ط1، 2005، ص68.
- 29 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، مرجع سابق، ص104.
- 30 - المرجع نفسه، ص100.
- 31 W.Iser, *l'acte de lecture théorie de l'effet esthétique*, traduit de l'allemand par evelyna sznyer, éd : pierre. Mardaga. Bruxelles, 1985, P :13.
- 32 - أي دون اختزال العلاقة في أحد طرفيها: "التأثير" أو "التلقي".
- 33 -W.Iser, *"The Act of Reading Theory of Aesthetic Effect"*, translated from German by Evelyn Sznyer, ed : stone. Mardaga. Brussels, 1985. PP: 13-14.
- 34 - إدريس بلمليح، (1948 هـ / 2013 م)، استعارة الباحث واستعارة المتلقي، ضمن نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، ط1، الدار البيضاء. المغرب، 1992، ص 109.
- 35- W. Iser, *op, cit*, PP: 44-45.

36- *Ibid, P: 45.*

- 37- الجدل: ارتبط الجدل عند صاحب اللسان بمعان متباينة منها: الفتل، واللفظ. أنظر بن منظور، مص س، مج 11، باب اللام، فصل الجيم جدر(جدل)، ب ط، ب س، ص 103. واتخذ الجدل في البعد الاصطلاحي معنى آخر، حيث قال علي بن محمد بن علي الجرجاني: "الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات". أنظر الجرجاني، (816هـ/1413 م) التعريفات، دار الكتاب العربي، ط 2002، ص 66.
- 38- هانس روبرت ياكوب هانس روبرت، ياكوب، "نحو جمالية التلقي"، ترجمة وتقديم: محمد مساعدي وعز العرب الحكيم بناني، العدد الثاني، غياب الطبعة والسنة، مطبعة الأفق، فاس، ص 130.
- 39- بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول... وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 2001، ص 40.
- 40- من المعلوم أن تاريخ إحدى اللغات الميتة حسب "بروكلمان"، يبنني على أساس عدد محدود من الآثار، وكما أنه سيبقى ناقصا إذا أراد إخضاعه لقيود الثقافة الحديثة، لأنها تنظر إلى الشعر باعتباره أدبا دون غيره، لقول "بروكلمان": "فالذي يعد أدبا على وجه العموم عند شعوب الثقافة الحديثة هو ثمار الشعر بأوسع معانيه". أنظر كارل بروكلمان، (1376 هـ/1956 م)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة وتقديم يعقوب بكرورمضان عبد التواب، دار المعارف، ط 3، القاهرة، ب س، ج 1، ص 3.
- 41- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، ط 1، ناشرون، 2007، ص 163.
- 42- وقد أكدت "ميساء زهدي" الخواجا ما جاء به الرائد "ياكوب" في معنى قولها إن العمل الأدبي في لحظة صدوره لا يقدم نفسه على أنه شيء جديد مطلق. أنظر ميساء زهدي الخواجا، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2009، ص 18.
- 43- H.R.Jauss, «pour une esthétique de la réception», tard par Claude Maillard, Gallimard, paris. 1972-1978, p:54.
- 44- أحمد طايغي، القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، منشورات زاوية، ط 1، الرباط، المغرب، 2007 ص 40.
- 45- سامي إسماعيل، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياكوب وولفغانغ إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2002، ص 94.
- إدراك التعارض الحاصل بين الوظيفة الشعرية والوظيفة العملية للغة. أو بين العالم التخيلي والواقع اليومي. ويتضح مؤدى هذا التعارض في أنه لم يكن باستطاعة القارئ تحديد المواصفات الجمالية للأدب، ما لم يكن في مقدوره إدراك نوع المفارقة القائمة، بين وظيفة لغة شعرية تختزن قيما اختلافية ذات فعالية قصوى، وبين وظيفة لغة واقعية. أنظر أحمد طايغي، القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، مرجع سابق، ص 12. 25. نقلا عن محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 131. 132.
- 46- ويجدر بالذكر أن "ميساء زهدي الخواجا لفتت اهتمامها إلى كون "روبرت هولب" انتقد هذا المفهوم ووصفه بالغموض وعرفه بأنه "نظام من العلاقات أو جهاز عقلي يستطيع فرد افتراضي أن يواجه به أي نص". من هنا فإنه لا يشتمل على القيم فحسب، بل على الرغبات والمطالب والطموح كذلك. أنظر ميساء زهدي الخواجا، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، مرجع سابق، ص 18.
- 47- هانس روبرت ياكوب، (1419هـ/1997هـ)، نحو جمالية التلقي، مرجع سابق، ص 66.
- 48- سامي إسماعيل، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياكوب وولفغانغ إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، 2002، ص 95.
- 49- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 50- H.R.Jauss : op , cit, 1978. P: 53.
- 51- هانس روبرت ياكوب، (1419هـ/1997هـ)، نحو جمالية التلقي، مرجع سابق، ص 65.
- 52- عبد الكريم شرفي، "من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة"، مرجع سابق، ص 194.
- 53- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 54- W. Iser, op, cit, P: 133.
- 55- يلاحظ أن الاستراتيجية "الإيكوية" نسبة إلى "أمبرطو إيكو"، والاستراتيجية "الأيزرية" نسبة إلى "ولفغانغ إيزر".
- 56- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، مرجع سابق، ص 200.
- من الراجح أن بنية الصورة الأمامية لا يمكن أن تقوم إلا باستحضار الصورة الخلفية، أي لم يكن بإمكان المتلقي إدراك العنصر المرجعي ومعناه الجديد، إلا من خلال المعايير الخلفية التي تركها، ثم يلمع إليها عند الحاجة. من هنا يستهل إدراك غير المؤلف في ضوء ما هو مؤلف.
- 57- W. Iser, op, cit, P: 144.
- 58- *Ibid, P: 161.*
- 59- ميساء زهدي الخواجا، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2009، ص 32.

60 - عبد الكريم شرفي، مرجع سابق، ص 200-201.

61 - عبد العزيز طليعات، فعل القراءة: بناء المعنى وبناء الذات قراءة في بعض أطروحات إيزر، ضمن نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء. المغرب، 1992، ص 156.

62 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

63 - *W. Iser, op, cit. P: 114.*

64 - عبد الكريم شرفي، "من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة"، مرجع سابق، ص 200.

65 - عبد العزيز طليعات، "فعل القراءة"، مرجع سابق، ص 156.

66 - عبد الكريم شرفي، مرجع سابق، ص 201.

67 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

68 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

69 - ميساء زهدي الخواجا، "تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب"، مرجع سابق، ص 32-33.

70 - عبد الكريم شرفي، مرجع سابق، ص 201.

- مبدأي القصصية والمقبولية لدى المتلقي، لتأطير أفق توقعه.

المصطلحات التأسيسية للسانيات السوسيرية- الثنائيات اللغوية أنموذجا-

The basic terminology of the Susser -Ethnic linguistics is a model-

د. فارز فاطمة، Farez Fatima

جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر

University Ibn khaldoun Tiaret, Algeria

إيميل الباحث: farez1980@gmail.com

الملخص:

شكّلت آراء اللغوي فردينان دي سوسير منعرجا رئيسيا ومنعطفًا أساسيا، إذ ساهم في توجيه مسار البحث اللغوي وتغيير منحاه بعد ظهور اللسانيات التي أحدثت له قفزة نوعية، بحيث انتقل الدرس اللغوي من المعيارية إلى العلمية. فهو يعدّ بحق رائد ومؤسس اللسانيات التي تبحث في الظاهرة اللغوية ونشأتها وتطورها وكشف القوانين الخاضعة لها؛ وقد اتّسمت بالشمول و اتّصفت بالانسجام، كونه وضّح حدودها واختصاصها و ضبط أصولها ووضع أسسها المنهجية وأرسى قواعدها و سطر معالمها. فاللساني دي سوسير هو العنصر الفاعل الذي تولّدت من طرحه الكثير من الاتجاهات والتيارات، وانطلقت منه العديد من القضايا والنظريات. وقد اكتفينا بذكر أهمّ مفاهيمه التي اشتهر بها وهي الثنائيات اللغوية، لأنّ المجال لا يتسع للإشارة إلى كلّ منجزاته. الكلمات المفتاحية: اللسانيات، اللغة، الكلام، الدال، المدلول، الأنية، الزمانية، العلاقات السياقية، العلاقات الترابية.

Abstract:

The form of the opinions of linguistic Ferdinand de Saussure zig a key and a key turning point; it has contributed to direct the course of linguistic research and the change gave him after the emergence of linguistics which has not leap; so that scroll lesson the language of architecture to the scientific. He is truly a pioneer and the founder of linguistics by looking at the linguistic phenomenon and its inception and its development revealed the laws under it; and was marked by inclusion and called Harmony, being a victim of its borders and its jurisdiction and to adjust its assets and founded and established their bases and line landmarks. Tongue de sousier is the actor that has generated many trends and trends, from which many issues and theories have emerged.

And drive we merely mentioned the most important of his well-known notions of linguistic duality; there is no room for referring to all of his achievements.

Keywords: Linguistics, language, speech, signifier, signified, the immediate, the temporal, and contextual relationships, the relationships are associative.

تقديم:

شهد الدرس اللغوي محطات عديدة عبر الحقب الزمنية المختلفة، غير أنّ مرحلة القرن العشرين لا تضاهيها أيّ مرحلة أخرى؛ إذ عرف -الدرس اللغوي- تغييراً جذرياً وجوهرياً ونقله معرفية إبستمولوجية بدت بوادرها وظهرت ملامحها مع اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير؛ فقد كان مدرسة قائمة بذاتها وشكّلت ألسنته قفزة نوعية بالنسبة إلى الحقول المعرفية الأخرى.

ولعلّ من نافلة القول التذكير بمفهوم اللسانيات وأهميتها العظمى؛ إذ هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري عبر الحقب الزمنية المختلفة؛ أي دراسة الظواهر اللغوية والصرفية والنحوية والدلالية وكذا مناهج البحث في اللغة، وتعنى بوصف اللغات وتاريخها، وتبحث في الخصائص والسمات المشتركة بين مجمل اللغات سواء تعلقت هذه السمات بالجانب المعجمي أو الصوتي أو الصرفي المورفولوجي أو التركيبي أو الدلالي. وقد رسمت اللسانيات خريطة اتجاهاتها وقدمت إطارها النظري وجهازها المفاهيمي، وحددت مبادئها تعدد محورا أساسيا ونموذجا علميا في بناء صرح العلوم اللغوية والأدبية، ولأجل ذلك لاقت الكثير من العناية الكبيرة من قبل الباحثين والدارسين واكتسبت الشرعية الكاملة في الوجود.

ولا شك أنّ الالتفات إلى بعض أفكار فرديناند دي سوسير - كالثنائيات اللغوية- يعدّ -في رأينا- من الأساسيات التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ إذ أمدّ النظريات والبحوث بالكثير من التصوّرات الرئيسية والمفاهيم والمعطيات الأساسية. فما المراد بالثنائيات اللغوية؟ وما القيمة العلمية التي أضفتها على الدرس اللغوي؟

●- الثنائيات اللغوية، مدخل نظري:

غلب على الدراسات اللغوية المنظوران التاريخي التطوري والمقارن، فالأول اعتنى بالمتغيّرات التي تلحق اللغة بكلّ ما يعنيه ذلك من جزئية وتقطيع تاريخي لمسار لغة ما، وأمّا المنظور المقارن والذي تولّد عن اكتشافات السنسكريتية فركّز على الملاحظات النحوية والصرفية بعيدا عن نظام اشتغال اللغات ذاتها وتعالق المستويات داخل بنية كلّ لغة على حدة، واكتفى بملاحظة أوجه القرابة أو الاختلاف على مستوى السطح، إلى غاية مجيء "دي سوسير De Saussure"⁽⁰¹⁾ الذي درس علم اللغة العام، ونبغ فيه حتى اعتبره بعضهم رائد الدراسات اللغوية في عصره، وزعيم المدرسة اللغوية الوصفية، ومؤسس الاتجاه البنوي في أوربا، وأول لغوي تجرأ على القيام بدرس في علم اللغة العام⁽⁰²⁾.

إنّ الدراسات اللسانية التي عقبها اللسانيات التاريخية لم تحقّق مجدها ولم تصب هدفها فلا ينكر هذا باحث مبتدئ في ميدان اللسانيات، ولكن كلّ مرحلة وما تميّز به من عقليات وذهنيات ومناخات، وما من شك في أنّ عقليات لساني القرن التاسع عشر لم تعد لها حتى الآن عقليات لسانية في القرن العشرين، ألم يكن "سوسير Saussure" أو "أنطوان مايبه Meillet Antoine"، أو "بودوان دي كورتناي Boudoin de Coartenay" أو "جسپرسن Jespersen" إلّا واحدا من الأبناء البررة للقرن التاسع عشر؟⁽⁰³⁾

فالموروث التقليدي بما هو عليه من إيجابيات وسلبيات أثار المسألة في نفس "سوسير Saussure"، أمام ملامسته وضعية من النقص المنهجي والإجرائي والمصطلحي والمفهومي⁽⁰⁴⁾.

لقد حصلت الدراسة اللغوية على الشرعية العلمية في القرن العشرين بفضل "دي سوسير De Saussure" الذي جدّد مناهج البحث في معالجة اللغة وتحليلها، وكرّس حياته القصيرة لمجموعة من المبادئ أسّست مدرسة لسانية قائمة بذاتها، شكّ خطوة علمية في اللسانيات لها مفاهيمها ومصطلحاتها ومناهجها الخاصة، وياتت نموذجا رائدا في

العلوم الإنسانية تصارع العلوم الدقيقة في علميتها ونتائجها الخاضعة للمنهج العلمي فكان لها الأثر البيّن في العلماء الذين عاشوا في عصره وفي المدارس اللسانية التي تأسست بعده، فغدت علما واصفا ومحللا للظاهرة وليست مادة معيارية⁽⁰⁵⁾. وقد كان لدي "سوسير De Saussure" تأثير عظيم، لا يدانيه تأثير في تكوين وبلورة وتطوير نظرية علم اللغة الحديث⁽⁰⁶⁾. ولقد صاغ مجموعة من الآراء تجلّت في تصنيفه لثنائيات ظلّت تتردد على ألسنة الباحثين والدارسين وفي المدارس اللسانية الحديثة بصيغ مختلفة وأشكال متنوّعة، وهذه الثنائيات سهّلت وضبطت العملية الوصفية الاستقرائية للظاهرة اللغوية⁽⁰⁷⁾.

وممّا لا شك فيه أنّ كتاب "دي سوسير De Saussure" "محاضرات في اللسانيات العامّة" قد بلغ قيمة علمية كبيرة لا تضاهيها أيّة قيمة أخرى في اللسانيات الحديثة قبل هذا العصر، فقد ساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين، والابتعاد بها كلياً عن مناهج اللسانيات التاريخية. ومن الأمور التي اشتهر بها استخدامه لظاهرة ملفتة للانتباه تمثّلت فيما يسمى بالثنائيات (Dichotomies) ومن الممكن جدّاً أن يكون هذا الرجل قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأنّ ثمة وجهان مختلفان لكلّ شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر، وقد ظهرت هذه الفكرة من قبل عند "أرسطو Aristote" و"ديكارث Descartes" واستعملها "دي سوسير De Saussure" من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية⁽⁰⁸⁾.

وقد تناولها "سوسير Saussure" في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامّة" "Cours de linguistique générale" عندما كان في لحظة التقنين لعلم لغوي جديد ألا وهو اللسانيات بعد مرحلة الفيلولوجيا وفلسفة اللغة⁽⁰⁹⁾. وبناء على هذه الثنائيات المتقابلة التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللغوية، شكّلت اللسانيات العامّة محورا أساسيا وتحولاً معرفيا أدت إلى تأسيس الوعي المنهجي في الثقافة الغربية وتوهج الفكر الأوربي بكلّ تجلياته المتنوّعة. ولم يكن ولوع "سوسير Saussure" بإبراز أوجه التناقض في اللسان بمجرد رغبة أو لإشباع نزوة أو هوسا على حدّ تعبير "فيكتور هنري Victor Henri" بقدر ما كانت تلك الثنائيات نتاج تمحيص لبني اللغة، ويبدو أنّ الثنائيات لا تمثّل تطابقا واختلافا جذريا، كما يتصوّرهما البعض أن تكون فهي متداخلة، وتبدأ حين تنتهي سابقتها، وليس لأحدهما قيمة إلاّ بالأخرى⁽¹⁰⁾. وتتمثّل في مجموعة من القضايا والمسائل الثنائية المتعارضة، وهي على التوالي:

1- اللغة والكلام:

احتلّت اللغة أسمى الأمكنة؛ إذ أصبحت جزءا من مرتكزات الفكر، ونموذجا للقياس والتطبيق، ومثالا للبحث في مستويات الظاهرة الفكرية، وكلّ هذا جعلها تتبوأ مكانتها المشار إليها في المنهجيات الحديثة والمعاصرة. وصار متعذرا البحث في أصول المنهجيات الفكرية دون وصف الأصول اللغوية لها، وكشف الجذور المتواشجة بين طروحاتها والأسس اللغوية التي تستند إليها⁽¹¹⁾، «وأهميّة الفصل القاطع بين اللغة من حيث هي نظام مستقل، وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي⁽¹²⁾».

أقام "دي سوسير De Saussure" تفرقة أولية هامة بين اللغة والكلام على اعتبار أنّ اللغة Langue نتاج اجتماعي لمملكة الكلام، ومجموعة من المواضع يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه المملكة، في حين أنّ الكلام Parole متعدّد الأشكال، متباين المقومات. موزّعا في الآن نفسه بين ميادين متعدّدة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي، منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي وإلى ما هو اجتماعي⁽¹³⁾.

إنّ "دي سوسير De Saussure" حين فرّق بين اللغة والكلام، كان يريد الفصل بين الخصائص العامّة التي تشكّل الوحدة والنظام، والخصائص الفردية التي تشكّل التفرد والتميّز وبعبارة موجزة بين الثابت والمتغير⁽¹⁴⁾.

ليست اللّغة أقل من الكلام في أنّها شيء ذو طبيعة محدّدة، ممّا يعتبر ميزة كبيرة في دراستها فرموز اللّغة شيء ملموس يمكن للكتابة تثبيته في صورة معهودة، وهذا ما يجعل علم الصوتيات والصرفيات والمعجم والنحو تمثيلاً أميناً للّغة⁽¹⁵⁾.

يرى معظم علماء اللّغة الآن أنّه من البديهي أن تأتي دراسة الكلام أولاً، أمّا اللّغة المكتوبة فتأتي في المرتبة الثانية لأنّها مشتقة من الكلام؛ بل هي تمثيل له⁽¹⁶⁾؛ إذ « يعدّ هذا الأخير كتكوين له أجزاءه ومكوناته⁽¹⁷⁾، ونجد الكلام أيضاً وهو أساساً فعل فردي للاختيار والتحقيق حسب "رولان بارت Roland Barthes" الذي يقول: « الكلام مكوّن أولاً من التركيبات التي تستطيع الذات المتكلّمة بفضلها استعمال شيفرة اللّسان قصد التعبير عن فكرها الخاص ويمكن أن يسمّى هذا الكلام خطاباً ثمّ من الأوليات النفسية الفيزيائية التي تمكّنه من تجسيد هذه التركيبات⁽¹⁸⁾».

وبهذا فإنّ « وظيفة اللّغة الأساسية هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلّم إلى المخاطب فهي بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر، وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم⁽¹⁹⁾».

فاللّغة واقع اجتماعي ثابت، بينما الكلام عمل فردي متغيّر، وهي أيضاً نتاج ينطبع به الفرد، بينما الكلام هو عمل إرادي، وعمل ذكاء يقوم به الفرد، وهي أيضاً الجزء الاجتماعي من عملية التكلّم، تكمن خارج نفوذ الفرد الذي لا يستطيع والحالة هذه، وحده أن يوجد أو أن يعدل بها؛ بل إنّها ناتج عن عقد قديم سبق أن قام بين أفراد المجتمع اللّغوي الواحد ولا يتسنى للفرد استعمالها إلا بعد إتمام عملية اكتسابها⁽²⁰⁾.

وبعبارة أخرى « هي نظام Système محكم وقائم على التضامن بين مختلف أجزائه المكوّنة له بحيث إنّ قيمة الجزء الواحد منه لا تظهر أو تتمّ إلاّ باقترانه مع الكلّ⁽²¹⁾. أمّا "الكلام فهو الجانب الفردي؛ إذ هو إخراج اللّغة من الكمون إلى الملموس⁽²²⁾».

يرى "دي سوسير De Saussure" « أنّ اللّغة المحكية كلّما كانت موعلة في الزمن كانت أحوج إلى الشهادة الخطيّة للكتابة⁽²³⁾. وبناء على ما تمّ ذكره، فإنّ هذه الثنائية قد أوضحت مجال اشتغال الدّراسات في اتجاهيها؛ اللّغوي والأدبي.

2- الدال والمدلول:

إنّ هذا الرّوج، من أهمّ المصطلحات لا من حيث قيمته النّظرية والعملية في حدّ ذاتها فحسب، وإنّما أيضاً بفضل ما تمّ له من امتداد إلى مجالات أخرى غير مجال الألسنية هي من مشمولات ما أصبح يسمى إثر "دي سوسير De Saussure" بعلم الدلائل؛ كما حدّد الدليل اللّغوي بأنّه كيان واحد لا يتجزأ، وذو وجهين متّصلين وملتحمين التحام وجه الورقة وقفاها، وأطلق على هذين الوجهين على الترتيب اسمي "الدال" و"المدلول". والدال Signifiant عنده هو "الصورة الأكوستيكية" أو الصوتية التي يتضمّنهما كلّ دليل. أمّا المدلول Signifié فهو منها "المتصوّر الذهني" أو ما كان يعبر عنه قديماً بـ "المعنى"⁽²⁴⁾.

إنّ دلالة الكلمة عند "دي سوسير De Saussure" هي نتاج العلاقة المتبادلة بين الكلمة أو الاسم وهي الصورة الأكوستيكية، وبين الفكرة، ومن هنا فإنّ الكلمة هي عبارة عن علامة لغوية⁽²⁵⁾، وهذه الأخيرة هي التي « أدّت بدي سوسير De Saussure إلى اعتبار اللّغة نظاماً من العلامات يتّخذها الفرد وسيلة للتواصل والتبليغ، ويمثّل هذا النظام كياناً مستقلاً من العلاقات الداخلية يتوقّف بعضها على بعض، وتحليل هذا الكيان يسمح لنا باكتشاف عناصر تربطها علاقات التبادل أو التقابل⁽²⁶⁾».

إنّ « اللّغة نظام من الدلائل⁽²⁷⁾، وكلّ دليل، لفظة لها وجهان: وجه دال وآخر مدلول. و« يتمثّل الأوّل في الصورة الملفوظة، والثاني فيما يحمله من قيمة تمييزية، تستبان من خلال وجوده الوظيفي داخل البنية التركيبية⁽²⁸⁾».

لقد أدرك "دي سوسير De Saussure" « بوضوح أن كلا من الدال والمدلول متحدان اتحاداً صميمياً. بيد أنه بين أن الربط بين الدال والمدلول هوربط اعتباطي، وأن نظام اللغة الكلي يبنى على المبدأ اللاعقلاني عن اعتباطية العلامة»⁽²⁹⁾؛ لأن العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول مجرد علاقة اعتباطية⁽³⁰⁾.

إنّ الدليل أو الرمز « يغيب بمجرد حضور ما يدلّ عليه أو ما يرمز له، فإنّ اللغة غيابه للدليل بمجرد حضور المعنى الذي يميّزها كما لو كان الشيء عينه، وبذلك تكون اللغة عالم الحضور والغياب واللبس والغموض. وهي الدرجة نفسها إخفاء للمقاصد»⁽³¹⁾.

3- الألسنية الآنية والزمانية:

ألح "دي سوسير De Saussure" على التقابل بين وجهتي النظر اللتين يمكن من خلالهما دراسة الكلام وهما وجهة النظر التطورية أو الزمانية من جهة ووجهة النظر القارة أو الآنية من جهة أخرى، وأكد على ضرورة أن يتبني الألسني أولاً وأساساً وجهة النظر الآنية⁽³²⁾.

ويوضّح "دي سوسير De Saussure" مفهوم الآنية فيؤكد أنّها تدرس العلاقات اللغوية في صلب النظام وبصرف النظر عن كلّ تغير، وأنّ التقابل بين وجهتي النظر الآنية والزمانية تقابل مطلق لا محيد عنه البتة، ويدلي بمقارنته الشهيرة بين اللغة ولعبة الشطرنج⁽³³⁾.

وبذلك يكون اللسان في نظر "دي سوسير De Saussure" واقعا قائما بذاته من جهة وتطور تاريخي من جهة أخرى. وفي ظلّ هذا التصوّر للسان، يمكن لنا التمييز بين النظام اللساني الآني؛ أي اللسان في حالة زمنية محدّدة، وبين تاريخ هذا النظام. الأمر الذي جعل "دي سوسير De Saussure" يميّز بين منهجين في التعامل مع الظاهرة اللغوية:

1- المنهج الأول: هو المنهج التاريخي الذي يهتم بالتحوّل المرحلي للسان عبر الحقب الزمنية المختلفة.

2- المنهج الثاني: هو المنهج الوصفي الذي يتناول الظاهرة كما هي في الواقع اللغوي⁽³⁴⁾.

ولذلك فإنّ اللسانيات - في نظر "دي سوسير De Saussure" - تتفرّع إلى فرعين:

1- لسانيات تاريخية، تطويرية (دياكرونية) Diachronique، وهي الدراسة القائمة على التعقّب التطوري للمسار التحوّلي

للغة عبر التاريخ.

2- لسانيات سكونية، آنية (سانكرونية) Synchronique، وهي الدراسة التي تهتمّ بالنظام اللساني في ذاته، ومن أجل

ذاته في حالة لغة بمعزل عن التاريخ⁽³⁵⁾.

اعتمدت اللسانيات على مبدأ التزامن (المحور التزامني) في دراسة العناصر اللغوية من حيث علاقتها بالتنظيم اللغوي؛

إذ يقول ميشال زكريا: «إنّ التنظيم اللغوي بالغ التعقيد، وبالتالي لا بدّ من دراسته قبل دراسة تطوّر اللغة، بكلام آخر لا بدّ

من معرفة اللغة كواقع قائم بذاته قبل تطوّرهما عبر الزمن، من هنا إقرار "دي سوسير De Saussure" بضرورة التزام بالدراسة

الوصفية للغة قبل القيام بغيرها من الدراسات في المجال اللغوي»⁽³⁶⁾.

إنّ التزامنية تقوم على زمن "النظام Système" «فإذا كان استمرار النظام يفترض استمرار البنية وثبات نسقها، فإنّ

التزامن يرتبط بهذا الثبات»⁽³⁷⁾.

لقد صرّح "هرمان بول Hermann Paul" قائلاً: «إنّ الطريقة العلمية الوحيدة لدراسة اللغة هي الطريقة التاريخية»⁽³⁸⁾؛

وفي هذا الإطار يرى عبد السلام المسدي أنّ استبعاد عنصر الزمن عن دراسة حالات اللغة هو استبعاد لعنصر الديناميكية

والحركة والتغيير؛ ونلفيه يقول: «الزمانية تبدو مركبة من سلسلة نقاط الآنية؛ أي أنّ الزمانية تحتوي الآنية، وإذا بالآنية تستحيل منها مستوعبا لإبعاد الزمانية بمقتضى أنّه يدرك الحواجز التطورية فيظهر التعاقب في بوتقة التوحيد»⁽³⁹⁾.

4- العلاقات السياقية والعلاقات الترابطية:

إنّ الكلمات تعقد فيما بينها في صلب الخطاب وبمقتضى تسلسلها علاقات قائمة على الصفة الخطيّة للغة. وهي صفة ينتفي معها إمكان النطق بعنصرين معا في الوقت نفسه. وتنظم هذه العناصر الواحدة تلو الأخرى في سلسلة اللفظ. وتبرز هذه الخاصية للعيان فورا بمجرد أن ترسم تلك العناصر بالكتابة وتعوض التتابع في خط الزمان بالتتابع في خط المكان بواسطة علامات الكتابة ويمكن أن نسمي هذه التوليفات التي تتخذ لها من الامتداد حاملا سياقات⁽⁴⁰⁾.

فالسّياق، إذن، يتركب دوما من وحدتين متتاليتين فأكثر في صلب الخطاب، وبالتالي في اللفظ مثل: "أ - مال، رغم ذلك، أُل - حياة، أُل - بشرية"، ونلاحظ خارج الخطاب أنّ الكلمات المتضمّنة لشيء ما مشترك بينها تترابط في الذهن؛ فكلّمة "تعليم" مثلاً تثير بصورة لاشعورية طائفة من الكلمات الأخرى من قبيل "علّم واعلم" أو من قبيل "تسليح وتغيير" أو غير ذلك "أو من قبيل "تربية وتمرن وتفقه"⁽⁴¹⁾.

فأول محاولة جادة، قام بها "دي سوسير De Saussure" في حقل الدّراسة التّركيبية، تمييزه بين نوعين من العلاقات القائمة بين العناصر اللّسانية:

أ- العلاقات الاستبدالية Rappports paradigmatique، وكانت تنعت لديه بالعلاقات الترتيبية Rappports associatif.

ب- العلاقات الرّكنية Rappports syntagmatique.

إنّ الأمر الذي لا يعزب عن أحد هو أنّ العناصر اللّسانية في السياق المنطوق أو المكتوب ترتبط فيما بينها بحكم الطبيعة الخطيّة للغة، ممّا يسمح بتوالي العناصر اللّسانية في سلسلة الكلام. ولذلك فإنّ التّأليف بينهما، والذي يعتمد عليه لتطوّر الكلام، ينعت بالخط الرّكبي L'axe syntagmatique الذي يتكوّن من عنصريّن لسانيين فأكثر⁽⁴²⁾.

وعليه فإنّ للمستوى التّحوي أو التّركيبي أهميّة كبيرة في الدّراسات اللّسانية؛ لأنّ معرفة المركّبات اللّغوية التي يتألّف منها التّركيب اللّغوي - الذي يشمل جملة مفهومة أساسية أو مشتقة - لهي أمر مهمّ، كما يعمل هذا المستوى على معرفة التراكيب اللّغوية التي يتألّف منها النّص؛ لأنّ هذا الأخير « هو عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها تتشكّل من ضوابط لسانية تؤلّف أجزاء هذه الوحدة اللّسانية»⁽⁴³⁾.

وفي مجال التّركيب syntaxe ذهب "دي سوسير De Saussure" إلى أنّ الجمل الملفوظة لا تتشابه إطلاقاً. ولهذا ينبغي عدّها كينونات من نتاج الإرادة الفردية، وليست كينونات من النظام اللّغوي العام وأنّ العلاقة التّركيبية Rapport syntagmatique هي علاقة حضورية In Praesentia، وتقوم على عبارتين أو أكثر موجودتين في سلسلة موجودة بقوة الفعل، وعلى عكس ذلك، فالعلاقة التّرابطية Rapport associatif تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية In Absentia في سلسلة ذاكرية Unémunique كامنة بالقوّة⁽⁴⁴⁾.

وبمجموع هذه المقولات اشتغلت البنيوية من خلال الحضور والغياب والنص الحاضر للنص الغائب وآلية التناسخ، كما اشتغلت الأسلوبية لتحديد الأسلوب بكثافته الإيحائية⁽⁴⁵⁾.

إنّ « العلاقات بين جلّ الثنائيات - التي سبق ذكرها- قد تكون علاقات نفي سلبي وتضاد مطلق، وقد تكون علاقات توسط تهدف إلى إعادة الخلق عبر التحول، والتحويل. وقد تكون علاقات تكامل وتناغم وإغناء وإخصاب؛ إذ تشكّل شبكات لغوية، لحمتها الأنساق المتكرّرة، والصور المتخلّلة الجذرية التي تصبح بؤرا رؤيوية تتمحور حوله. وباكتشاف هذه الأنساق والصور المتخلّلة تتحوّل دراسة البنية لا إلى تعرية وإثراء لهوية نص مفرد؛ بل إلى اكتشاف لبنية الفكر الإنساني نفسه وللفاعلية الشعرية من حيث هي فاعلية رؤيوية تنبع من الإنسان مرتبطة بالتاريخ ومتجاوزة التاريخ بموضوعية الزماني والمكاني في وقت واحد»⁽⁴⁶⁾.

ثمّ إنّ الدراسة باكتشاف التركيب الضدي للعالم والجدلية التي تتخلّله، تصبح منطلقا لوعي لغوي أعمق لا يكتفي بمحاولة فهم الظواهر الفنية؛ من حيث هي حركة على سطح أفقي؛ بل يغوص على بنيتها الضدية ليجلو طبيعة الفاعليات التي تترشق فيها وتشتع عبرها منفصلة ملتحمة في حركة دائبة⁽⁴⁷⁾.

ولقد تعرّضت هذه الثنائيات اللغوية إلى النقد والاعتراض والإضافة والتعديل؛ وعلى الرغم من هذا فقد قدّم "سوسير Saussure" الكثير من الدراسات العلمية والاتجاهات المعرفية.

وبناء على ما تمّ ذكره، يمكننا القول بضرورة حتمية الاعتراف بسيادة الدرس السوسيري والإقرار بوجوده في الطليعة نظرا لقيّمته العلمية وعظيم فائدته؛ إذ أسهم في ظهور كثير من النظريات والمدارس اللسانية.

● قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1999.
- 2- أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.
- 3- أحمد محمّد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999.
- 4- أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1995.
- 5- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.
- 6- بللملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث - دي سوسير نموذجاً- ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ديسمبر 2006.
- 7- بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006.
- 8- جمال حضري، اللسانيات وأثرها في نشأة البنيوية والأسلوبية، مجلة المبرز، 5-6 فيفري، 2002، بوزريعة، الجزائر.
- 9- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، يناير/مارس، 1998.
- 10- جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة حلب، سوريا، 1981.
- 11- حسام الدين الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994.
- 12- حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ط2، 1980.

- 13- رايح بوحوش ، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006.
- 14- رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد بكري، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986.
- 15- رومان جاكسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 16- الزواوي بغوره المنهج البنيوي- بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات- دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001.
- 17- زويبر دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
- 18- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مكتبة لبنان ناشرون، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
- 19- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1994.
- 20- صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الفردية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد، سوريا، 2003.
- 21- صفية مطهري، التفاعل الدلالي بين المستويات اللسانية، مجلة القلم، جامعة وهران، الجزائر، العدد3، مارس 2006.
- 22- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
- 23- عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2005.
- 24- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، مطبعة دار هومه، الجزائر، 2005.
- 25- عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي- طروحات جدلية في الإبداع والتلقي- ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2005.
- 26- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 27- عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.
- 28- عبد الله إبراهيم سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب - بيروت، لبنان، ط2، 1996.
- 29- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1985.
- 30- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي-دراسات بنيوية في الشعر- دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979.
- 31- محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988.
- 32- محمد الشاوش، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.
- 33- ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ط2.
- 34- نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1993.
- 35- يمني العيد، في معرفة النص – دراسات في النقد البنيوي-منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

• الهوامش:

(01) ينظر: جمال حضري، اللسانيات وأثرها في نشأة البنيوية والأسلوبية، مجلة المبرز، 5-6 فيفري، 2002، بوزريعة، الجزائر، ص176

(02) أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص160.

(03) ينظر: عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، مطبعة دار هومه، الجزائر، 2005، ص أ.

- (04) ينظر: بلملياني بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث – دي سوسير نموذجا-ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ديسمبر 2006، ص74.
- (05) ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصل، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص96.
- (06) ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر-مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة-المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب - بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص09.
- (07) ينظر: المرجع نفسه، ص08.
- (08) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص121.
- (09) جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، يناير/مارس، 1998، ص81.
- (10) ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص91.
- (11) ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر-مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة-ص07، 08.
- (12) حسام الدين الهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994، ص328.
- (13) ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرماضي، محمّد الشاوش، محمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص29.
- (14) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مكتبة لبنان ناشرون دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص22.
- (15) ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص27.
- (16) ينظر: أحمد محمّد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999، ص35.
- (17) محمّد إبراهيم عبادة، الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988، ص27.
- (18) رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمّد بكري، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص35.
- (19) حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ط2، 1980، ص75.
- (20) ينظر: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ط2، 1983، ص43.
- (21) زوبر دراق، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص71.
- (22) صالح بلعيد، التراكمات النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص217.
- (23) عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2005، ص144.
- (24) ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص362.
- (25) ينظر: صفية مطهري، الدلالة اليحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد، سوريا، 2003، ص40.
- (26) كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ص54.
- (27) محمّد الشاوش، أهمّ المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص35.
- (28) عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص116، 117.
- (29) رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص32.
- (30) ينظر: الزواوي بغوره، المنهج البنوي-بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات-دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001، ص37.
- (31) نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1993، ص25.
- (32) ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص357.
- (33) ينظر: المرجع نفسه، ص358.
- (34) ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص36.
- (35) ينظر: نفسه، ص36، 37.

- (36) ميشال زكريا، الألسنية (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص 227.
- (37) يمني العيد، في معرفة النّص – دراسات في النقد البنيوي-منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص33.
- (38) جورج موان، تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدرالدين القاسم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة حلب، سوريا، 1981، ص217.
- (39) عبد السلام المسدي، اللّسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ص130.
- (40) ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص115، 186.
- (41) ينظر: المرجع نفسه، ص361.
- (42) ينظر: راجح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص101.
- (43) صفية مطهري، التفاعل الدلالي بين المستويات اللّسانية، مجلة القلم، جامعة وهران، الجزائر، العدد3، مارس 2006، ص11، 12.
- (44) ينظر: عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمخفي-طروحات جدلية في الإبداع والتلقي-ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص30.
- (45) ينظر: جمال حضري، اللّسانيات وأثرها في نشأة البنيوية والأسلوبية، ص179.
- (46) كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي-دراسات بنيوية في الشعر-دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979، ص09، 10.
- (47) ينظر: نفسه، ص09، 10.

صناعة المعاجم في خدمة الدرس اللهجي- مقارنة وصفة تحليلية في معاجم اللهجات-

Lexicographie at the service of the Dialect Lesson -A Descriptive Analytical Approach in Dialecte Dictionaries-

د. حاج هني محمد ، *Hadj henni Mohamed*

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف /الجزائر

إيميل الباحث: *mohamedhadjhenni@gmail.com*

الملخص:

تكمن الغاية الأساسية لهذا البحث في التعريف بمعاجم اللهجات، وقواميس العاميات، وتحليل مضامينها، وتتبع مناهجها في رصد مفردات اللهجات العربية من المحيط إلى الخليج، وبيان كيفية تسخير صناعة المعاجم في ترقية دراسة اللهجات العربية، ومحاولة ربطها بالعربية الفصحى في ضوء زحف العولمة من جهة، مع استغلال المادة المعجمية لهذه القواميس في بناء الأطالس اللسانية في مجال اللسانيات الجغرافية من جهة ثانية، علاوة على إمكانية استثمار هذه المصنّفات كمدونات لسانية في سبيل وضع المعجم التاريخي للغة العربية؛ نظير ما تبرزه هذه المعاجم من تطور لغوي، وتغير دلالي للمفردات الفصيحة في شتى الأقطار العربية. الكلمات المفتاحية: صناعة المعاجم؛ اللهجات؛ اللغة العربية؛ الفصحى.

Abstract:

The main purpose of this research lies in introducing the glossaries of dialects, dictionaries of colloquial languages, analyzing their contents, tracking their methodologies in monitoring the vocabulary of Arabic dialects from the ocean to the Gulf, and explaining the use of Lexicography in promoting the study of Arabic dialects, and trying to link them with classical Arabic in light of the advance of globalization on the one hand, and the use of the lexical material of these dictionaries to build linguistic Atlases in the field of geographical linguistics on the other hand, in addition to the possibility of investing these classifiers as linguistic blogs in order to develop the historical lexicon of Arabic, in view of the linguistic development that these glossaries show, and a semantic change of vocabularies in various Arab countries.

Key words: *Lexicography; Dialects; Classical Arabic; Colloquial Language.*

تقديم:

تسعى صناعة المعاجم إلى بناء قواميس- عامة كانت أم متخصصة- في شتى التخصصات العلمية والأدبية والفنية، يستفيد منها دارسو هذه التخصصات في مجالي التأسيس التنظيري والإجراء التطبيقي، ولعل هذا ما ينطبق أيضا على الدرس اللهجي في اللغة العربية؛ والذي استفاد كثيرا من هذا العلم؛ فقد اجتهد العرب المحدثون في وضع معاجم لهجية متخصصة وفق اتجاهين متباينين هما:

أولا: بناء معاجم اللهجات العربية، مشرقا ومغربا؛ والتي تخص بيئة جغرافية معينة، نحو: معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية لعبد المنعم سيّد عبد العال، ومعجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية لأنيس فريحة، وغيرها.

ثانيا: وضع قواميس تهتم بقضية تفصيح العامي؛ قصد إيجاد الصلة بين العربية الفصحى واللهجات المتفرعة عنها، بغية ربط الأصل بالفرع، في سبيل خلق اللغة الجامعة، مثلما يتجسد في معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية لأحمد تيمور، ومعجم فصاح العامية لهشام النحاس، وقاموس رد العامي للفصيح للشيخ أحمد رضا، وغيرها. ومن بين الإشكاليات التي يحاول البحث الإجابة عنها، نذكر:

- كيف تسهم صناعة المعاجم في ترقية الدرس اللهجي العربي؟
- فيم تتجلى جهود العرب المحدثين في مجال بناء القواميس اللهجية؟
- ما هي أشكال استثمار معاجم اللهجات والعاميات في الدرس اللساني العربي؟

1- معاجم اللهجات العربية:

وهي معاجم تهتم برصد مفردات اللهجات العربية في بيئات جغرافية مخصصة؛ لبيان التغيرات الطارئة على الفصحى في هذه الأقطار من جهة، وقصد ربط العلاقة بين اللغة الأم وما يتفرع عنها من فروع لهجية في الوطن العربي، ولقد اجتهد العرب المحدثون في وضع معاجم تخص لهجات أقطار عربية بذاتها، ومن ذلك هذه النماذج:

أ- معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الحقيقة والأصول العربية:

هو قاموس يقع في 693 صفحة وضعه عبد المنعم سيّد عبد العال، أصدرته مكتبة الخانجي بمصر في طبعته الثانية عام 1973م، وكانت له طبعة أولى عام 1971، يهدف هذا المعجم إلى التنبيه إلى الكلمات الفصيحة التي يتوهم الكثير أنها عامية رغم وجودها في القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو في نصوص الشعر والنثر، أو في صفحات المعاجم المختلفة من جهة، والإشارة إلى الكلمات الفصحى التي حرّفت العامية لفظها، أو غيرت معناها، مع تحديد صوابها اللغوي؛ ليتجنّبها متعلم العربية، والمتحدّث بها، فمهمة المعجم هي تصحيح هذه المفردات، وإزالة تحريفها، وتنقية تصحيفها، ليجدها الطالب أقرب تداولاً، وأسهل استعمالاً¹.

يشتمل المصنّف على مقدمة نظرية تقع في حدود مائة (100) صفحة، تضم معلومات صوتية، وصرفية، وظواهر لغوية في العامية؛ كالإبدال، والإدغام، المخالفة، الإشباع، الإمالة، وبعض أشكال التغير الدلالي، والنحت.

أما المعجم فرُتبت مواده ترتيباً ألفبائياً (أ- ي) بحسب حروف الهجاء، تندرج تحت كل حرف الألفاظ العربية التي دخلت في العامية المصرية، ولكثرة استعمالها ظنّها البعض غير فصيحة فأحجموا عن توظيفها، ولهذا جاء المعجم

لتدوينها بجانب أصلها العربي الصحيح؛ ليتضح للقارئ ما طرأ عليها من تحريف، وتمت الاستعانة بالمعاجم العربية، والكتب اللغوية والأدبية لجمع حصيلة هذا القاموس؛ ومن ذلك لفظة "أَهْهَة":

"نقول في دارجتنا: فلان أَهْهَة عظيم في مظهره، جميل في منظره، ذورُوء وحسن، ونقول: حفل أَهْهَة: عظيم فيه بهجة، وحاجة أَهْهَة: ذات رُوء، وفي القاموس: الأَهْهَة كسُكْرَة: العظْمَة، والبهجة، والرُوء، والكِبْر، والنخوة"².

وفي باب السين على سبيل المثال لا الحصر الكثير من المفردات الفصيحة التي صححها المؤلف بالرجوع إلى المعاجم القديمة، ومنها: سَحْنَة (هيئة ولون)، مسخرة (استهزاء)، سَج (خاط)، سَج (حل الشعر وإرساله)، السُفْرَة (طعام المسافر)، سف (أكل اليابس)³.

موسوعة العامية السورية:

وهي مدونة لغوية نقدية في التفصيح والتأصيل والمولّد والدخيل، تقع في ثلاثة أجزاء تضم مجتمعة 2648 صفحة، وضعها ياسين عبد الرحيم، صدرت طبعها الأولى عام 2003، وأشرفت على طبعها ثانياً الهيئة العامة السورية للكتاب عام 2012م، جاء توزيعها أجزائها بهذا الشكل:

- الجزء الأول: 888 صفحة، مواد (أ-خ).

- الجزء الثاني: 921 صفحة، مواد (د- ف)

- الجزء الثالث: 841 صفحة، مواد (ق-ي).

استُهلّت الموسوعة بقائمة زموز واصطلاحات، فمقدمة مطولة جاءت في حدود 93 صفحة، تناولت عدة قضايا لغوية، ومسائل منهجية في جمع مادة الموسوعة ومصادرها، وأسس بنائها، من خلال خطة واضحة المعالم تجسدت في النقاط الآتية:

- إيراد الكلمة العامية اعتماداً على السماع من منطقة الساحل السوري.

- ترتيب المفردات ترتيباً ألفبائياً ليسهل البحث عنها.

- شرح المعنى العامي شرحاً مفصلاً، مع ذكر المعاني الإضافية في لهجة أخرى إن وُجدت، مع الإشارة إلى موطن تلك الدلالة الجديدة، والاقتصار على المعاني غير الفصيحة.

- ذكر معنى الكلمة بنطقها العامي في الفصحى، مع المقابل الفصيح له.

- رصد المعاني اللغوية لأصل الكلمة العامية الفصيحة، مع محاولة تأصيلها بردها إلى أصلها الاشتقائي عربية كانت أم غير عربية⁴.

ويمكن توضيح ذلك بهذا النموذج:

"بَهْلُول: الأَصْل بَهْلُول: الأَبْلَه والمعتوه ومن لا يميز، وفي الأَرامية: باهولاً: شخص معتوه ومخبول.

— المضحك الماجن، عامي قديم؛ أي ما يُعرف اليوم باسم بلياتشو⁵، والأوّل أن يُخص بكلمتي: لُزَة، هُزَاة

(المرجع).

ولغة البهلول: الضحّاك في مواجهة الخطوب، قيل: من الفارسية (شير:29)، والبهلول: الحَيِّ الكريم يستوي فيه المذكر والمؤنث، والعزير الجامع لكل خير⁶.

ومما سبق يتضح أن هذه الموسوعة الضخمة قد سعت إلى رصد العامية الدارجة في سورية، مع إثبات اللفظ، وبيان المعنى في أذهان العامة، ناهيك عن تحقيق أصله، وكل ذلك لا محالة يعد مساهمة فعالة في خدمة الفصحى، ومتابعة تطوراتها، والرجوع إلى مصادر مفرداتها، سواء في المشترك السامي، أو المقترض الدخيل.

ج- العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى:

وهو مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان- بسكرة، قام بإنجازه كل من مختار نويوات، ومحمد خان، يقع في حدود 349 صفحة، أصدرته مطبعة دار الهدى بعين مليلة عام 2005م، وتعد هذه الدراسة محاولة لرصد حصيلة المفردات ذات الدلالات الحديثة الأقرب إلى الفصحى في منطقة بسكرة تحديداً، وذلك من خلال إرجاع بعض الكلمات في اشتقاقها أو في دلالاتها إلى أصولها العربية، استناداً إلى المعاجم العربية، والكتب اللغوية على اختلاف أنواعها ومضامينها.

اشتمل هذا المصنف على أربعة فصول هي:

- الفصل الأول الدراسة الصوتية: حُصِّصت لأصوات اللهجة، وصفاتها، والمظاهر التي تلحقها.
 - الفصل الثاني الدراسة الصرفية: وهي دراسة للأفعال والأسماء، وصيغ التذكير والتأنيث، التصغير، العدد، وغيرها.
 - الفصل الثالث: الدراسة التركيبية: من خلال بيان أنواع الجمل، ومكوناتها، وأنواعها.
 - الفصل الرابع الدراسة المعجمية: أخذت أكبر حيز من هذا الكتاب (95ص-336ص)؛ وكانت مقصورة على اللفظ العربي الأصيل المحرّف تحريفاً يبعده عن أصله، فلا يستطيع الباحث معرفته إلا بالبحث في متون المعاجم، وتم تقسيم مادة المعجم إلى أبواب بحسب حروف الهجاء، يضم كل حرف الكلمات التي تم تحريفها، ومن ذلك كلمة "جدل".
- جدل الحبل: فتلّه، والجديل الزّمام الجدول من آدم أو شعر، واجتدل الغلام: قوي ومشى مع أمه، وأجدلت الظبية: مشى معها ولدها، والجدل: شدة الفتل، ويقال: ساعد أجدل، ودرع جدلاء، وفي الدارجة يصفون الشاب القوي النشيط بأنه أجدل، والبنت جدلة، والجدول هو المصنوع من الجلد كالحزام مثلاً⁷.

2- معاجم فصيح العامية:

وهي معاجم تهتم بعقد الصلة بين المفردات العامية واللغة العربية الفصحى؛ قصد بيان التأصيل الصحيح لهذه المفردات، وما لحقها من تغييرات صوتية وصرفية ودلالية من جهة، وبغرض بيان التطور الذي أصاب العربية جراء استعمالها في الأقطار المتباعدة، ومدى محافظتها على الصفاء والنقاء رغم بعد المسافة، واختلاف التضاريس، وتباين العادات والتقاليد.

أ- قاموس رد العامي إلى الفصحى:

هو معجم تأصيلي للكلمات العامية وضعه اللغوي الكبير الشيخ أحمد رضا عضو مجمع دمشق، ومؤلف المعجم الشهير "متن اللغة"⁸، اشتمل على أكثر من ألف وأربعمائة مفردة عامية لمنطقة الشام، جمعها أثناء كتابته لمصنفه "متن اللغة"، لقد فرغ من تأليف هذا المعجم في أفريل 1946م، في ظل تنامي الدعوة إلى التدريس بالعاميات في الوطن العربي، وكانت للقاموس طبعة ثانية عام 1981م، حاول واضعه أن يرصد المفردات التي تستعملها العامة، وتعرض عنها الخاصة ظناً منها مؤلدة أو دخيلة لا تمت للفصحى بصلة، ولهذا اجتهد المؤلف في على رد الكلمات العامية إلى صحيحها أو إلى ما تحتمله من الوجوه، مع إرفاقها بمردفاتهما من الفصحى لتقريب معناه، ومن ذلك تعريف كلمة "استن"

"أ ن ي (استنّ)"

وقالوا لمن يتعجل الشيء: استنّ بصيغة الأمر، وهي محرّفة من استنّ (للأمر أيضاً)، أي انتظر وتمكّث، وقد جاء في متن اللغة استنّ به: انتظره ولم يعجل، والأمر منه استنّ⁹.

ب- معجم فصاح العامية:

هو قاموس موثّق من مصادر التراث والمراجع الحديثة، وضعه هشام النحاس، صدرت طبعته الأولى عن مكتبة لبنان ناشرون، عام 1997م، تتوزع مادة المعجم على 663 صفحة، استهلها المؤلف بمقدمة مطولة تناولت جملة من القضايا اللغوية؛ تتعلق أساساً بخصائص العربية وتطورها، ونشأة العاميات وأخطارها، وأنواع المعاجم العربية وسبل النهوض بها.

أما المعجم فيورد فيه المفردات العامية واستعمالاتها، ويبرز أصلها الفصحى، وأهم التغييرات التي لحقته استناداً إلى المعاجم العربية، القديمة منها والحديثة، وبعدها يبرز رأيه الخاص في الاستعمال العامي، ومن ذلك هذا النموذج:

"أجّت النار (وما وجّت)"

كثيراً ما نجد العامية نقلت الهمزة في أول الكلمة إلى واو كما في (وجّت النار) وأصلها أجّت، وكذلك (وزّت) القدر على النار: غلّت، وفصحها أزّت، و(وزّه) عليه: أي هيّجه وأثاره عليه، وكذلك في الفصيحة: أزه عليه...وأعود إلى الأَجّ: وفي (المعجم الوسيط) أخذنا عن (اللسان) و(التاج) و(أساس البلاغة) و(المصباح المنير): أجّت النار تُوّج أجّاً وأجّة: تلهبت وتوقدت، وكان للهيها صوت، ويقال: مريوّج في سيره: إذا كان له حفيف كحفيف اللهب، وأجّ الشيء: لمع وتوهّج" قلت: وكذلك عاميتنا تقول (يُوّج هذا الإناء اللّماع أحسن وجّ... يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: الهمزة والجيم لها أصلان: الحفيف والشدة إما حرّاً وإما ملوحة"¹⁰.

ج-معجم صحيح لحن العامة:

هو قاموس تأصيلي للمفردات الفصيحة في مصنفات لحن العامة، صنفه وائل محمد رياض كريم، وطبعه مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، عام 2017م، يقع في حدود 385 صفحة، تضمنت مقدمة موجزة أشارت إلى أهمية تيسير تعليم اللغة العربية في العصر الحديث، وحددت الغاية من المعجم، ورسمت أسس بنائه، أردفها المؤلف بعد ذلك بتمهيد مطول، جاء في حدود عشرين صفحة، عرّف فيه اللحن ونشأته، وعرّج على خصائص اللغة المشتركة، ومختلف لهجاتها، وانتقل بعدها لتحليل مقياس الصواب اللغوي لدى القدماء، ليخلص في النهاية إلى أهم مصنفات صحيح لحن العامة، قديماً وحديثاً.

أما المعجم فرتبت مواده ترتيبه ألفبائياً، وفق منهجية موحدّة، تتجلى في:

- ذكر من خطأ اللهجة في كتب اللحن بترتيب زمني.

- إيراد من اتبع هذه التخطئة من العلماء القدماء.

- ذكر الخطأ في نفس اللهجة لدى العلماء ومؤلفي المعاجم الآخرين.

- إظهار صواب الخطأ بأنه لغة جائزة، مع الاستشهاد بمن يؤيد هذا الرأي من العلماء وفق التسلسل

التاريخي، مع تعزيز ذلك بالشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، ونسبة ذلك إلى لهجة معينة¹¹.

ويمكن توضيح ذلك بالجذر " رج ح " في باب الراء:

"خطأ ابن درستويه¹، وابن الجبان²، وابن الجوزي³، والصفدي⁴، قولهم: مرجوحة، والصواب عندهم: أرجوحة⁵،

وخطأ مرجوحة من غير مصنفي كتب اللحن، أبو علي القالي⁶.

ولكن قولهم مرجوحة، لغة ذكرها ابن سيده في المحكم⁷، وابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح⁸، وابن منظور

في اللسان⁹، والفيومي في المصباح الذي نصّ على تلك اللغة صراحة بقوله: "الأرجوحة أفعولة بضم الهمزة... والمرجوحة بفتح الميم لغة فيها ومنعها البارع¹⁰."

وقد ذكر لغتي الأرجوحة والمرجوحة الفيروز أبادي القاموس المحيط¹¹، والزبيدي في تاج العروس¹²، واللغتان

في المعجم الوسيط أيضاً¹³¹².

وما يلاحظ على هذه التعريفات أن واضع المعجم يحيل بدقة في على كل مصنفات اللحن، والمعاجم اللغوية

التي استقى منها معلوماته في الهامش؛ مثلما هو الحال في النموذج المدروس، وفي ذلك دلالة واضحة على التمحيص

الدقيق في المصادر اللغوية؛ للتأكد من أوجه التخطئة والصواب للحن الذي ورد في كتب القدامى ومعاجمهم، خاصة

أن المؤلف قد استعان بمدونة لغوية ضمت 223 مصدراً لغوياً، معظمها معاجم لغوية، وكتب لحن العامة.

3- معاجم اللهجات وخلق اللغة الجامعة:

تعمل معاجم اللهجات العربية عموماً، وقواميس تفصيح العامية خصوصاً، على تقريب الفصحى من عامياتها،

من خلال تحديد أشكال التغيرات التي أصابت الفصحى في الاستعمال القطري لدى جماعة بعينها، فكثيرة هي المعاجم

التي تسعى جاهدة لرد العامي إلى أصوله الفصيحة، وهدفها في ذلك هو خلق تقارب بين اللغة ولهجاتها من جهة،

ومحاولة لتفصيح الاستعمال اللغوي للمتكلمين في شتى مقامات التواصل، فلكي "تصبح لغتنا على مستوى الجماهير

يجب أن يحتضن كل أستاذ مفردات العربية الموجودة في اللغة العامية، على أن يرد ما تشوّه منها إلى أصله العربي،

ويعمل على استعماله صحيحاً، وما لم يشوّه من هذه الألفاظ يستعمل على حاله"¹³، ولاشك في أنّ شيوع هذا

الاستعمال من شأنه تقليص الهوة العميقة بين الفصحى ولهجاتها في الأقطار العربية، وكل ذلك له انعكاس إيجابي في

خلق اللغة الجامعة؛ لغة تواصلية تتوسط الفصحى الراقية وعامياتها المتدنية، ويمكن استغلال ذلك في خطاب المدارس

والإعلام وشؤون الإدارات وغيرها.

ولا يقتصر دور معاجم اللهجات على مساعدة الناطقين بالعربية وحدهم فحسب، بل يمتد تأثيرها للأعاجم

المقبلين على تعلم العربية؛ وفي ذلك يقول وائل محمد رياض كريم: "ففي نشر تعليم اللغة العربية والتقريب بينها وبين

العامية فوائد عظيمة، ليست للمتعلّمين العرب فقط، بل لمتعلّمي اللغة العربية من غير العرب، فأكبر المشكلات التي تواجه متعلّم اللغة العربية من غير أهلها هي تعلّمه الفصحى في قاعات الدرس وعند خروجه للشارع يصطدم بلغة أخرى غير التي تعلّمها¹⁴، ولاشك أنّ هذا النوع من المعاجم كفيل بتقليص هذه الهوة، وتوحيد لغة التواصل في كل مناحي الحياة.

4- معاجم اللهجات والأطلس اللساني:

يمكن استغلال معاجم اللهجات، وقواميس فصيح العامية في بناء الأطلس اللغوية في الوطن العربي؛ لأنّ هذه الأخيرة تهدف إلى وضع خرائط لسانية لتوزيع الأصوات والمفردات والدلالات والاستعمالات في بيئات جغرافية بعينها، ولا شك أنّ هذه العمل سيسهل أكثر بالعودة إلى القواميس المتخصصة في اللهجات؛ إذ بالإمكان ملاحظة انتشار التغييرات الطارئة على الفصحى، وتسجيل ظواهر القلب والإبدال، وأشكال التغير الدلالي، وشيوع مفردات بعينها في حيز مكاني محدد.

5- معاجم اللهجات وصناعة المعجم التاريخي:

إنّ معاجم اللهجات العربية، وقواميس تفصيح العامي كفيّلة بتزويد المعجم التاريخي للغة العربية بمادة لغوية غزيرة؛ نظراً لما توفره هذه المصنفات من معلومات صوتية، وصرفية، ودلالية عن المفردات في مختلف ربوع الوطن العربي، كما تسمح برصد أهم التغييرات التي تلحقها على مستوى المبنى أو المعنى، وكل ذلك يعد من صميم البحث في المعجم التاريخي؛ والذي يهدف أساساً إلى تسجيل مختلف التطورات التي تمس اللغة العربية عبر مختلف العصور، وفي شتى الأمكنة؛ ومن ذلك ما توفره موسوعة العامية السورية التي يمكنها أن تخدم المعجم التاريخي في عدة جوانب، منها: الإشارة إلى اللفظ الفصيح عند شرح العامي، مع بيان التحريف والتصحيف الذي أصاب الفصحى وغير الدلالات، وفي ذلك تقويم للسان وتعزيز للبيان، ناهيك عن تحقيق الألفاظ الأرامية والأكادية من السامي المشترك، ونزع صبغة الدخيل عنه، مما يعود بالنفع على العربية، وتاريخ تطورها¹⁵.

خاتمة:

من خلال جولتنا السريعة في متون معاجم اللهجات العربية، وقواميس تفصيح العامية، اتضح جلياً مدى اجتهاد العرب المحدثين في بناء مصنفات -متنوعة مادة ومنهجاً- تعالج هذا التخصص، وترصد مفرداته، خدمة للغة العربية وما يتفرع عنها من لهجات، وتسجيلاً لتأثير العوامل الجغرافية والتداولية في المتن اللغوي الفصيح، لاسيما مع تباعد الأقطار العربية، واختلاف تضاريسها.

ومما لا شك فيه أنّ هذه المعاجم المتخصصة أسهمت إسهاماً بالغاً في تنمية الرصيد اللغوي للمتكلّم العربي من جهة، وأبانت بجلاء عن الارتباط الوثيق بين اللهجات المحلية والعربية الفصحى، ورسمت معالم واضحة لحركية الفصحى، وتأثير الزمان والمكان في تداولها بين ناطقها من جهة أخرى.

وبغض النظر عن النظرة المعيارية للغة العربية يمكن استغلال المادة المعجمية الغزيرة لهذه المصنفات في تقليص الهوة بين العربية ولهجاتها؛ من خلال تفصيح العامي وإشاعة تداوله في المجالين التربوي والإعلامي، إضافة إلى تسخير هذه المعاجم لصناعة الأطلس اللسانية لمختلف المناطق في سياق اللسانيات الجغرافية، ناهيك عن استثمار هذه

القواميس في بناء مدونة المعجم التاريخي للغة العربية، لاسيما أن معاجم اللهجات ترصد مظاهر التغير الذي يلحق المفردات جراء استعمالها من فترة لأخرى.

• قائمة المصادر والمراجع:

- 1- العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى -مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان - بسكرة، مختار نويوات، ومحمد خان، دار الهدى، الجزائر، ط:1، 2005م.
- 2- قاموس رد العامي إلى الفصحى، الشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط:2، 1981م.
- 3- معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الحقيقة والأصول العربية، عبد المنعم سيّد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:2، 1973م.
- 4- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 2008م.
- 5- معجم صحيح لحن العامة، وائل محمد رياض كريم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط:1، 2017م.
- 6- معجم فصاح العامية، هشام النحاس، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:1، 1997م.
- 7- موسوعة العامية السورية، ياسين عبد الرحيم، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط:2، 2012م.

• الهوامش:

- 1- معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الحقيقة والأصول العربية، عبد المنعم سيّد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:2، 1973م، ص: 3-4.
- 2- المصدر نفسه، ص: 105.
- 3- ينظر: المصدر نفسه، ص: 290-307.
- 4- ينظر: موسوعة العامية السورية، ياسين عبد الرحيم، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط:2، 2012م، ج:1، ص: 36.
- 5- بلياناشو [مفرد]: مُهْرَج، بهلوان، مَنْ يُضْحِك النَّاسَ بحركاته وهيئته وكلماته (والشائع كسر الباء)، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 2008م، ج:1، ص: 247.
- 6- موسوعة العامية السورية، ياسين عبد الرحيم، ج:1، ص: 414.
- 7- العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى-مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان-بسكرة، مختار نويوات، ومحمد خان، دار الهدى، الجزائر، ط:1، 2005م، ص: 147.
- 8- هو موسوعة لغوية حديثة تقع في خمس (5) مجلدات صدرت طبعته الأولى عام 1960م.
- 9- قاموس رد العامي إلى الفصحى، الشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط:2، 1981م، ص: 23.
- 10- معجم فصاح العامية، هشام النحاس، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:1، 1997م، ص: 110-111.
- 11- معجم صحيح لحن العامة، وائل محمد رياض كريم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط:1، 2017م، ص: 8-9.
- 12- المصدر نفسه، ص: 121-122.
- 13- المصدر نفسه، ص: 12.
- 14- ينظر: المصدر نفسه، ص: 8.
- 15- ينظر: موسوعة العامية السورية، ياسين عبد الرحيم، ص: 10.

المغرب والدخيل في القصص القرآني -قراءة في الأبعاد الدلالية والقيم الحضارية

Non-Arabic words in Qur'anic stories- Reading in semantic dimensions and civilizational values-

دة. ناعيم مليكة، Malika Naaim.

كلية اللغة العربية، مراكش

Faculty of Arabic language, Marrakech

إيميل الباحث: Nana_malika@ymail.com

الملخص:

يمثل المعجم مظهرا أساسا من مظاهر الإعجاز القرآني؛ نظرا لطبيعته وسماته المميزة، ومن أبرزها تمثله لبيئة النزول من خلال احتوائه لألفاظ دخيلة من لغات أخرتعايشت مع اللغة العربية لداع ما؛ في سياقات محددة ضمن القصص القرآني مع وجود المقابل العربي المتداول. وقد تعددت المواقف في الموضوع بين منكر ومثبت، ولكل أدلته، لكن فهم المغزى وبحث الدلالة ينتصر للرأي الثاني، ويعدده من مظاهر قوة اللغة العربية.

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى بيان بلاغة هذه الألفاظ في تصوير الأحداث وقوتها في تمثل تلك القيم من خلال بحث دلالات ألفاظ عروبية (سامية) في بعض القصص القرآني في علاقتها بالسياق والمقام؛ وسيركز البحث على قصة يوسف وقصة إبراهيم عليهما السلام.

الكلمات المفاتيح: المعجم، الدخيل، القرآن الكريم، القيم الحضارية

Abstract:

The lexicon represents a basic manifestation (aspect) of the Qur'anic miracle, due to its nature and distinctive features, and most notably it represents the environment of revelation through its inclusion of borrowed terms from other languages that coexisted with the Arabic language for some reasons; in specific contexts within the Qur'anic stories with the presence of the Arabic equivalent in circulation. There have been many positions on the issue between what is evil and proven, and for all its evidence, but understanding the meaning and discussing the significance supports the second opinion, and it is considered one of the representations of the power of the Arabic language.

This research paper seeks to demonstrate the eloquence of these terms in depicting events and their strength in representing these values through researching semantics of Arab (Semitic) words in some Quranic stories in their relationship with context and denomination; the research will focus on the story of Joseph and the story of Ibrahim, peace be upon them.

Key words: lexicon, Non Arabic word, the Noble Qur'an, urban values.

تقديم:

يعد المعجم من مظاهر الإعجاز الأساس في القرآن ذلك لأنه تمثل قضايا أساس في بيئة النزول ولغته. لقد نزل القرآن الكريم بلغة عربية انتقت من لغات القبائل العربية أجود الاستعمالات وأقواها، فتمثلت بذلك اللغة العربية المشتركة (اللغة الأدبية) وليس لغة قريش؛ بمعنى لهجتها كما زعم معظم الدارسين، نظرا للخلط الذي وقع بين اللغة واللهجة وهذا راجع إلى عدم التدقيق في الاصطلاح، وهذا مشكل كبير ليس هنا مجال لمناقشته. وتجاوزت لغات القبائل العربية إلى لغات أخرجها العربية لداع ما؛ قد يكون الاشتراك في الأصل (اللغات السامية (العروبية))، أو الالتقاء لسبب ما مثل التجارة أو الحروب من جهة ثانية، ولرحلة الشتاء والصيف التي كان يقوم بها العرب من شبه الجزيرة العربية إلى الشام دون أن ننسى وجود غير العرب في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية، وخاصة اللغة العبرانية.

ولم يكن وجود الدخيل في لغة القرآن الكريم يعكس عجزا في اللغة العربية كما توهم من أنكر وجود الدخيل في القرآن الكريم، وإنما على العكس؛ يمثل ميسما إعجازيا ومظهرا من مظاهر القوة؛ إذ تتمثل معالم الحضارة العربية إبان النزول من حيث انفتاحها على الأمم، ويبين عن حيوية اللغة العربية ومناسبتها لحمل خاتمة الرسائل وعالميتها. ومن المظاهر المجسدة لهذا الإعجاز في القرآن الكريم خصوصيات المعجم الدخيل في القصص القرآني من حيث طريقة انتقائه ومنهج توظيفه؛ ذلك ما تحاول هذه الدراسة معالجته من خلال عناصر ثلاثة.

1/ من خصائص المعجم والدخيل في القصص القرآني.

2/ النموذج الأول: من سورة يوسف عليه السلام.

3/ النموذج الثاني: من قصة إبراهيم عليه السلام.

1- من خصائص المعجم والدخيل في القصص القرآني:

تثير العبارات الدخيلة من لغات غير العربية في القصص القرآني أسئلة عدة، وتمثل مدخلا مميزا لقراءة معجم القرآن في علاقة بالسياق والمقام؛ لما يتسم به من خصوصيات لم يلتفت إليها المفسرون.

غالبا ما يختزل الحديث عن الدخيل في لغة القرآن الكريم، بل في اللغة العربية بشكل عام في ألفاظ مفردة عبارة عن مسميات لذوات مادية ومعنوية في لغات غير العربية؛ من مثل: إبريق، وسندس، وأسفار، وقرطاس، وصلاة، وزكاة، ودين،... وغيرها مما كان متداولاً في بيئة النزول، وهو علة اعتماده في نظر الدارسين، بجانب أسماء الأعلام كما هي في الأصل أو مع تغيير وفق الخصائص الصوتية للغة العربية؛ نحو موسى عوض موشي، وعيسى عوض ياسوع، ومريم بدلا من مري، وإبراهيم بدل أبراهام، وغيرها مما ليس موضوع هذه الدراسة، وفيه كلام كثير سأخصص له بحثا مستقبلا بإذن الله.

إن مما يميز الدخيل في القصص القرآني ما يأتي:

1/ إنه لا ينحصر في المفردات وإنما يشمل أيضا عبارات (لا أقصد الجمل بمعناها النحوي لأن العبارة هنا تكون مركبة أحيانا من لغتين، أحيانا فعل عربي وباقي مكونات الجملة عربية) بمثابة جزء حي من الحوار الذي دار بين الأشخاص زمن القصة وبلغتهم؛ مما ييسر تمثيل أحداث القصة داخل سياقها الحضري والتاريخي، وبهذا يمكن تفنيد دعوى من حصر الدخيل في أسماء الذوات؛ إذ تضمن أيضا الأحداث لدواع تاريخية وأخلاقية وحضارية.

2/ إن هذه العبارات توظف في سياقات ومقامات يمثل مضمونها مجال تحول في أحداث القصة من جهة، ونقطة تحول في القيم الحضارية والأخلاقية من جهة ثانية، وهي مسألة مهمة جدا لم يلتفت إليها؛ إذ لا يتم التحول من لغة إلى لغة فقط، بل هذا التحول يمثل قفزة نوعية بل قطيعة إيديولوجية مع طقوس وممارسات كانت الأمم السابقة تبيحها، ثم حرمتها الديانات السماوية، من مثل الزنا الذي شددت كل الديانات السماوية في حكمه وحده، والقربان البشرية التي كانت طقسا تعبديا قبل زمن إبراهيم عليه السلام ثم حرمت في عهده عبر قصة الذبيح، والسؤال عن الغيبيات الذي يمثل قصة إبراهيم وسؤاله عن البرهان بداية نصية للنهي عنه.

3/ إن هذه العبارات تختزل بأسلوب بليغ مضامين عدة وتتعلق بمواقف تقتضي التلميح والإيجاز وأحيانا الستر، في حين اعتمدت الكتب السماوية في سردها الإطالة والتصريح بعبارات فاضحة ومباشرة، مما يعني مواكبة طرائق التعبير في الرسائل السماوية لمنظومة القيم الحضارية.

4/ إن هذه العبارات تمثل مظهرا بلاغيا ينفرد به القرآن الكريم؛ وهو الالتفات لا في الضمائر ولا في صيغ الأفعال، وإنما من لغة إلى أخرى، لأغراض بلاغية وحضارية وأخلاقية، وهو نوع لم يذكره أحد من علماء البلاغة.

وسأمثل لما ذكرت من قصتي يوسف وإبراهيم علمهما السلام مع اقتراح منهج للمقاربة.

2- النموذج الأول: قوله تعالى: "وقالت هيت لك": من سورة يوسف:

تتميز قصة يوسف في القرآن الكريم مقارنة بغيره من الكتب المقدسة بخصائص؛ منها: من حيث الورد أنها القصة التي خصصت بسورة تحمل اسمها ولم تكرر في القرآن الكريم. ومن حيث البلاغة تتسم بالإيجاز والتلميح في مواضع عدة، فمثلا لم يسم من الأشخاص باسمه إلا يوسف عليه السلام، في حين ذكرت التوراة الأشخاص بأسمائهم الشخصية ما عدا زوج عزيز مصر التي اكتفت فيها مثل القرآن بالوصف. ومن حيث المعجم تمثل من أغنى السور القرآنية بالمعجم الدخيل عن طريق الحكاية، واللافت في هذه الحكاية هو الالتفات من اللغة العربية في بعض المواضع المركزية والفاعلة في القصة إلى نقل العبارة في لغتها الأصل كما تلفظ بها الشخص زمن القصة ثم يجيبه الطرف الثاني مباشرة في الحوار باللغة العربية؛ مما يثير أسئلة عدة؛ منها: لماذا هذا التحول العجيب والمفاجئ والناذر؟ ما المغزى منه؟ ألم يكن ممكنا إدراج الحوار كله إما باللغة العربية وإما بلغة المتحاورين؟ أليس في كلام العرب مقابلا لـ"هيت" العبرانية أو الآرامية؟ أم لم تكن العرب تعرف مقابل "معاذ الله" بالعبرانية؟

لنتأمل الآية إذن؛ "وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي". سورة يوسف، الآية، 23.

بالنظر في كتب التفسير يتضح أن دراستهم لهذه المادة وخلافهم حولها ينحصر في جنسها: أعرابية هي أم أعجمية؟ وإذا كان معظمهم يرجح أعجميتها مع تحديد المعنى القريب: تعالى أو هلم لك¹، فإنهم لم ينشغلوا بما فيها من نكت بلاغية وقيم تربوية، نظرا لتفسيرها في ذاتها فقط، وليس في علاقتها بما قبلها وما بعدها؛ وهذا مما يكشف أهمية الدراسة النصية للقرآن؛ لأنها تكشف دررا ثرية كما سنرى في "هيت"، ويبين عن مصدر ما في التفاسير من فراغات تحتاج إلى الملء وفق تصور جديد، ويتضح منها أيضا أن فهم لغة القرآن تقتضي الدراسة الأفقية الداخلية وليس فقط القراءة العمودية؛ لأنه نسق وكل متجانس يقتضي فهمه قراءة نسقية وفق الموضوعات، وفي بعض الموضوعات يقتضي قراءة أفقية خارجية لتأكيد الفرادة وتبين معالم الإعجاز، وهذا ما سنجره في هذه الدراسة.

تجمع الآية السابقة ثنائيات متناقضة ذات حمولات حجاجية ودلالية قوية؛ وهي:

الطرف الأول	الطرف الثاني
أنثى	ذكر
موصوف غير مسمى (امراة العزيز)	مسمى: يوسف
سيده	عبد مملوك
عمل ممنوع شرعا (التحريض على الفاحشة)	عمل مطلوب شرعا (العفة)
لغة أعجمية (غير عربية)	لغة عربية

فالطرف الأول زوج عزيز مصر، تأمر بحكم مركزها الاجتماعي وسلطتها اللذين يسمحان لها بذلك بالرديلة بلفظ صريح في لغاتها. والعبد المأمور الطرف الثاني يتنزه عن الفعل ويرفضه لا لحكمه الشرعي (الحرام)، وإنما نظرا لتربيته الأولى في بيت أبيه وأخلاقه التي اكتسبها هناك، لما فيه من خيانة العهد ونكران جميل الرب؛ وهو لفظ يحتمل الرب، بمعنى عزيز مصر الذي اشتراه وأواه، أو الرب المعبود الذي اصطفاه، لأنه لم يرد نص صريح في تحريم الزنا في حينه بل إن القوم كانوا على دين آمون وكانوا يعبدون الأوثان، إلى أن آل الأمر إلى يوسف فهدهم إلى دين التوحيد، وفي السورة آيات عدة تؤكد الأمر. وهذا التحول من قيمة الشر إلى قيمة الخير كان عبر الالتفات في اللغة. وفهم هذه القيم أكثر يقتضي مقارنتين: داخلية وخارجية.

1/ المقارنة الداخلية: سيتضح المغزى من "هيت لك" إذا استحضرننا في المقابل عبارة أخرى نهانا القرآن عن توظيفها لشبهة انتمائها إلى اللغة العربية، على الرغم من أصلها معناها في المعجم العربي واعتيادها بين العرب، في

مقابل توظيف هذه العبارة غير العربية في مركز أحسن القصص القرآني كما وصفها القرآن الكريم، وهي سورة يوسف عليه السلام. فما القاسم المشترك بين العبارتين؟

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم". سورة البقرة،

.104

ينهى الحق سبحانه المؤمنين عن توظيف عبارة راعنا العربية، ويدعو إلى استبدالها بمرادفها "انظرنا"، لكونها تتفق في اللفظ مع "رع" العبرانية ذات المعنى القبيح، لأن اللفظ موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، سدا لذريعة توهم اليهود سب الصحابة لنبيهم عليهم أفضل السلام وأزكى السلام. فعلة المنع هي الدلالة القبيحة في اللغة العبرية؛ إذ يحتمل اللفظ المعنيين؛ أن يكون دخيلا بالمعنى فيكون سبة كما توهم اليهود، وأن يكون بمعنى النظر والرؤية باعتماد الأصل العربي، فاتضح منه أن معيار انتقاء معجم القرآن وعباراته ليس فقط الاعتياد في البيئة، وإنما أيضا عدم اللبس أو احتمال التأويل بغير المقصود ولو في غير اللغة العربية. وهذا إقرار ضمني من القرآن بورود الدخيل في اللغة العربية وإمكانه في القرآن ما لم يحتمل معنى سلبيا.

وفي المقابل نجد القرآن يوظف "هيت" العبرية بغالب الظن، وتحمل أيضا معنى قبيحا، وهو الدعوة الصريحة إلى الفاحشة، فاستعاض القرآن عن اللفظ العربي مع وجوده باللفظ العبراني؛ لجرأة الموقف بالنظر إلى من صدر عنها²، وقد عد ابن القيم الجوزية عشرة وجوه للمكر في قوله تعالى: "وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين". يوسف الآية 30. مركزا في بيانها على المكانة الاجتماعية لامرأة العزيز بالنظر إلى الفعل الفاحش الذي أقدمت عليه مع العبد المملوك، ومنها الجرأة والمبادرة³.

هكذا؛ فالعلة المشتركة بين المنع والاستعمال هي قبح المعنى. فالأول ممنوع تنزيها للصحابة من فعل مرفوض في الدين الإسلامي. والثاني مقصود حتى يبقى ذلك الفعل القبيح حبيس الحضارة والثقافة اللتين أنتجتاه، تنزيها للإسلام والمسلمين، وتوكيدا لأن التلغظ بهذا الفعل مكروه فكيف بفعله؟ ومن ثم صنف الزنا ضمن الكبائر وشددت عقوبته في الديانات السماوية كلها. بل لقد علل الزركشي عدم تكرار سورة يوسف في القرآن الكريم على خلاف غيرها من قصص الأنبياء بوجوه منها: "تضمن الأخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا، وأرفعهم مثالا، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر عن ذلك"⁴، وهذه من القيم المميزة للقرآن الكريم، فلم يتضمن علاقة عاطفية بين امرأة ورجل خارج مؤسسة الزواج إلا هذه. بل صحح الحاكم في المستدرک مرفوعا النهي عن تعليم النساء سورة النور، ويناسبه الحديث النبوي: "من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد"⁵.

2/ المقاربة الخارجية: يتضح المغزى من التعبير والتميز البلاغي للقرآن الكريم ومراعاته للقيم عندما نقارن هذه الموضوع من القصة بنظيره في التوراة مثلاً؛ إذ جاء الحديث عنه مطولاً كررت فيه الدعوة الصريحة إلى الرذيلة أربع مرات بلفظ صريح مع التفصيل في الجزئيات:

ورد في التوراة: "وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت: "اضطجع معي". فأبى وقال لامرأة سيده: "هوذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ما له قد دفعه إلى يدي. ليس هو في هذا البيت أعظم مني. ولم يمسك عني شيئاً غيرك، لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟" وكان إذا كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها.

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأسكته بثوبه قائلة: اضطجع معي! فترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج...⁶ والنص طويل.

في حين اختصره القرآن الكريم بشكل غير فاضح ومهد للفهم بقوله تعالى: "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب" لبيان قبح الموقف بالنظر إلى من صدر عنها الأمر⁷، ولتعليل الاختزال والستر، ثم لبيان أن الغلبة لقيمة الخير من خلال ما آل إليه أمريوسف عليه السلام بعد هذا الابتلاء⁸.

هكذا يتضح من خلال المقارنتين الداخلية والخارجية ما في هذه الآية من قيم:

1/ قيمة بلاغية: تتمثل في الالتفات اللغوي ذي الحملات الدلالية والتاريخية والحضرية بجانب القيمة البلاغية الجمالية.

2/ قيمة أسلوبية: تتمثل في براعة التصوير وتنوع أساليب العرض وفق ما يقتضيه السياق والمقام. ومن ثم تميز أسلوب القرآن الكريم بالمراوحة بين الإيجاز والإطناب والمساواة. بين التصريح والتلميح. بين اللغة العربية والألفاظ الدخيلة من لغات مع تسجيل ندرتها. فكان القرآن نصاً بديعاً بليغاً مجسداً للتحويلات.

3/ قيمة أخلاقية تتمثل في:

- ترسيخ آداب الحديث من خلال انتقاء الألفاظ والعبارات بحسب المقام والسياق.
- الحث على تنزيه لسان المسلم وفعله عن الشبهات.
- الحث على قيمة الخير ودم الشر من خلال التفصيل في رد يوسف بعربية فصيحة ومبينة، واختزال كلام امرأة العزيز الفاحش بلغة غير واضحة لغير النخبة المثقفة.
- قيمة حضرية: تتمثل في تطور الأحكام والقيم والأساليب وفق مستجدات التشريع.

3- النموذج الثاني: من قصة إبراهيم عليه السلام:

وسأسلُك في مقاربتة المنهج نفسه لتوكيد أن الالتفات في اللغة يخدم الهدف نفسه؛ إذ اللغة غير العربية حصر للحدث الذي تحمله. وتوظيف اللفظ العربي في نظيره سن لشريعة لها امتداد في الزمان والمكان ينسخ بها طقس وثني. حضر حدث "الذبح" في قصة إبراهيم عليه السلام في مشهدين. وتباينت لغة التعبير عنه بينهما لتباين في طبيعة الحدث والمغزى منه، مع أنه ذبح في كلتا الحالتين بمعنى إخراج الروح بطريقة قصدية من دون التنصيص على الطريقة.

قال تعالى: "وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا". البقرة، 260. قال تعالى: "فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى". الصافات، 102. وقال تعالى: "وفديناه بذبح عظيم". الصافات، 107.

تهمنا في هذه القصة عبارة «فصرهن إليك» مثل "هيت لك". اختلف المفسرون في معناها ورجح معظمهم، وفق موقفهم من الدخيل في القرآن الكريم، أن تكون بمعنى "اضممن إليك" أو "أميلن إليك"⁹؛ لكنه معنى لا ينسجم والسياق الذي وردت فيه. لهذا فاستحضار السياق وبحث المادة يرجح أن تكون بمعنى شققهن أو قطعهن، ويؤيده أنه اللفظ المعتمد في التوراة "شق" مكررا على الرغم مما في القصة هناك من تحريف ساشير إليه؛ وهو لفظ سرياني "صرى" بمعنى قطع أو شق¹⁰، والشق هنا نوع من الذبح لأن الطريقة الشرعية للذبح لم تسن حينئذ بعد.

إن هذا الحدث "فصرهن" ارتبط بلحظة حيرة (وفي الموضوع أقوال خلافية) أصابت إبراهيم عليه السلام أمام تعنت قومه وإعراضه، أو أمام انهياره باتخاذ الله له خليلا، فطلب دليلا للاطمئنان¹¹، ثم استجاب له الخالق؛ أي أن الحدث محصور في شخص خاص (هو أب الأنبياء) وزمان ومكان معينين فلا تقبل الإرث ولا القياس أو التقليد. عبر القرآن بلغة إبراهيم السريانية كما خوطب بها حصرا للحدث كما فعل مع زليخا زوج عزيز مصر في "هيت لك"، فتبين منه أن الالتفات في اللغة هنا أيضا ذو مغزى دلالي وأخلاقي وتشريعي وحضري، وليس فقط التداول كما هو شائع.

ثم إن طريقة الذبح بشعة لما فيه من شق ودق وخلط وغيره مما وصفه المفسرون¹². فالإيجاز أبلغ فيه من التفصيل، إذ ليس حدثا مركزيا في القصة، وقد يكون إبراهيم فعل وقد يكون اكتفى بالسؤال لمعرفة الكيف، ثم صار السؤال نفسه بدعة.

وفي المقابل نجد في قصة الذبيح - وهو أيضا أمر سبقته حيرة، ليس بمعنى الشك كما في الأول، ولكن لموقفه من طقوس قومه الوثنية ومن تقديم القرابين البشرية¹³، لكن بعد أن تكررت الرؤيا تؤكد من أن الأمر مغاير لطقوسهم فاستجاب لأمر الرب المعبود- التصريح باللفظ "ذبح" بصيغتين؛ لأنه يمثل نقطة تحول في التشريع من خلال القطيعة مع طقس وثني عبر عنه بالفعل الدال على التحول والتغير "أذبحك" وسن لشريعة لها امتداد في الزمان والمكان عبر عنه بالاسم الدال على الثبات (ذبح عظيم). فبين العبارتين قطيعة إيديولوجية مع طقس وإعلان البديل، فهو التفات

من حكم إلى آخر فكان التصريح واجبا وبلغا، وأما شق الطير فكان استجابة لطلب شخص خاص فاقتضى الأمر الحصر لغة ودلالة وحكما أيضا.

هكذا أدت اللغة دورا أساسا في التغيير والتشريع وتمييز الخاص من العام والمحدد من الشائع. فكانت لغة القصة بهذا التنوع وفق السياق والمقام الأبلغ في التصوير والتعبير والتدقيق.

المقاربة الخارجية: بالانفتاح على الكتاب المقدس نجده اعتمد في الأول "فعل شق"، مع تعيين نوع المذبوح من الإبل والأنعام والطير، وفي الذبيح المحرقة وفق نهجهم في التعامل مع الموتى. لكن ما يستوقف القارئ هو ذلك التحوير في المغزى والسياق وفق أهواء اليهود من طلب الاطمئنان الروحي الإيماني إلى طلب الاطمئنان المادي من خلال أوهام اليهود ومزاعمهم، خاصة:

1/ وهم الاستخلاف في الأرض من خلال وعد إلهي مزعوم بإرث أرض ما بين الفرات والنيل وتمثله بالنسبة إليهم قصة الشق¹⁴.

2/ وهم شعب الله المختار من خلال تحديد من الذبيح ومكانه¹⁵.

ومن ثم تم الإعراض عن الإيجاز والإيهام إلى التفصيل في الزمان والمكان والحدث، وتعيين الأماكن والحدود بالأسماء وأنواع القرابين المقدمة، وغير هذا مما يؤكد أنها قصة من وحي الخيال وفق أهداف محدثة لا علاقة لها بالقصة الأصل.

وبالمقارنة بين القصتين يظهر دقة القرآن في سرد الأحداث ونقل الوقائع وربطها بقيم وأهداف تاريخية وعقدية وحضارية ولغوية¹⁶، بخلاف ما في التوراة من تحوير لأهداف خاصة تحكمت فيها مزاعم اليهود وأوهامهم فأثرت في طبيعة التعبير¹⁷.

خاتمة:

يتضح من هذين النموذجين:

1/ أن توظيف القرآن لألفاظ وعبارات دخيلة لم يكن فقط لعللة التداول وتمثل لغة شبه الجزيرة العربية إبان النزول، وإنما تحمل دلالات عميقة تخدم السياق والمقام، وتبين عن تحولات أخلاقية وتطورات اجتماعية وترسخ قيما حضارية.

2/ أن فهم الدخيل في القرآن الكريم يقتضي دراسات تتبنى النسق وتنأى عن التجزيء، لأنه كل ونسق متجانس.

3/ أن قراءة المعجم القرآني تقتضي الانفتاح أيضا على الكتب المقدسة في إطار تقابلي يظهر تميز القرآن وفرادته.

4/ أن القصص القرآني مدرسة للتوجيه والتربية، ومرجع أساس للتعاظ والعبرة، وخطاب بليغ طافح بالخصائص اللغوية والأسلوبية والبلاغية.

وأخيرا؛ توصي هذه الورقة البحثية بعقد ندوات وأيام دراسية في موضوع أثر السياق الحضاري والتاريخي في فهم المعجم القرآني.

• المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- سفر التكوين من العهد العتيق.
- 1. جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط.3، 2009.
- 2. جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة 597 هـ: زاد المسير في علم التفسير، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول الجزء الرابع من أول سورة يونس حتى نهاية سورة النخل دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- 3. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
- 4. سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، ط.1، دار الآفاق العربية، 2006.
- 5. شحرور، محمد: القصص القرآني قراءة معاصرة الجزء الثاني من نوح إلى يوسف، ط.2، دار الساقى، لبنان، 2014.
- 6. الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط.1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1325 هـ، ط.1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1325 هـ.
- 7. ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001.
- 8. الفخر الرازي: تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط.1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981.
- 9. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، 2006.
- 10. ابن قيم الجوزية: التفسير القيم، حققه محمد حامد ألفقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.
- 11. نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، الدار التونسية للتوزيع، 1971.

• الهوامش:

1- قال ابن الجوزي: "واختلف العلماء في قوله: "هيت لك" بأي لغة هي، على أربعة أقوال:

أحدها: أنها عربية ، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخرا، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرف، ولا تثنية، ولا جمع، ولا تأنيث، يقال للثنتين: هيت لكما، وللجميع: هيت لكم، وللنسوة: هيت لكن. والثاني: أنها بالسريانية، قاله الحسن. والثالث: بالحوارانية، قاله عكرمة، والكسائي. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها. والرابع: أنها بالقبطية، قاله السدي. زاد المسير في علم التفسير، حققه وكتبه هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت. 156/4

وقال الفخر الرازي: "المسألة الأولى: قال الواحدي: هيت لك اسم للفعل نحو: رويدا، وصه، ومه. ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة، وقال الأخفش: { هيت لك } مفتوحة الهاء والتاء، ويجوز أيضا كسر التاء ورفعها. قال الواحدي: قال أبو الفضل المنذري: أفادني ابن التبريزي عن أبي زيد قال: هيت لك بالعبرائية هياج، أي تعال عربة القرآن، وقال الفراء: إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى بكة فتكلموا بها. قال ابن الأنباري: وهذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في «القسطاس» ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والتركي في «الغساق» ولغة العرب والحبيشة في «ناشئة الليل». تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط.1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981، 116-115/18.

2- ينظر: سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، ط.1، دار الآفاق العربية، 2006، ص. 58-62.

3. ابن قيم الجوزية: التفسير القيم، حققه محمد حامد ألقفي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت. 314-315.

4. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، 3029/3.

5. أخرجه مالك في الموطأ، 1562. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج.8/ 326. وأخرجه الشافعي في الأم، 160/6.

6. الإصحاح التاسع والثلاثون من سفر التكوين، 15.7.

7. ينظر معنى "تراود" في الاستعمال القرآني في: سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، 264-265.

8. جعل الزركشي مما اختصت به هذه القصة حصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص، فإن مألها إلى الوبال، كقصة إبليس، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وغيرهم، فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص: بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص. البرهان في علوم القرآن، 29/3.

9. قال الطبري: "فمعنى قوله: { فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } اضممهن إليك ووجهن نحوك، كما يقال: صُرْ وجهك إليّ، أي أقبل به إليّ. ومن وجه قوله: { فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } إلى هذا التأويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه، ويكون معناه حينئذٍ عنده، قال: فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك، ثم قطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءا. وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك إذا قرىء كذلك بضم الصاد: قَطَّعْنَ". جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط.1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1325هـ، 496/5. وقال جار الله محمود بن عمر الرمخشري: " { فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهنّ وضممهنّ إليك". تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط.3، 2009، ص.149.

10. وقال ابن عطية: "ففي اللفظة لغتان قرىء بهما، وقد قال ابن عباس ومجاهد في هذه الآية { صرهن } معناها: قطعهن، وقال عكرمة وابن عباس فيما في بعض ما روي عنه أنها لفظة بالنبطية معناها قطعهن، وقاله الضحاک، وقال أبو الأسود الدؤلي: هي بالسريانية، وقال قتادة: { صرهن } فصلهن، وقال ابن إسحاق: معناها قطعهن، وهو الصور في كلام العرب، وقال عطاء بن أبي رباح: { فصرهن } معناها اضممهن إليك (161). وقال ابن زيد معناها اجمعهن، وروي عن ابن عباس معناها أوثقهن". المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001، 354/1.

11. قال أبو عبد الله القرطبي: "اختلف الناس في هذا السؤال؛ هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا؟ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الوتي قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "ليس الخبر كالمعاينة" [...] قال الأخفش لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين [...] وذكر [يقصد الطبري] عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: ربي أرني كيف تعي الموتى....". الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2006، 310/4.

12. قال أبو عبد الله القرطبي: " فأخذ هذا الطير كما أمر فذكاها، ثم قطعها قطعاً صغاراً، وخلط لحوم البعض مع الدم والريش حتى يكون أعجب، ثم جعل من ذلك الخليط المجتمع جزءاً على كل جبل"، 314/4.

13. شحرور، محمد: القصص القرآني قراءة معاصرة الجزء الثاني من نوح إلى يوسف، ط.2، دار الساقى، لبنان، 2014، ص. 109-114.

14- ورد في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين من التوراة من 2 إلى 19: " فقال إبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيماً ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي. وقال أبرام أيضاً: إنك لم تعطيني نسلاً، وهوذا ابن بيتي وارث لي، فإذا كلام إليه قائلاً: لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، ثم أرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له: هكذا يكون نسلك. فأمن بالرب فحسبه له برا، وقال له: أنا

الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال: أيها السيد الرب، بماذا أعلم أنني أرثها، فقال له: خذ لي عجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشا ثلاثيا، ويمامة، وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط. وجعل شق كل واحدة مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث، وكان أبرام يزرعها....." إلى أن قال: "ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخان ومصباح ناريجوز بين تلك القطع. في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات، القبتيين والتزنيين والقدموتيين والحيثيين.....".

15. ورد في التوراة: "بعد هذه الأحداث أراد الله امتحان إبراهيم فطلب منه أخذ ابنه إسحاق إلى أرض المريا ليقدمه محرقة لله. فبادر إبراهيم إلى تنفيذ ما طلب الرب، ولكن ما إن باشر بإعداد المحرقة حتى رأى بالقرب منه خروفا فدية من الله عن إسحق". الإصحاح الثاني والعشرون من سفر التكوين. ينظر تفصيلا في هذا الموضوع في: نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، الدار التونسية للتوزيع، 1971، ص. ص. 209، 2019.

16. يقول نقرة: "وهكذا فإن القصص التاريخي في القرآن وإن لم يكن عرضا تاريخيا بالمعنى المعروف، لكنه حجة لا تقبل الطعن في إثبات ما قص من وقائع تاريخية. وقد أبان وجه الحق فيما دخل على بعض القصص من زيف أو تحريف، سواء في كتب العهدين، أو في كتب التاريخ القديمة". سيكولوجية القصة في القرآن، 243.

17. يقول نقرة: "فالتوراة إذن لم تسلم من الأحداث التي تعرض لها اليهود عامة، وأورشليم خاصة. ولذلك يميل المسلمون إلى الرأي بأن اليهود تعمدوا تحريف التوراة. ولقد قام البيروني أيضا بمناقشة عبارات من التوراة من (سفر أشعيا) وغيره مستشهدا على أن التوراة قد تنبأت بظهور المسيح ومحمد عليهما السلام. ثم يتهم عناد اليهود وإنكارهم هذا الأمر نتيجة تحريفهم للتوراة". سيكولوجية القصة في القرآن، 153.

فهرست المخطوطات النحوية في بعض خزائن المغرب وتونس

Grammar manuscripts are indexed in some of the treasures of Morocco and Tunisia.

دة. فتيحة بلحاجي ، Fatiha Belhadj

المركز الجامعي مغنية – تلمسان / الجزائر

إيميل الباحث: fatihabelhadji13@gmail.com

المخلص:

إن المخطوطات هي الوعاء الحامل للكنوز الخطية والذخائر النفيسة والهامة في شتى العلوم والمجالات ، والمكتبات والخزائن العربية والمغربية تزخر بعدد المخطوطات الدفينة التي تحتاج إلى إحيائها ونفض الغبار عنها عن طريق الفهرسة والتحقيق وغيرها ، وعليه تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جهود علماء النحو من خلال جرد فهرس المخطوطات النحوية في بعض خزائن بلدان المغرب العربي، (المغرب وتونس) التي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات العربية والمغربية ، ومن خلال هذه الاطلالة سنحاول الوقوف على بعضها، على أمل أن نستكمل العمل في دراسات مقبلة .

الكلمات المفاتيح: الفهرسة، المخطوطات، النحو، الخزائن، تونس، المغرب.

Abstract:

The manuscripts are the vessel carrying linear treasures and precious and important ammunition in various sciences and fields, and Arab and Maghreb libraries abound in the treasury with many buried manuscripts that need to be revived and dusted through indexing and investigation and others, and therefore this study aims to shed Highlighting the efforts of grammar scholars through inventory of grammatical manuscripts indexes in some treasuries of the countries of the Maghreb (Morocco and Tunisia) that contain a large number of Arab and Maghreb manuscripts, and through this look we will try to stand on some of them, in the hope that we will complete the work in Future studies.

Keywords: Indexing; manuscripts; grammar; treasury; Tunisia; Morocco.

تقديم:

تحظى المخطوطات النحوية على غرار باقي المخطوطات التراثية الأخرى بأهمية كبيرة لدى المختصين في الفهرسة ، وهناك عوامل عدة ساعدت الباحثين و المهتمين بفهرسة المتون النحوية و العناية بجهود النحاة ، نذكر منها : وجود مؤلفات علمية في اللغة و النحو لبعض علماء القرن الثاني الهجري و أول القرن الثالث ، ككتاب سيبويه ، و كتاب العين ، و كتب الكسائي و الفراء و أبي عبيدة ، و أبي زيد الأنصاري ، و الاصمعي و الأخفش و غيرهم ، حيث شكلت تتابعا تاريخيا من الممارسة العلمية في النحو و الصرف و اللغة ، ضف إلى ذلك ظهور الخلاف النحوي بين البصريين و الكوفيين و اشتداده في القرن الثالث هجري أيام المبرد البصري و ثعلب الكوفي ، مما استدعى الذاكرة التاريخية للنحو و علمائه قصد إبراز مكانة العلماء المحتج بأرائهم ، و الافادة من تجربتهم العلمية في تقنين اللغة العربية منهجا و تحليلا و تبويبا و مصطلحا و اختيارا و ترجيحا و تعليلا و تفسيرا و قبولا و رفضا و تعميما و تقييدا ..لايجاد الفيصل في مسألة الخلاف كاستدعاء الخليل بن أحمد الفراهيدي أو سبويه و غيرهم للاخبار العلمية عن كل واحد منهم¹ .

و هذا دليل على المكانة المرموقة التي حظيت بها جهود العلماء في تأصيل و تقنين علوم اللغة العربية قاطبة على مر سنون تاريخ المغرب العربي القديم و الحديث، خاصة النحو العربي الذي اكتسب صبغة خاصة من بين هذه العلوم و نال حظ الأسد من تلك الجهود ، جاءت هذه الورقة البحثية لتقصي أثر فهارس المخطوطات التي تعد بصمة تاريخية و مصدرا موثقا للجهود المثبتة في مجال الدرس النحوي في المغرب العربي ، ذلك لأن "الفهرسة جزء هام و أساسي من أجزاء علم الكوديكولوجيا، وهي تقدم بيانات عن محتوى المخطوط و عن الشكل المادي له، و يتطلب هذا من المفهرس ثقافة واسعة و معرفة بعلم الخطوط و علم البليوجرافيا، حتى يتمكن من التعرف على مواد الكتابة و نوع الحبر و أنواع الخطوط المختلفة، و تحديد تاريخ النسخة، و تحقيق عنوان الكتاب، و توثيق اسم مؤلفه، و معرفة ما إذا كان قد طبع أو لا.

و في العقود الأخيرة ظهرت عدة دراسات تحاول أن تضع قواعد لفهرسة المخطوطات العربية، و صمم أصحابها بطاقات تتضمن البيانات الرئيسية التي يجب إثباتها في البطاقة، و إجمالاً يمكن القول أن فهرسة المخطوط يجب أن تتضمن العناصر الآتية: صفحة العنوان (اسم الكتاب)، اسم المؤلف، بداية المخطوط (الاستهلال)، نهاية المخطوط (الخاتمة)، الترقيم و المسطرة و الحجم، نوع الخط و اسم الناسخ و تاريخ النسخ، وصف المخطوط، المصادر و الفهارس التي تم الرجوع إليها في تحقيق العنوان أو المؤلف و خلافاً² ، فالفهرسة عملية هامة تختص بإنشاء الفهارس ، فهي عملية الوصف الفني لأوعية المعلومات مفعمة بالبيانات التي يتميز بها كل مخطوط على حدى، بهدف أن تكون تلك الأوعية في متناول المستفيد بأيسر الطرق و في أقل وقت ممكن. و عليه : فيم تتجلى المخطوطات النحوية المفهرسة التي حوتها خزائن المغرب و تونس ؟

أولا - المخطوطات في خزائن المغرب :

من بين خزائن المخطوطات في المغرب الأقصى نجد خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش ، تتضمن عديد الكنوز و النفائس المصورة و الورقية ، صدر لها فهرسان : الاول موجز من إعداد كلية الاداب و العلوم الانسانية بمراكش ، و الثاني مفصل صدر عن درا الغرب الاسلامي ببيروت عام 1994م، بالاضافة إلى الخزانة الحسنية بالرباط التي يرجع تاريخها إلى عصر الدولة الادريسية ، و تعد أول مؤسسة في تاريخ المغرب الثقافي ، تمت فهرسة 4800 مخطوطة طبعت في سبع مجلدات كل في مجاله ، أيضا نجد مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الاسلامية و العلوم الانسانية بالدار البيضاء ، أغلب مخطوطاتها ذات مصادر مغربية أندلسية ، تمت فهرسة 2000 مخطوطة متنوعة المعارف و العلوم ، نشر عام 1996 م تحت عنوان " فهرس مخطوطات المؤسسة"³.

ستنحصر دراستنا في المخطوطات النحوية التي جمعها معلمة المغرب محمد بن جعفر الكتاني (رصيد حرف جك) المجلد التاسع و التي حفظت بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية – الخزانة العامة للمكتب و الوثائق سابقا، و الذي خصص لها كتابا تحت عنوان فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الصادر سنة 2011، حيث شمل مختلف العلوم و الفنون و منها المخطوطات النحوية التي جاءت في ثناياه كمايلي:

1- شرح مختصر على ألفية ابن مالك: و يسمى أيضا شرح على تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد، المؤلف : غير مذکور، أوراقه: 234، مسطرته مختلفة / مقاسه: 14×18سم، كتب بخط مغربي مجوهر مختلف محلى بالألوان ، و نسخ في 26 ربيع الاول عام 1120هـ، أوراق المخطوط منفصلة و بها آثار الرطوبة ، و قد غلف بجلد أحمر، تتوسطه ترنجة ، به تعقيبة و مهمش بطرر كثيرة ، رقم الميكروفيلم (100 جك) : 052.

أوله : بعد الحمدلة و التصلية ..: أما بعد فهذا شرح مختصر على ألفية ابن مالكو آخره حمدلة و حسبلة.⁴
2- الدررة النحوية في شرح الاجرومية ، تأليف: محمد بن أحمد بن يعلى الحسني النحوي ت سنة 723هـ/1323م، أوراقه : 37 ، مسطرته : 24، مقاسه : 17,5×22,5سم، كتب بخط مغربي حسن ، هو مخطوط مبتور الاخر و مفكك الاوراق ، و قد غلف بورق مقوى ، عليه ختم تملك باسم محمد بن جعفر الكتاني، رقم الميكروفيلم (139 جك): 065.

أوله: بعد الحمدلة و التصلية ..: و بعد ، فالغرض بهذا الكتاب شرح ألفاظ مقدمة الشيخ الامام النحوي أبي عبد الله محمد الصنهاجي الجرومي .أما آخره: فجاء: و ان تكون مشتقة أو في حكمه و قد لا تكون جاء في الخبر، و أحيانا يتمثل إلى الملك رجلا فرجلا منصوب.⁵

3-التصريح بمضمون التوضيح : تأليف : زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري ت سنة 905هـ/1499مأ أوراقه 208ورقة، مسطرته : 20، مقاسه: 15×20,5سم، كتب بخط مغربي حسن محلى بالاحمر، المخطوط مبتور الاخر و مفكك الاوراق ، و قد غلف بجلد بني مفكك و به خروم ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، رقم الميكروفيلم (142 جك): 066.

أوله: بعد الحمدلة، ... فيقول خالد بن عبد الله ..، و آخره: و النكرة لا توصف بالمعرفة ، و تسمى الاضافة في هذين النوعين و هما ما يفيد تعريفه⁶.

4- منظومة في الاعراب: المؤلف: أبي العباس أحمد بن محمد الحميري التواتي الفاسي الشهير بابن الونان ، ت سنة 1187هـ/1773م، أوراقه : الثاني عشر ضمن مجموع بالورقة 196/ ب ، مسطرته : 24 ، مقاسه : 18,5 × 23,5 سم ، كتب بخط مغربي مجوهر محلى بالاحمر ، به آثار الرطوبة ، و قد غلف بجلد أحمر تتوسطه ترنجة ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، رقم الميكروفيلم (20 جك): 015.

أوله: حمدا لمن جعل الأفعالا ***** تنبيء عن وجوده تعالى .

آخره: لا أوالي الدهر من عاداكم ***** إنه آخر سطر من عبس⁷.

5- فرائد الفوائد الوفية لشرح ضابط الأفعال المركبة و الحرفية ، المؤلف: مصطفى الدمياطي الشافعي البديري كان حيا سنة 1293هـ/1876م ، أوراقه : العاشر ضمن مجموع من الورقة 38 إلى 46 ، مسطرته : 19 ، مقاسه : 17,5 × 22,5 سم ، كتب بخط مغربي ، مخطوط مفكك الأوراق ، و قد غلف بجلد أحمر تتوسطه ترنجة صفراء ، و به تعقيبية رقم الميكروفيلم (202 جك): 075.

أوله: إن أعلى درر صد رت عن مصادر الافعال ، و أعلى غرر طردت غنى الهوى عن مراصد الأقوال ، حمد من تنزه عن النقائص...

آخره: أفصح سناه عن نيل المرام فالحمد لله على إتمامه و أسأله حسن الختام بجاه سيدنا محمد⁸.

6- مسائل نحوية : المؤلف : غير مذكور ، أوراقه : السابع عشر ضمن مجموع من الورقة 58/ب إلى 98/أ ، مسطرته : 25 : مقياسه : 17,5 × 22,5 سم ، كتب بخط مغربي جميل ، و نسخ بيد محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، بالمخطوط تعقيبية و هو مفكك الاوراق ، و قد غلف بجلد أحمر تتوسطه ترنجة صفراء. رقم الميكرو فيلم : (202 جك) : 072.

أوله : الحمد لله الذي خصنا بالكلام العربي ، و شرفنا بمحمد النبي الأمي ... و بعد ، فهذا ذكر جمل عشرينية من الفوائد التصريفية ...

آخره : و إنما المراد التصديق بمعنى الاذعان ، و القبول للنسبة المدركة في الاستسلام و الانقياد لذلك⁹.

7- أرجوزة الاعراب : المؤلف: غير مذكور : أوراقه : الخامس و العشرون ضمن مجموع من الورقة 151/ب إلى 156 ، مسطرته : 22 ، مقاسه : 17,5 × 22,5 سم ، المخطوط مفكك الاوراق ، و قد غلف بجلد أحمر تتوسطه ترنجة صفراء ، رقم الميكروفيلم (202 جك): 072.

أوله: يقول عبد الله مولى الفخار ***** الحمد لله العزيز الجبار

آخره: و يغفر الله لعبدا أصالحا ***** ماشان من عيب بها¹⁰.

8- شرح على الاجرومية، المؤلف: زين الدين خالد بن عبدالله بن أبي بكر الأزهري المتوفى سنة 905هـ/1499م ، أوراقه: 111، مسطرته: 13 ، مقياسه: 18×11سم ، كتب بخط النسخ المشرقي ، جيد محلى بالأحمر و مجدول و نسخ على يد صالح بن نجيب القصار يوم الخميس 6 صفر 1303هـ ، حالة المخطوط لابس بها ، وقد غلف بورق مقوى و الظهر بجلد أحمر.

يوجد في آخره فهرسة لأجرومية ، ورد فيها المؤلف باسم نجم الدين الأزهري لكن الأصح مؤلفه هو خالد بن عبدالله بن أبي بكر الأزهري ، لانه هو الأزهري الذي وضع شرحا على الجرومية .

أوله: بعد البسمة و الحمدلة و التصلية ، قول الأجرومي رحمه الله : الكلام هو اللفظ المركب المقيد بالوضع...
آخره: و البدل يتبع المبدل في إعرابه ، يتبعه في الجر و علامة جره الياء نيابة عن الكسرة ، لانه من الاسماء الخمسة و هو مضاف ، و الكاف ضمير متصل في محل جر بالاضافة.¹¹

9- تقييد على آخر الجرومية ، المؤلف: أبي المواهب جعفر بن إدريس بن الطائع الحسني الكتاني ، المتوفى سنة 1323هـ/1905م ، أوراقه : الحادي عشر ضمن مجموع من الصفحة 318 إلى 332 ، مسطرته : 21 ، مقياسه : 22×17,5 سم ، ، كتب بخط أندلسي مجوهر جميل ملون و مجدول ، رؤوس الفقر كتب بخط الثالث المغربي ، بيد محمد بن جعفر الحسني الكتاني (ابن المؤلف)، ملازم المخطوط مفككة و بأوراقه بعض آثار الرطوبة ، وقد غلف بجلد أحمر مذهب تتوسطه ترنجة بنية ، عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، و به تعقيبية ، رقم الميكروفيلم (207 جك) : 072.

أوله: حاصل ما اشتملت عليه هذه المقدمة الكلام و أقسامه و ما تعرف به تلك الأقسام
آخره: و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "كلمتان حبيبتان إلى الرحمان ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله و بحمجه ، سبحان الله العظيم."¹².

10- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، المؤلف: أبي الحسن علي بن محمد الشافعي الاشموني المتوفى سنة 900هـ/1495م ، أوراقه: 414 ، مسطرته : 35 مقياسه : 21×15,5سم ، كتب بخط النسخ مشرقي محلى بالأحمر ، و ذلك يوم الخميس 13 محرم 1117هـ ، ملازم المخطوط منفصلة ، وقد غلف بجلد أحمر مذهب الحواشي ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، و به تعقيبية ، رقم الميكروفيلم (34 جك): 023.

أوله: أما بعد ، حمدا لله على ما منح من أسباب البيان و فتح من أبواب التبيان
آخره: و هو كناية عما جمع من المحاسن الظاهرة ، ثم قابل بالشكر نعكة الاتمام و أردفه بالصلاة على سيدنا محمد سيد الأنام.¹³

11- حاشية المحاذي على "الموضح" ، المؤلف: أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي المعروف بالزياتي المتوفى سنة 819هـ/1416م ، أوراقه : 176 ، مسطرته ، : 25 ، مقياسه: 22×15سم ، كتب بخط مغربي تدويني محلى بالأحمر ، و نسخ بيد محمد بن محمد بن السعيدي لغماري ، بالمخطوط بعض آثار الرطوبة و

اكل الارضة ، و قد غلف بجلد بني تتوسطه ترنجة بيضاء ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، رقم الميكروفيلم (35 جك) : 023.

أوله :قوله عبارة عما اجتمع فيه امرن اللفظ و الافادة.....

آخره: وقال إن الجمهور على منع تحقيقها و جوزه الفارسي ، وقال تعمل في ضمير محذوفا ، انتهى ابن غازي ، و أما ليت فلان فلا تضعيف فيها.¹⁴

12- شرح شواهد المكودي على الألفية، و يسمى أيضا إرشاد العمودي إلى شواهد المكودي ، المؤلف: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد العياشي المتوفى سنة 1070هـ ، أوراقه : الأول ضمن مجموع من الورقة 1 إلى الورقة 65/أ، مسطرته : 23 ، مقياسه : 15×21سم ، كتب بخط مغربي تدويني ملون ، و نسخ بيد عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر العياشي يوم 16 محرم 1235هـ ، المخطوط مفكك الأوراق ، و قد غلف بورق مقوى ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، و به تعقيبة ، رقم الميكروفيلم (48جك) : 031.

أوله : الحمد لله الذي شواهد وجوده باهرة ين و هاؤه على كرمه شاهدة ، أما بعد ...

آخره: و أصله النيوام ، قلبت الياء واوا و أدغمت في الواو على القياس ، و على الأخر قلبت الواو ياء و ادغمت في الواو على المقياس.¹⁵

13- تعليق وجيز على خطبة ألفية بن مالك ، المؤلف : أبي عبدالله محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلاي الحسيني المعروف بالكردودي المتوفى سنة 1268هـ/1852م ، أوراقه : العاشر ضمن مجموع من الورقة 159/ب إلى 170/ب ، مسطرته : 21 ، مقياسه : 15×20سم ، كتب بخط مجوهر مجدول محلى بالأحمر و الأزرق ، و نسخ بيد عبد المالك بن أحمد الفاسي ، المخطوط مفكك الملازم و به أكل الارضة بجلد أخضر تتوسطه ترنجة بيضاء، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، و به تعقيبة و مهمش بطرر كثيرة ، رقم الميكروفيلم (51 جك) : 033.

أوله:بعد الحمدلة و التوصلية:و بعد فهذا تعليق وجيز على خطبة ألفية ابن مالك ، مختصر مما اختصره العلامة حمدون بن محمد...

آخره: وقوله في درجات الآخرة في مراتبها العلية لأن الدرجات كما في الصحاح الطبقات من المراتب .¹⁶

14- شرح على ما لا بد منه عن شرح الشيخ سيدي الحسن بن محمد الدرعي الدراوي على لامية ابن المجراد السلوي في أحكام الجمل و الظرف و المجرورات ، و يسمى أيضا : شرح على شرح لامية ابن المجراد السلوي ، المؤلف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة المتوفى سنة 1072هـ/1661م ، أوراقه : السابع ضمن مجموع من الورقة 132 إلى 145، مسطرته : 20، مقياسه : 15×20سم ، المخطوط مفكك الملازم و به أكل الأرضة و آثار الرطوبة و بحواشيه ترميم عشوائي ، و قد غلف بجلد أخضر تتوسطه ترنجة بيضاء ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، رقم الميكروفيلم (51جك) : 033.

أوله : بعد الحمدلة و التوصلية :..أما بعد ، بهذه الأوراق تقييد على ما لا بد منه من شرح الشيخ الحسن

آخره : فيكون من عطف الخاص على العام ، و يحتمل أن يكون أراد به نوعا مخصوصا فيكون من عطف المتباينين .¹⁷

15- شرح قصيدة ابن المجراد في إعراب الجمل : مؤلفه: أبي إسحاق إبراهيم بن الحسن النضبي المراكشي من أهل القرن العاشر الهجري، أوراقه : الثامن ضمن مجموع من الروقة 146 إلى 158/ب ، مسطرته : 20، مقياسه : 15×20سم ، المخطوط كتب بخط مسند محلي بالأحمر ، مفكك الملازم وبه أكل الأرضة و آثار الرطوبة و بحواشيه ترميم عشوائي ، و قد غلف بجلد أخضر تتوسطه ترنجة بيضاء ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، رقم الميكروفيلم (51جك) : 033

أوله : بعد الحمدلة و التوصية : أما بعد ، فهذا شرح القصيدة المنسوبة للشيخ الفقيه النحوي أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزاري...

آخره: إما ظرف للنفع المنفي ، و إما لما في لن من معنى النفي أي انتفى في هذا اليوم النفع ، و إنما ذكرنا بيت كعب رضي الله عنه.¹⁸

16- بداية التعريف في شرح شواهد سيدي الشريف ، تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الأندلسي الشهير بالدقون ، المتوفى سنة 921هـ/1515م ، أوراقه : الثاني ضمن مجموع من الروقة 219/ب إلى 240/ب ، مسطرته ، 25 ، مقياسه: 15×20سم ، كتب بخط أندلسي بحبر باهت محلي بالأحمر ، بالمخطوط آثار الرطوبة و حواشيه مرممة ترميما قديما، و قد غلف بجلد أخضر تتوسطه ترنجة بيضاء ، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، و به تعقيبه ، رقم الميكروفيلم (51جك): 033.

المخطوط مبتور الآخر، و لعل البتريسير لانه وقع في نهاية خاتمة الكتاب ، و به تعقيبه ، كما توجد نسخ أخرى في الخزانة الحسنية .

أوله: الحمد لله الذي له كل مخلوق شاهد ، ناطق بلسان حاله و مقاله...و بعد : أيها الاخ الأصفاء...فإني اردت أن اطلعك على اليهودج ، حسن التصنيف يشتمل على شواهد سيدي الشريف....

آخره: ولا يجتمع له أثر في الصلاة إذ ذاك بدعة و العمل في بدعة يحرم بركات الشيء و نفعه ، فليدع بظاهر الغيب لجميع إخوانه و أبناء جنسه ، بما يريد الاجابة فيه انفسه.¹⁹

17- حاشية على متن المغني اللبيب لابن هشام، تأليف: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنباوي الشهير بالامير الكبير ، المتوفى سنة 1232هـ/1817م، أوراقه : 282 ، مسطرته: 25، مقياسه : 16,5×23سم ، كتب بخط نسخي تدويني محلي بالأحمر، تاريخ التأليف: صبيحة ليلة الاثنين من شوال سنة 1188هـ، و نسخ بيد محمد البكري الدمشقي ، ملازم المخطوط منفصلة ، و قد جلد بالظهر و العقب جلد أحمر و الباقي ورق مقوى أزرق مزركش، و عليه ختم تملك باسم بن جعفر الكتاني، و به تعقيبه بلغت مقابلة الكتاب بالتمام و الكمال على يد محمد السكري الدمشقي ، رقم الميكروفيلم (82 جك) : 045.

أوله : الحمد لله الذي نحوه بل علمه مغن عن سؤاله ..أما بعد ، فيقول الأزهرى.....

آخره : قوله مر ذلك في آخر القاعدة الاولى ، و كلام المصنف يقتضي أن الاصل في عدم رفع الظاهر افعل

التعجب ثم الجامع بينهما مطلق الزرادة.²⁰

18- شرح التوضيح ، تأليف : زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهرى المتوفى سنة 905هـ / 1499م ،

أوراقه : الأول ضمن مجموع من الورقة 1/ب إلى 277/ب ، مسطرته : 21 ، مقياسه : 21,5×16,5سم ، كتب بخط

مغربي تدويني ، وقد كمل تأليفه يوم عرفة من شهور سنة 896هـ ، وتم نسخه صبيحة الاربعاء 27 ربيع النبوي عام

1270هـ ، المخطوط مفكك الأوراق ، وقد غلف بجلد أحمر تتوسطه ترنجة حمراء ، و عليه ختم تملك باسم بن

جعفر الكتاني ، رقم الميكروفيلم (94 جك) : 050.

أوله : هذا باب أبنية مصادر الفعل الثلاثي المجرد ، اعلم أن الفعل الثلاثي المجرد ثلاثة

آخره : أو في ضرورة كقوله و هو أبو النجم العجلي : الحمد لله العلي الأجل *****الواسع الفضل الموهوب

المجزل.²¹

ثانيا - في خزائن تونس :

تشتهر تونس هي الأخرى بخزائن عديدة ظمت في رحابها مخطوطات هامة و درر نحوية نادرة ، و من

أشهر خزائنها نجد: دار الكتب الوطنية بتونس بها حوالي 25 ألف مخطوطة تضم مختلف العلوم و المعارف ، بدأت

عملية الفهرسة بها في التسعينيات ، و تم فهرسة ثمانية آلاف مخطوطة تقريبا ، و طبعت فهرسها في ثمانية مجلدات

، نجد أيضا خزانة زاوية سيدي أحمد التليلي بالقصرين ، بلغت مخطوطاتها حوالي 242 أكثرها في العلوم الدينية ، و

كذلك مركز دراسة الحضارة و الفنون الاسلامية

بالقيروان به حوالي 8000 مخطوطة تضم مختلف العلوم و التخصصات ، أما الفهرسة فقد أعدت فهرس

بطاقية لمجموعات المخطوطات و نشر بعضها ، كما لا ننسى مكتبة ابن عاشور الشهيرة بتونس يبلغ مجموع

مخطوطاتها 1110 مخطوط ..و غيرها²²

استقينا مخطوطات النحو التالية من فهرست المخطوطات المصورة في النحو و الصرف و اللغة و العروض

، لعلي حسين البواب ، هو من أبرز فهرس المخطوطات في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

، و قد خصصه صاحبه للمخطوطات المصورة (الفيلمية و الورقية) ، حيث أحصى حوالي 802 مصورة في النحو منها

21 مخطوط وجد في خزائن تونس ، حيث تم تصوير هذه النسخ التي احتوت عليها كل من خزائن : مكتبة حسن

حسني عبد الوهاب و دار الكتب الوطنية التونسية و خزانة المكتبة الأحمدية التونسية ، و جاءت على المنوال الآتي:

1- إتحاف الإنس : المؤلف : محمد بن محمد السنباوي ، الملقب بالأمير ، المتوفى سنة 1232هـ (فهرس المخطوطات 1

) ، توجد بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، بخط نسخي .رقم الحفظ : ف 8582.²³

- 2- إعراب القصائد الثلاث ، المؤلف : محمود بن عمر النتاجي النيسابوري ، المتوفى سنة 728هـ ، وهو اعراب قصائد البستي : "زيادة المرء...، والعماد الاصفهاني : إطاعة النفس...والفرزدق : هذا الذي تعرف البطحاء..." ، أوله : "...إن أشرف الاسرار العربية " ، وينتهي في اول إعراب قصيدة الفرزدق ، فليس فيه إلا قصيدتان ، الاولى و الثانية ، خطها نسخي جيد ، توجد في دار الكتب الوطنية -تونس ، رقم الحفظ ف 8664.24
- 3- الاقليد : وهو شرح المفصل للزمخشري ، تأليف أحمد بن محمود بن عمر الجندي المتوفى حوالي سنة 700هـ ، أوله : "إياه أحمد على نعم تهللت وجوهها الصباح...و جمعت في هذه المجلة الموسوعة بالاقليد من معان خديا" ، وآخره : "...فصل : قال مؤلف هذا الكتاب...هذا ماسبق به وعدي...." مخطوط كتب بخط نسخي ، كتبها سعد بن عمر بن عبد الرحمن سنة 783هـ ، يوجد بدار الكتب الوطنية بتونس ، بها أرضة ، رقم الحفظ ف 8157.25
- 4- بلوغ الإرب بشرح شذور الذهب ، للمؤلف : زكريا بن محمد الأنصاري ، المتوفى سنة 962هـ ، شرح الشذور لابن هشام ، أوله : "قال الشيخ...فإن كتاب شذور الذهب...وسميته... " ، وآخره : "...ضرورة من جهة ذكر تمييز ثنين من جهة عدم مطابقتها لهما ، وكان حقه أنه ميز أن يقول : ثنتا حنظلتين . والله اعلم . انتهى "
- أتمه المؤلف سنة 882 هـ ، و كتبت النسخة بخط مغربي ، فوق الماتن خطوط ، توجد بدار الكتب الوطنية ، رقم الحفظ ف 8490.26
- 5- التبيان في علوم القرآن ، المؤلف : أبي البقاء العكبري ، نسخة غير تامة ، تنتهي في سورة الأنعام 83 عند آية "نرفع درجات من نشاء " ، كتب المخطوط بخط نسخي سنة 973 هـ ، كتب هذا النسخة محمد بن محمد العجبي الحانكي ، بها ضبط ، توجد بدار الكتب .رقم الحفظ ف 8481.27
- 6- تكميل المرام في شرح شواهد ابن هشام ، من تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي ، المتوفى سنة 1116هـ ، المخطوط يحوي شواهد ميزت يخطوط فوقها في أول النسخة ، و بكتابتها بلون مخالف بعد ذلك ، بخط مغربي ، مقابلة على نسخة المؤلف ، متوفرة بدار الكتب الوطنية تونس، رقم الحفظ ف 8591.28
- 7- تنوير الحالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، المؤلف : أحمد بن عمر الاسقاطي الحنفي ، المتوفى سنة 1159هـ ، أوله : " يقول العبد ... فهذه فوائد وضعتها على شرح الألفية للعلامة الأشموني...وسميتها....." ، وآخره: "...فأدغمت في الجيم كإجاصة وإجانة ،ورد بأن إدغام النون في الجيم لا يكاد يعرف ، تمامه في التصريح ، والحمد لله على التمام .." ، أتمه المؤلف سنة 1139هـ ، و كتبت النسخة بخط نسخي جيد ، توجد في درا الكتب الوطنية ، رقم الحفظ ف 8580. كما تحوي الدار التونسية نسخة أخرى بخط مغربي ، كلمة "قوله" والعنوانات بخط كبير ، رقم الحفظ ف 8511.29
- 8- حاشية على شرح الالفية : وهي حاشية على شرح المكودي للألفية ، أولها : " حمدا لمن وفقنا إلى الاعاب ..فإن شرح الخلاصة للمحقق المكودي ... " ، وآخرها : " ..وخيرة الله أيضا بالتسكين ، قال المؤلف رحمه الله تعالى : قد أتينا على ما أردنا جمعه من الشرح والاعراب ... " كتبه العزدي ، عليه تاريخ سنة 1297هـ ، والخط أندلسي ، النسخة

مجودة في دار الكتب الوطنية بتونس ، رقم الحفظ ف 8505، و توجد نسخة أيضا بالمكان نفسه بخط نسخي عليها تاريخ سنة 1263هـ ، رقم حفظها ف 30.8656

9-الدرة النحوية في شرح المقدمة الأجرومية ، للمؤلف : محمد بن أحمد بن يعلى الحسني ، كتبها محمد بن أحمد بن علي الربيعي سنة 1174هـ، بخط مغربي ، أضرت الرطوبة والأرضة بها ، توجد في دارالكتب الوطنية التونسية رقم الحفظ ف 31.8485

10- رسالة في (زال) لأبي عبد الله حسين بن إبراهيم البارودي (عاش في القرن الثاني عشر للهجرة)، أولها : " الحمد لله ...فلما كان معنى مازال الناقصة وتصريفها متوقفا على معرفة التامتين ..."، و آخرها : "...لما علمت أن مضارعها يجيء يزيل أيضا ، إلا أن يفيد بقله : التامة ، أو نحوه من الغرائب..."، كتبها مؤلفها سنة 1173هـ بخط مغربي ، توجد في خزائن تونس (لم تحدد الخزانة)، رقم الحفظ ف 32.8669

11- شرح أبيات الكتاب ،لمحمد التواتي ، أوله : "قال الشيخ الامام العالم ...فهذه شواهد العربية التي في كتاب سيبويه أردت استحضارها في هذا الكتاب ..."، و آخره: "...يريد على الماء ، كمل بحمد الله"، كتب المخطوط بخط مغربي ، توجد النسخة بالدار التونسية للكتب الوطنية رقم الحفظ ف 33.8471

12-شرح ألفية ابن مالك ، المؤلف: عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي ، المتوفى سنة 807هـ نسخة تامة كتبت بخط مغربي أندلسي ، وخطوط مختلفة ، متوفرة بدار الكتب تحت رقم حفظ ف 8430. وتوجد نسخة أخرى مبتورة الأول و الآخر.. تبدأ في "المعرب و المبني " ، "يعني أن الفعل المضارع يعرب بشرط أن يعرى من نون الأناث نحو..." ، وينتهي في آخر "الابدال " في شرح : ظلت و ظلت في ظللت استعمالا ***** و قرن في اقرون و قرن نقلا .كتبت بخط مغربي ، العنوانات وبعض العبارات بخط كبيرها رطوبة أثرت على بعض الأوراق ، مصورة في تونس ، رقم حفظها ف 34.8509

13- شرح (بانة سعاد): لعبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري ، في شرح قصيدة كعب ، نسخة كتبها عبد الله بن محمد بن أبي القاسم التلمساني سنة 1188هـ ، بخط أندلسي ، موجودة في تونس ، برقم حفظ ف 8577. وتوجد نسخة أخرى بخط أندلسي بتاريخ 1208 هـ ، الأبيات بالحمرة ، و رقم حفظها ف 35.8585

14- شرح الحدود النحوية :لعبد الله بن أحمد الفاكهي ، المتوفى سنة 972هـ ، النسخة الموجودة في خزانة المكتبة الأحمدية التونسية ناقصة ، تنتهي في " التوابع " ب "نعت و يراد به الوصف و الصفة ، و عطف البيان لما قبله ، و توكيد لفظي أو معنوي "، و في أول لقطة لآخر المخطوطة ، كتبت بخط مغربي ، الاصل بالحمرة ، رقم حفظها ف 36.1735

15- شرح المقدمة الأجرومية: لمحمد بن يحيى بن أحمد بن علي الصصباح ، أوله : " الحمد لله ... فيقول..أردت أن اضع تقييدا على مقدمة الشيخ ... " ، و آخره : "....و خبره محذوف، تقديره : عنده ثواب ... "، كتب المخطوط بخط مغربي سنة 893هـ ، أصابته رطوبة شديدة أضرت به ، توجد النسخة في دار الكتب الوطنية ، رقم حفظها ف 8647. - يوجد مخطوط بالعنوان نفسه " شرح المقدمة الأجرومية" ، لكنه مجهول المؤلف ، وغير تام ، أوله: " الحمد لله ..فالغرض من شرح ألفاظ مقدمة الشيخ ... " ، و آخره الموجود : " ..فهذه أربعة وجوه كلها جائزة في كل ما أضيف إلى منصوب " ، كتبت النسخة بخط مغربي ، وأثرت عليها الرطوبة و الارضة كثيرا ..توجد في تونس (دون تحديد المكان بالضبط) ، رقم الحفظ ف37.8648.

16- شرح المقدمة الجزولية : لأبي علي الشلوبين عمر بن محمد ، المتوفى سنة 645هـ ، على المقدمة لأبي موسى الجزولي ، وهو الشرح الكبير ، جاءت نسخة المخطوط ناقصة الأول ، حيث تبدأ ب " ... و بعد ما خرج هذا الكتاب عني بهذه الزيادة ... " ، و أنتهى ب : " ..يشير بذلك إلى قول من قال إن جير حرف كنعم . كمل الشرح و الحمد لله ". خط بخط أندلسي ، موجود في دار الكتب الوطنية ، رقم الحفظ ف 5794 / ف 38.7245.

17- الشواهد الشعرية لمن أراد التفريس في العربية ، لمحمد التواتي ، أنجزه سنة 1030هـ ، أولها : " الحمد لله ...فهذا كتاب الشواهد .. ورتبته على مقتضى الافلية و ما يشابه من شواهد التسهيل " ، و آخرها : " ...كامل هذا التأليف ...سنة ثلاثين و ألف .. " ، كتب المخطوط بخط مغربي ، متوفر في دار الكتب الوطنية ، رقم الحفظ ف 39.8471.

18- الغرة المخفية شرح الدرّة الألفية : شرح ألفية ابن معط ، لاحمد بن الحسين ابن الخباز ، التوفى سنة 637هـ ، أوله : " قال الشيخ ..فإن عقد الدرّة... " ، و آخره: " ...هذا آخر ما عنيت بإملائه من كتاب الغرة المخفية .. ". كتب هذه النسخة من المخطوط محمد السنوسي بن أبي القاسم سنة 1172هـ ، بخط مغربي ، و الالفية بمداد مخالف للشرح ، بها أروضة ، موجودة في دار الكتب الوطنية التونسية ، رقم الحفظ ف 40.8615.

19- فتح الرؤف الرحمن بشرح ما جاء على مفعول ونحوه من المصدر و اسم الزمان و المكان ، لاحمد بن أحمد السجاعي ، المتوفى سنة 1197هـ ، أوله : " حمدا لمن شرف بطلعة سيدنا محمد الزمان و المكان ...فهذا تفسير لطيف لنظم العلامة الفارضي شارح ألفية ابن مالك رحمهما الله ماجاء على مفعول ونحوه من المصادر و اسماء الزمان و المكان ... و سميته... " ، و آخره: " .. ولم تتيسر له قريحة ينظر بها فيه فيعرف أصدق فيما قال أم كذب... " ، كتب المخطوط بخط مغربي ، و مصور من دار الكتب الوطنية ، رقم الحفظ ف 41.8612.

20- مجيب النداء إلى شرح قطر الندى: لعبد الله بن أحمد بن عبد الله الفاكهي ، المتوفى سنة 972هـ ، حوت دار الكتب الوطنية التونسية على نسختين من هذا المخطوط : النسخة الأولى كتبت بخط مغربي سنة 1174هـ ،

الأصل بالحمرة ، رقم حفظها ف 8688، ونسخة ثانية خطت أيضا بخط مغربي كتبها أحمد بن بلقاسم بن مبارك سنة 1229هـ ، رقم حفظها ف 8658.⁴²

21- نتائج التحصيل في شرح التسهيل ، لمحمد بن محمد بن أبي بكر، المرابط الصغير، الدلائي ، المتوفي سنة 1090هـ ، وهو شرح التسهيل لابن مالك -ابجزء الأول ، أوله " : احمدك اللهم ..فإن كتاب تسهيل الفوائد .." وينتهي قبل "الأحرف الناصبة الاسم للرافعة الخبر" . كتب المخطوط بخط مغربي سنة 1093 هـ، في آخره رطوبة شديدة ، يوجد في خزانة دار الكتب التونسية ، رقم الحفظ ف 8503.⁴³

خاتمة :

بعد هذه الجولة في عوالم المخطوطات النحوية التي احتضنتها بعض خزائن المغرب وتونس نخلص إلى أن الفهارس المذكورة تراوحت بين الفهرسة الوصفية التي اهتمت بذكر عناصر المخطوط (عنوان المخطوطة، واسم المؤلف، ونوع الخط، وتاريخ النسخ، واسم الناسخ، وعدد الأوراق، وعدد السطور، وطول المخطوطة وعرضها، التجليد والمكتبة التي تحتفظ بها، ورقمها فيما بشيءٍ من البَسْط أو الشرح المقنن،⁴⁴ فلا يترك ملاحظة مفيدة إلا ويذكرها، وأهم هذه العناصر المضافة الاهتمامُ بأول المخطوطة وآخرها، والاهتمام بتعريف موجز بالمخطوطة، والفهرسة التحليلية: وهي التي تهتم بذكر عناصر المنهجين السابقين، ويزيد عليهما شيء، هو الذي يميز فهرسة هذه الدرجة عن سابقتها، وهو بيان تفصيلي وتحليلي لجميع مواد هذه المخطوطة من أبواب و فصول، مع ذكر مادة هذه المخطوطة، ويكاد يكون دراسة للمخطوط⁴⁵، ويمكننا الجزم أن هذه النفاثس وغيرها من درر النحاة جسدت وثيقة تاريخية للأجيال الحاضرة والقادمة ، وتنقل لهم جهودهم المضنية وعبقريتهم الفذة في علم النحو، كما باتت شاهدا صريحا على مخزونهم الفكري ، ولم يبق سوى تجسيد فكرة انجاز بيلوغرافيا ترصد ما يوجد من تراث نحوي مخطوط على رفوف الخزائن والمكتبات، وما لا يزال بكرة في حاجة لانتصاب جهود الباحثين والدارسين لتحقيقه ودراسته وفهرسته.

• قائمة المصادر والمراجع:

1. أيمن فؤاد سيد، 1997، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات"، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
2. صلاح الدين المنجد، 1396هـ/1976م، قواعد فهرسة المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية.
3. عصام محمد الشنطي، 1424هـ-2005م، مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها"، دار الكتب، مصر.
4. علي حسين البواب، 1407هـ/1987م، فهرست المخطوطات المصورة في النحو والصرف واللغة والعروض، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، قسم المخطوطات، المملكة العربية السعودية، ط 1.
5. محمد محمد عارف، تقديم د فيصل الحفيان، 2001، دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط 1.
6. محمد بن جعفر الكتاني (رصيد حرف جك)، 2010-2011، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، المجلد التاسع، الناشر، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، ط 1.

• الهوامش:

- 1 - مناهج تحقيق كتب تراجم النحاة ؛ عرض ونقد : حسن خميس الملح ، جامعة آل البيت ، الأردن ، أعمال الملتقى الدولي الثاني لمناهج تحقيق المخطوط بين العرب والغرب ، المنعقد بجامعة الجلفة يومي 15/14 أبريل 2013، ص91.
- 2 - الكتاب العربي المخطوط و علم المخطوطات" ، أيمن فؤاد سيد... القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، 1997 ، ص56.
- 3- ينظر دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ، تحرير محمد محمد عارف، تقديم د فيصل الحفيان ، ص 245-248.
- 4- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية ، مجموعة محمد بن جعفر الكتاني (رصيد حرف جك) ، المجلد التاسع ، الناشر: المكتبة الوطنية للمملكة المغربية ، ط 1 ، 2010-2011، ص 419 .
- 5-المصدر نفسه ، ص419-420.
- 6- م ن ، ص 420-421.
- 7- م ن ، ص 421.
- 8- م ن ، ص 422.
- 9- م ن ، ص 423.
- 10- م ن ، ص 423-424.
- 11- م ن ، ص 424-425.
- 12- م ن ، ص 425-426.
- 13- م ن ، ص 426-427.
- 14- م ن ، ص 427.
- 15- م ن ، ص 431.
- 16- م ن ، ص 431-432.
- 17- م ن ، ص 432-433.
- 18- م ن ، ص 433-434.
- 19- م ن ، ص 434-435.
- 20- م ن ، ص 436.
- 21- م ن ، ص 437.
- 22- ينظر دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي ، تحرير محمد محمد عارف، تقديم د فيصل الحفيان، ص51...55.
- 23- فهرست المخطوطات المصورة في النحو والصرف واللغة والعروض ، علي حسين البواب ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، قسم المخطوطات ، المملكة العربية السعودية ط 1 ، 1407هـ/1987م، ص 08
- 24- م ن ، ص 24-25.
- 25- م ن ، ص 31-32.
- 26- م ن ، ص 44.
- 27- م ن ، ص 49.
- 28- م ن ، ص 65-66.
- 29- م ن ، ص 67.
- 30- م ن ، ص 74-75.
- 31- م ن ، ص 95.
- 32- م ن ، ص 102.
- 33- م ن ، ص 114-115.
- 34- م ن ، ص 128.
- 35- م ن ، ص 135.
- 36- م ن ، ص 145.
- 37- م ن ، ص 181-182-183.

- 38- م ن ، ص 185.
- 39- م ن ، ص 193.
- 40- م ن ، ص 201-211.
- 41- م ن ، ص 215.
- 42- م ن ، ص 246-247.
- 43- م ن ، ص 297.
- 44 - للمزيد انظر: "مناهج فهرسة المخطوطات"، للشَّنَّطي، ص 7 - 8 ، "قواعد فهرسة المخطوطات"، للمنجد ص45، "الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات"، د. أيمن فؤاد سيد، ط. الدار المصرية اللبنانية 1418هـ - 1997م.
- 45 - الكتاب العربي المخطوط و علم المخطوطات " ، أيمن فؤاد سيد، ص 534.

الأدوار الاجتماعية للمرأة خارج نطاق الأسرة في ضوء الخطاب القرآني.

The social roles of women outside the family In light of the Quranic discourse.

د.ة. زهور شتوح، D.Zhour Chettouh

جامعة باتنة 1، مخبر الأبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر.

إيميل الباحث: zhour.chettouh@univ-batna.dz

الملخص:

وضع الإسلام المرأة في مكانها اللائق بها، واعتبرها أحد مقومات المجتمع الذي يقوم على الرجل والمرأة معا. وقد عرض القرآن الكريم عددا من الميادين الاجتماعية التي شاركت بها المرأة، وأشار إليها في آياته، وإن كان دور المرأة في الأسرة بحد ذاته يعد دورا هاما في المجتمع، إلا أننا سنعالج في هذه الورقة البحثية بعض الأدوار الاجتماعية خارج نطاق الأسرة، والتي ذكرت في مواضع عدة داخل الخطاب القرآني ومنها: المرأة المهاجرة/ المرأة المبياعة/ المرأة الملكة/ المرأة العاملة، للدلالة على إمكانية انتصار المرأة على عوامل الضعف الأنثوي التي قد تؤثر تأثيرا سلبيا على طريقتها في إدارة المواقف، فقد كانت هذه المرأة على درجة عالية من الذكاء، والتعقل، وعمق التفكير، وحصافة الرأي وقدرة على تحمل المسؤولية في أحلك الظروف.

الكلمات المفتاحية: الأدوار الاجتماعية، المرأة، الخطاب القرآني، الإسلام، المجتمع.

Abstract:

Islam put women in their proper place, and considered them one of the foundations of society that is based on both men and women. The Holy Qur'an has presented a number of social fields in which women participated, and referred to them in its verses, although the role of women in the family itself is an important role in society. However, we will address in this research paper some of the social roles outside the family, which were mentioned in several places within the Quranic discourse, including: : Immigrant woman / pledged woman / queen woman / working woman, To indicate the possibility of a woman's victory over female weakness factors that may negatively affect her way of managing situations. This woman was highly intelligent, thoughtful and able to take responsibility in the darkest of circumstances.

Keywords: the social roles; women; the Quranic discourse; islam; society.

تقديم:

خلق الله الذكر والأنثى، وجعل لكل منهما صفات خلقية يتميز بها عن الآخر، وعلى ضوء تلك الصفات أناط بهما تكاليف منها ما يشتركان فيه، ومنها ما ينفرد به أحدهما عن الآخر، " فقد ساوى الله عز وجل بينهما في الخلق، أصله وأطواره، ولا فرق بين الذكر والأنثى في ذلك، وكذلك ساوى بينهما في الصورة والملامح والأعضاء إلا ما يتعلق بالتناسل، لما يترتب عن ذلك من عمارة الأرض"¹، والأمر فیهما إذا شبيهه بالسالب والموجب، حيث لا يستغني في الحياة عن تكاملهما، وإذا تساويا بطل التكامل وفسد الأمر.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما النساء شقائق الرجال"²، أي مثلهم في الخلق، ومثلهم في التكريم، ومثلهم في العبادة وتحمل المسؤولية، كل حسب قدراته وما فطر عليه، وما اقتضى التكوين الخلقي استثناءه للرجل أو للمرأة، فذلك لكونه لا يصلح له غيره. وبهذا وضع الإسلام المرأة في مكانها اللائق بها، واعتبرها جزء لا يتجزأ من أجزاء المجتمع ومقوما له، فالمجتمع يقوم على الرجل والمرأة، يشير إلى ذلك قوله تعالى: "يا أيها الناس إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير". (الحجرات: ١٣).

وقد ثبت في مواضع عديدة من الخطاب القرآني مبدأ تساوي الرجال والنساء أمام التكليف الشرعي والجزاء الأخروي، دونما أي فارق بينهما وفي ذلك قوله تعالى: " أئني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض". آل عمران: ١٩٥

وقوله تعالى: " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا". النساء: ١٢٤

وقوله تعالى: " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". النحل: ٩٧.

وقوله تعالى: "إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذّاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما". (الأحزاب: ٣٥).

يتضح من خلال هذه الآيات تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة أمام التكليف الشرعي والجزاء فكلاهما مكلف من عند الله مخاطب بالأوامر والنواهي، ومحاسب على عمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر" ومن ثم دعى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء على قدم المساواة للإيمان به، فكان من السابقات إليه خديجة بنت خويلد وسمية

بنت خباط (أم عمار) التي كانت أول شهيد في الإسلام كما كان من السابقين إليه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً"3 .

والإسلام يعامل شقي النفس الواحدة معاملة واحدة في ذلك، فجعل المرأة تتمتع بالشخصية المستقلة وكمال الإنسانية، فما من عبادة إلا وطولبت بها كالرجل، إلا ما اختص به من عبادات، كالجهاد في سبيل الله، ويرجع السبب في ذلك إلى الرجولة ذاتها، وإعفاء المرأة من ذلك لا يعد انتقاصاً من شأنها، فهي أيضاً تختص بمسؤوليات شاقة لا يقدر عليها الرجل، كالحمل والولادة والقيام بشؤون بيتها وأولادها4، وبهذا ألغى الإسلام كل نظرة دونية وجهت للمرأة، وبين أنها إنسان كامل الأهلية والمسؤولية، "مخاطبة بالتكاليف الشرعية أوامر كانت أو نواه، فلها الأجر لا ينتقص منه شيئاً، ولها الحق في العمل لتنال رضوان الله تعالى وتدخل الجنة، فليس للرجل في ذلك أكثر مما لها، فلو نظرنا لآيات القرآن الكريم نرى أن خطاب الله تعالى جاء موجهاً لشقي النفس البشرية دون أن يكون لأحدهما أفضلية التقدم على الآخر"5

وقد أخذت صورة المرأة عدة أشكال في القرآن الكريم "فمنها ما تضمن نصوصاً تشريعية واضحة، جددت حقوق وواجبات المرأة العامة والخاصة، ومنها ما أشار إليها من خلال النص القرآني مثل سورة يوسف ومريم ولوط"6 وقد تضمن الخطاب القرآني عدة مراحل أساسية في تطوره لوضع المرأة حددتها الباحثة سعداوي زهرة في المراحل التالية:

"المرحلة الأولى: أشار فيها القرآن إلى المرأة والرجل بوصفها الإنسان وتقضي بأن الرجل والمرأة كانا جزءاً واحداً، "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير". (الحجرات: ١٣). وهما متساويان في الحقوق والواجبات والعقوبات أي أنهما يخضعان إلى نفس التشريع والقانون.

المرحلة الثانية، وهي تمثل حالة الثورة ضد الأنظمة القائمة ليس في المجتمع الذي ظهر فيه الإسلام فقط، بل تمثل رفض السلوكيات غير الطبيعية في كافة المجتمعات والمتعلقة بحالة التمييز بين الذكور والإناث مثل حالة وأد البنات التي كانت شائعة في بعض مناطق الجزيرة العربية، وتنظيم الزواج والعلاقات الجنسية التي كانت سائدة

المرحلة الثالثة وهي تمثل المرحلة الجديدة والتي تضمنت الرؤية الجديدة لواقع حياة المرأة وضمت تشريعات جديدة تتعلق بمكانة المرأة في المجتمع وحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية"7

حظيت المرأة في ظل الإسلام بحقوقها كاملة وخاضت ميادين شتى، حققت فيها انتصارات عظيمة وأدت من خلالها خدمات جليلة وقيمة لنصرة دينها وإعلاء كلمة التوحيد في سماء مجتمعاتها، وقد عرض الخطاب القرآني عدداً

من الميادين الاجتماعية التي شاركت بها المرأة، أشار إليها في آياته وإن كان دور المرأة في الأسرة بجذ ذاته يعد دورا كبيرا وهاما، وسنعالج في هذا البحث جملة من الأدوار الاجتماعية للمرأة خارج نطاق الأسرة التي تحدث فيها القرآن الكريم:

2- أدوار المرأة الاجتماعية في ضوء الخطاب القرآني:

1.2- المرأة الملكة

والمقصود بها ولاية الدولة العامة، وقد أظهرت العديد الآيات أنه لا توجد فروق بين المرأة والرجل في ولاية الناس أو مزاولة العمل السياسي، يقول الله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (التوبة: ٧١)، وكذلك قوله تعالى: "ولهنّ مثل الذي عليهم بالمعروف". (البقرة: ٢٢٨).

وقد عرف هذا الموضوع اختلافا بين مؤيد ومعارض لأهلية المرأة للعمل السياسي أو تولي أمر الناس، ومن النماذج التي عرضها القرآن الكريم للمرأة الملكة، وهو نموذج ملكة "سبأ" (بلقيس) كنموذج للمرأة التي حكمت قومها بحكمة ورجاحة عقل وحنكة والتي قال تعالى في عرض قصتها والتي بدأت أحداثها عندما تفقد سليمان الهدهد فلم يجده وإذا به يأتيه بخبر خطير، فيخبره أنه وجد قوما تملكهم امرأة يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن سبيل الله، قال تعالى: "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم". (النمل: ٢٣).

فإذا بسليمان عليه السلام يأمر الهدهد بأن يحمل لهم رسالة يدعوهم فيها إلى عبادة الله وحده ويلقيها إليهم وينظر كيف ردة فعلهم "قالت يا أيها الملأ إني ألقى إليّ كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم ألاّ تعلوا عليّ واتوني مسلمين". (النمل: ٢٩ - ٣١)، تلقت بلقيس كتاب سليمان فنادت وزراءها وقومها وألقت إليهم بفحوى الكتاب ثم استأنفت الحديث تطلب مشورتهم وتعلن إليهم أنها لن تقطع في الأمر إلا بعد استشارتهم وموافقهم "قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر إليك فانظري ماذا تامرین". (النمل: ٣٢ - ٣٣).

أكد لها قومها قوتهم وقدرتهم على خوض المعركة وعدم الاستسلام، ثم ردوا الأمر إليها فهي المقررة أولا وأخيرا بحكم منصبها، وإيماننا منهم بحكمتها، فجاء ردها لهم مشبعا حكمة وتعقلا قال تعالى: "قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، وإني مرسله إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون". (النمل: ٣٤ - ٣٥).

ويظهر من الحوار الذي دار بين الملكة ووزراءها أنها كانت تتمتع بحكمة وريانة عقل، كما كانت تعتمد مشورة قومها، إلا أن هؤلاء الوزراء لم يملكوا أدنى شيء من الحنكة والسياسة فهم لا يعرفون سوى لغة القوة وتنفيذ الأوامر فلم يشيروا عليها بشيء غير إظهار القوة والبأس، وهو ما جعلها تميل إلى الصلح ومعالجة الأمر باللين، موضحة أن

الملوك إذا دخلوا قرية بالقوة نشروا فيها الخراب والدمار، وأبادوا حرثها وزرعها وحضارتها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وتمادوا في الظلم والاستبداد، وهنا تظهر شخصية المرأة الملكة التي تكره الحرب والدمار، والمحكمة لسلاح اللين والحيلة على سلاح القوة⁸.

وبعد أن وضحت لهم عواقب التسرع بدخول الحرب، وبينت لهم بحكم علمها وخبرتها سياسة الملوك في غزو الدول والدخول عليها، ثم اختارت اختبار سليمان عليه السلام لتبين أملك هو أم نبي، وذلك بإرسال هدية له وانتظار رده لتستبين أمره، وفي هذه الآيات دليل على أن المرأة تستطيع أن تدبر الملك وتحسن السياسة.

" فلما جاء سليمان قال أتمدّدوني بما لآلئ الله خيرا ممّا آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون".(النمل: ٣٦ - ٣٧).

فلما وصلت الهدية لسليمان عليه السلام ردها إليها رسولها، وأخبرها أن الله تعالى قد أغناه عن ذلك كله، وأنذرها بقدمه إليها، فلما رجع رسولها بالهدية ورد سليمان عليها عزمته أن تفد هي إليه، وعلم سليمان عليه السلام بذلك، فأعد لها العدة وطلب من أعوانه إتيانه بعرشها وتنكيره، ليكون ذلك معجزة أمامها "فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو، وأوتينا العلم من قبلها ومنا مسلمين، وصدّها ما كانت تعبد من دون الله، إنّها كانت من قوم كافرين، قيل ادخلي الصرح، فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها، قال إنّ صرح ممرّد من قوارير، قالت ربّ إنّني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين".(النمل: ٤٢ - ٤٤) ، وهنا تبرز الحكمة والتعقل اللتين امتازت بهما بلقيس ملكة سبأ.

وكما تحدث القرآن الكريم عن المرأة في موقع الحكم والملك، فقد عرض كذلك لقوة امرأة الملك، وهي زوجة فرعون واسمها "آسيا بنت مزاحم" وقالت امرأة فرعون قرّت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتّخذة ولدا وهم لا يشعرون". (القصص: ٩)

لقد فرحت آسيا بموسى عليه السلام وأحبته ونهت فرعون وجنوده عن قتله، وقامت بتربيته واهتمت به وأمنت برسالته، "وهو موقف وإن كان داخل نطاق أسرته إلا أنه غير واقع الحياة الاجتماعية والتاريخية لملك فرعون وشعبه، وكان ذلك الموقف تحققاً لأمر الله ومشيبته في عدم قتل موسى حتى يكون رسولا ينطق بالرسالة في مجتمع أهللكه الاستعباد والاستضعاف"⁹، وذلك يقود إلى التسليم بأن للمرأة في موقع امرأة الملك أو زوجها مكانة كبيرة في المجتمع. وقد تمثلت قوتها في كونها " لم تخش سطوة زوجها لكون أعظم ملوك الأرض في زمانه، ولم تفتن حياتها القصور والدور، ولم يطغها ثراؤها وحب زوجها لها، بل استعلت على كل هذه المغريات وتبرأت من فرعون وقومه، ووقفت وهي المرأة ضعيفة الخلقة تتحدى فرعون أعتى أهل الأرض وأشدهم طغيانا"¹⁰ ويهدف الخطاب القرآني من وراء ذكره للقصة إبراز الإيمان القوي لزوجة فرعون لثبوتها وتمسكها بالحق.

3. المهاجرة :

هاجرت النساء مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وتعد الهجرة حدثاً تاريخياً مهماً في الحياة السياسية للدولة الإسلامية. وقد ورد ذلك في نص القرآن الكريم " ... اللاتي هاجرن معك". (الأحزاب: ٥٠).

ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن قرار الهجرة هو قرار سياسي، وبالتالي فمشاركة المرأة بهذا الدور هي مشاركة سياسية صرفة. "كما تمثل الهجرة النبوية الشريفة تحركاً استراتيجياً ذا أهمية كبيرة ساعد على بناء وتأسيس الدولة الإسلامية حسب المفاهيم التي تحدد وجود الدولة المنظمة، حيث كان الإسلام متشكلاً من مجموعة من المسلمين الملتفين حول الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ضمن المجتمع الكافر المعادي للإسلام"11، وعندما سألت المرأة المسلمة عن فضل الهجرة وهل هناك تخصيص للرجال دون النساء، أنزل الله تعالى " فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى لبعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب". (آل عمران: ١٩٥). فجاءت خطوة الهجرة بقرار من النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كانت السياسة حكراً على الرجال وحدهم لبقيت النساء المسلمات بمكة، وما هجرتهن إذن إلا دليل على مشاركتهن في حياة الأمة السياسية.

وجاء ذكر المرأة في القرآن الكريم مشاركة في تلك الهجرة فقال تعالى عن المرأة الراغبة في الهجرة " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهنّ الله أعلم بإيمانهنّ". (المتحنة: ١٠).

فقد أثبتت الآية خروج المرأة مهاجرة، كما فصلت أحكام هجرة النساء فقوله تعالى: " فامتحنوهنّ" أمر من الله تعالى بامتحنهن وذلك بأن " يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وقال قتادة : كان امتحنهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن"12 ، وتخصيص مشاركة المرأة بالذكر في أمر الهجرة له أهمية بالغة " فهذه الهجرة الفاضلة تميز أهلها تميزاً ظاهراً لأنها كانت الإعلان العملي عن صدق الإيمان بالتنازل عن أرض المولد والنشأة وعن المال والعصبية وما إلى ذلك، والمغادرة إلى أرض أخرى في سبيل وحباً لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام"13

لقد شاركت المرأة الرجل في أمر الهجرة وامتازت بذكر مشاركتها في الهجرة عليه " وتخصيص النساء بقرآن يتلى حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، دليل واضح على البعد الذي أعطاه الإسلام لتحرك المرأة على ساحة البناء وإعطاء التحويل الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته العملية على أرض الواقع في كل ميدان من الميادين"14

4. المبايعة:

البيعة في اللغة والاصطلاح تعني: "إعطاء العهد على السمع والطاعة للحاكم أو الأمير من المبايع لإدارة شؤون الجماعة والأمة وفق أحكام الشريعة والالتزام بذلك"¹⁵. ومما يدل على المشاركة السياسية للمرأة في التاريخ الإسلامي المبايعة التي قامت بها النساء للرسول عليه الصلاة والسلام في صلح الحديبية وفي فتح مكة.

إذا فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والمؤمنات إلى المدينة المنورة، بدأ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان "يبايع الرجال والنساء على السمع والطاعة والنصرة"¹⁶، وخصت بيعة النساء بذكر نصها في القرآن "يا أيها النبي إذا جاءك المومنات يبايعنك..." (المتحنة: ١٢).

فقد أعطى الإسلام للمسلمين الحق في المشاركة السياسية، فالخلافة الصحيحة هي ما كانت نتيجة بيعة حرة " واعترافا بشخصية المرأة في نطاق الدولة، فقد سوى الإسلام بينها وبين الرجل في هذا الحق، وأخذت منها البيعة مستقلة عن الرجل وينطوي هذا على إقرار لكيان المرأة المستقل دون تبعية للرجل وأسوة به في ممارسة الحقوق السياسية والاعتراف بأهليتها لذلك"¹⁷، وفوق ذلك كله فإن مما " يجلب السرور إلى النفوس أن عدد المبايعات قد زاد عن أربع مئة امرأة بل اقترب عددهن من خمس مئة"¹⁸، لقد ذكرت الآية الكريمة بنود بيعة النساء فبدأت تلك البنود بالقاعدة الأساس التي يقوم عليها التشريع، وهي: توحيد الله تعالى الخالص من الشرك، لأن أساس كل الأمور هو صلاح العقيدة، وجاء بعد ذلك تنظيم السلوك الاجتماعي بباقي بنود البيعة بالألا يسرقن ولا يزينين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان ولا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم في معروف، فإن قبلن وبايعن بايعهن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على ذلك واستغفر لهن الله عما كان منهن قبل ذلك¹⁹.

ومبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء لها عدة دلالات²⁰:

الأولى: استقلال شخصية المرأة وأنها ليست مجرد تابع للرجل بل هي تباع كما يبايع الرجل.

الثانية: أن بيعة النساء هي بيعة الإسلام والطاعة لرسول الله وهذه يستوي فيها الرجال والنساء.

الثالثة: أن مبايعة النساء للنبي صلى الله عليه وسلم تقوم على أساسين: الأول باعتباره المبلغ عن الله، والثاني باعتباره إمام المسلمين، وما يؤكد ذلك قوله تعالى في الآية السابقة في سورة المتحنة: ١٢.

ولا يخفى أن البيعة في الإسلام هي شبيهة لعملية الانتخاب أو الإدلاء بالصوت في لغة الديمقراطية الحديثة، لأنها عملية يبدي فيها المسلم قبوله للشخص الذي سيحكمه ويقسم له بالطاعة والولاء، ومن ينكر أن هذا العمل من السياسية سينكر أيضا حق الانتخاب كما هو معروف في عصرنا. إذن فقد كان يسمح للمرأة الإدلاء بصوتها وهذا أبرز صور مشاركتها في الحياة السياسية.

إن نزول قرآن يتلى في مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة المؤمنة " على ما فيه هدم الموروث الجاهلي والإسهام في بناء المجتمع وفق المنهج الرباني، يقع ذلك كله أمانة في الأعناق ومسؤولية بالغة الأهمية لا يخرج من عهدتها إلا العمل على ربط المرأة المسلمة اليوم بالأسباب التي كونت المرأة المسلمة بالأمس مع الاستفادة من كل جديد يكون في خدمة الهدف الكبير"²¹ ، فالأهمية التي تحملها تلك البيعة للمرأة، إنما تدل على ما ينتظر المرأة المسلمة من مهام عظيمة تتعلق بصياغة مجتمع جديد على المنهج الرباني القويم.

كان للمرأة حضور في الحياة الدينية عموماً، كما كانت حاضرة في الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة مروية في كتب الحديث والمغازي والسير، من ذلك:

قال ابن عباس - رضي الله عنه - جواباً عن أسئلة نَجْدَةَ: "كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ، فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيُحْدِثِينَ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَأَمَّا بِهِمْ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ"²²، قال النووي: "فيه خروج النساء في الغزو والانتفاع بهن في السقي والمداواة ونحوهما، وهذه المداواة لمحارمهن وأزواجهن، وما كان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة"²³

وهذا يدل على مشروعية خروج المرأة إلى الغزو، بل حكى النووي في ذلك الإجماع، فقال: "وفي هذا الغزو بالنساء وهو مجمع عليه"²⁴ وبغض النظر عن ثبوت دعوى الإجماع فإن الرواية تدل على مشروعية الخروج إلى الغزو عن طريق السُّنَّةِ التَّقْرِيرِيَّةِ.

5. العاملة:

لا يوجد في آيات القرآن ما يمنع المرأة من تولي أية وظيفة، تكون صالحة لها مؤهلة للقيام بها كما ينبغي، والأصل العام الذي نستند عليه هو المساواة بينهما إلا فيم دلت النصوص على تخصيصه بأحدهما، وبهذا فنصوص القرآن لا تمنع المرأة من تولي وظيفة مؤهلة لها تماماً مثل الرجل ، بل نجد في مواضع كثيرة في الخطاب القرآني ما يشير إلى تضامنها في الأمور العامة وتكافلهما للمصلحة العامة²⁵، مثل قوله تعالى: "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم". (التوبة: ٧١)، والمقصود في الآية بولاية بعضهم البعض أنهم يتناصرون ويتعاضدون لتحقيق المصلحة العامة، فالعمل مشروع في حق كل من الرجل والمرأة على السواء، تعبدية كان أو تكسبية، والعمل الصالح مقبول من الذكر والأنثى شرط الإيمان، فالقرآن الكريم جعل العمل للمرأة مشروعاً سواء كان ذلك بإرادتها أو مجبرة عليه في حدود ضوابط الحاجة والحشمة.

ونجد أن المرأة ساهمت بأعمال شاركت فيها الرجل على أساس قدرتها عليها، كما أنهنك أعمالاً تختص بها لوحدها، أثبتت فيها مهارة لا يمكن التغاضي عنها.

وبهذا فقد أباح الإسلام للمرأة أن تعمل والأصل في عملها والأولى هو عملها في منزلها، فقد أكرم الإسلام المرأة وحملها من مسؤولية العمل في البيت ما لا يمكن للرجل القيام به فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها، وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"²⁶ إلا أن الإسلام مع هذا ترك مجال العمل خارج الأسرة رحبا لترتاده المرأة ضمن دائرة أنوثتها إن وجدت ضرورة لأن تعمل²⁷.

وقد دعا القرآن الكريم الجميع إلى العمل، محفزا على ذلك الذكر والأنثى في قوله تعالى: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". (النحل: ٩٧). فهذه الآية تحفز المؤمنين على العمل الصالح بذكر جزاء يتمناه الكل وهو الحياة الطيبة والجزاء الحسن في الآخرة ودخول الجنة. والعمل الذي حددته الآية هو عمل كلا الجنسين، والعمل المحدد في الآية هو العمل المتبع لكتاب الله وسنة نبيه، ومن المعاصرين من يرى في تفسيره لهذه الآية أنها تعالج قضية عامة وهي قضية المساواة بين الرجل والمرأة، وفي هذا يقول الشيخ الشعراوي: "أراد الله سبحانه وتعالى أن يقول لنا نحن لا يمنع أن يكون للأنثى عمل صالح... فالعمل الصالح مقبول من الذكر والأنثى على حد سواء شريطة أن يتوفر الإيمان"²⁸.

ويركز الخطاب القرآني على العمل الصالح الصادر من المؤمن الذي أطاع الله، وعمل صالحا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ذكرا كان أو أنثى وهو مؤمن بالله موحد له، فما تقدمه المرأة من عمل مشروع تجازى عليه في الدنيا والآخرة كما جاء في تفسير الآية.

لقد عرض القرآن الكريم صورة مشرفة للمرأة العاملة فقد خرجت ابنتا شيخ مدين لرعي الغنم لأن أباهما كان شيخا كبيرا طاعنا في السن وليس له ولد يقوم بالعمل، وإن كان الرعي ليس من الأعمال التي تختص بها المرأة دون الرجل، إلا أن شاهدنا هو القيام به، ونفهم هذا من قوله تعالى: "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين". (القصص: ٢٣ - ٢٦)، حصل هذا مع ابنتي سيدنا شعيب عليه السلام الذي اضطرت ابنتاه للخروج بدلا عنه وهو الشيخ الكبير.

إن القرآن الكريم مع عرضه لهذا النموذج يعرض الصورة بكافة أبعادها، إذ ألقى الضوء على جملة من الأمور في عرض قصة البنيتين، من تلك الأمور: وقوفهما بمنأى عن الرجال وعدم سقيهما غنمهما إلا بعد انتهاء الرجال، ومنه وضوح إجابتهما على سؤال موسى لهما عن خطيئتهما بأن الدافع لهما على ذلك هو كبر سن والدهما، ومن الأمور التي

وضحتها الآية ورسمت معالمها مشية إحدى الفتاتين حين أرسلها والدها لدعوة موسى عليه السلام²⁹، إذ كانت تمشي على استحياء قائلة له: إن أبي يدعوك وبزيادة توضيح ودفع شبهة تقول: ليجزيك أجر ما سقيت لنا، ثم هاهي الصورة تكتمل بطلبها من والدها استجاره للعمل لديه وكفايته وأختها مؤونة العمل والاحتكاك بالرجال مبرزة أهم صفتين فيه تؤهلانه في نظرها للعمل، وهي: قوته على العمل وأمانته على المال³⁰

كما نستشف من خلال الآيات السابقة فضائل ابنة شعيب ومدى عفتها وشرفها فهي جاءت على استحياء، ثم هي تبدي لأبيها رغبتها في موسى عليه السلام إذ لم تستطع أن تخفي ما حملته له من تقدير ورجولة وعفة وأمانة³¹.

فرغم أن المرأة قديما لم يكن خروجها للعمل عادة، إلا أنه اضطررتها الظروف فخرجت محتشمة لتقوم بما يقوم به الرجل، كالأب عند عجزه في هذه الحالة، ويرى الشيخ الشعراوي أن في هذه الآية دليل واضح على جواز عمل المرأة خاصة عندما تضطر لذلك لعجز العائل أو فقدانه³².

ويمكن أن نقول هنا أنه لا يباح من الأعمال للمرأة إلا ما يتفق مع معالم شخصيتها الإسلامية، وما يتسق مع بقية الواجبات التي وكلها الإسلام إليها ومن ثمة فلا تتمن المرأة الأعمال التي تقتضي من شاغلها أن يقيم في مناطق نائية غير معمورة، مع عدم خلوة الرجال بها، أو مخالفة الشرع، ومن هنا نخلص إلى أن نصوص القرآن في مجموعها تبيح للمرأة توالي الوظائف العامة شريطة توافرها على الكفاءة للمنصب.

خاتمة:

- وضع الخطاب القرآني جملة الخصائص التي تختص بها المرأة والتي تتميز بها عن الرجل في أصل خلقها، ككونها سكنا للرجل واختصاصها معه بعمارة الأرض.

- تمتعت المرأة في ظل الإسلام بحقوقها كاملة وخاضت ميادين شتى، حققت فيها انتصارات عظيمة وأدت من خلالها خدمات جليلة وقيمة لنصرة دينها ولإعلاء كلمة التوحيد في مجتمعها، وقد عرض القرآن الكريم عددا من الميادين الاجتماعية التي شاركت بها المرأة وأشار إليها في آياته وإن كان دور المرأة في الأسرة بجد ذاته يعد دورا كبيرا وهاما لها في المجتمع.

- يشيد الخطاب القرآني بما تتمتع به المرأة من صفات وأخلاق، في قصة ملكة سبأ التي مدح الله حكمته وورزانه عقلها، وقصة بنتا شعيب التي مدح الله حياءهما وغيرها.

- إن القرآن يقدم لنا المرأة في صورة ملكة سبأ كإنسانة تملك عقلها ولا تخضع لعاطفتها، منتصرة على عوامل الضعف الأنثوي التي قد تؤثر تأثيرا سلبيا على طريقتها في التفكير أو في إدارة المواقف، فقد كانت هذه المرأة على درجة عالية من الذكاء والتعقل وحصافة الرأي وثراء الذهن وعمق التفكير والقدرة على تحمل المسؤولية في أحلك الظروف.

- أباح الإسلام للمرأة أن تعمل والأصل في عملها والأولى هو عملها في منزلها، فقد أكرم الإسلام المرأة وحملها من مسؤولية العمل في البيت مالا يمكن للرجل القيام به، إلا أن الإسلام مع هذا ترك مجال العمل خارج الأسرة رحبا لترتاده المرأة ضمن دائرة أنوثتها إن وجدت ضرورة لأن تعمل.

- للمرأة دور اجتماعي هام، لذلك يفترض عليها أن تكون فاعلة في مجال التنمية وصناعة الغد وإيجاد حلول للمشكلات وليست مجرد حاضنة فقط.

- جزاء عمل المرأة حددته الآيات القرآنية وهو الحياة الطيبة في الدنيا، وقبول العمل والجنة في الآخرة.

- قدمت المرأة المسلمة أروع الأمثلة في التاريخ الإسلامي في التحمل والجهد وعظيم الصبر، وقد سجل التاريخ لها الكثير من المواقف المشرفة في ساحات الجهاد، منهن على سبيل المثال: الصحابية الجليلة أم عمارة الأنصارية التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوني" 33 فأبي تحمل يفوق تحمل المرأة الضعيفة جسديا ضرب السيوف.

● قائمة المصادر المراجع:

1. أحمد خليل جمعة، بيعة النساء في القرآن والسيرة، ط1، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ.
2. أحمد علي حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، [د.ت.].
3. إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1421هـ.
4. أمينة طواولة، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، المجلد الأول، العدد2.
5. حدة عاشوري، عمل المرأة في القرآن الكريم_ دراسة في مشروعيتها عملها، مجلة الإحياء، ع21 جوان، 2018.
6. ابن حنبل، مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، [د.ت.].
7. خالد عبد الرحمن العك، شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، ط5، بيروت، دار المعرفة، 1423هـ.
8. رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي، الخطاب التربوي في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم الجامعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430_1431هـ.
9. زينب رضوان، المرأة بين الموروث والتجديد، مصر، مكتبة الأسرة، 2000م.
10. سعداوي زهرة، صورة المرأة في النص الديني الإسلام نموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، ع:7 جامعة الشلف، 2017.
11. سيد الجميلي، أحكام المرأة في القرآن، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، 1988
12. عبد الحكيم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج. 1، ط. 4 الكويت: دار القلم، 1990.
13. عبد المنعم عبد الراضي الهاشمي، النساء في القرآن الكريم، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1988م.
14. محمد أديب صالح، موقع المرأة المسلمة بين الإسلام ودعاوى التجديد، ط1، الرياض، شركة العكيبيان للأبحاث والتطوير، 1326هـ.

15. محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1996
16. محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار السلام، ط1، 1420هـ- 2000م.
17. محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، طرابلس 19_21 مارس 2015.
18. معي الدين يحيى بن شرف النووي، أبوزكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
19. مرزوق بن هياس الزهراني، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، دراسة عصرية موثقة، المدينة المنورة، 1428هـ.
20. نورة محمد فهد الرشيد، شخصية المرأة في القصص القرآني، دراسة أدبية تحليلية، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1427هـ.
21. يسرى سعيد عبد الله إفسيسي، عناية القرآن الكريم بالمرأة من خلال سورة النساء، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2016.

• هوامش:

- 1- مرزوق بن هياس الزهراني، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، دراسة عصرية موثقة، المدينة المنورة، 1428هـ، ص:30
- 2- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، [د.ت.]. حديث26195، (265/43)
- 3- محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار السلام، ط1، 1420هـ- 2000م، ص:86
- 4- يسرى سعيد عبد الله إفسيسي، عناية القرآن الكريم بالمرأة من خلال سورة النساء، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2016، ص:44
- 5- المرجع نفسه، ص:44
- 6- سعداوي زهرة، صورة المرأة في النص الديني الإسلام نموذجا مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، ع:7 جامعة الشلف، 2017، ص:1
- 7- المرجع السابق، ص:2_1
- 8- عبد المنعم عبد الراضي الهاشمي، النساء في القرآن الكريم، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1988م، ص:248
- 9- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، طرابلس 19_21 مارس 2015، ص:31
- 10- نورة محمد فهد الرشيد، شخصية المرأة في القصص القرآني، دراسة أدبية تحليلية، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1427هـ، ص:78
- 11- أمينة طواولة، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، المجلد الأول، العدد2، ص:40
- 12- إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1421هـ، 351/4
- 13- محمد أديب صالح، موقع المرأة المسلمة بين الإسلام ودعاوى التجديد، ط1، الرياض، شركة العكيبان للأبحاث والتطوير، 1326هـ، ص:229
- 14- المرجع السابق، ص:229
- 15- عبد الحكيم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج. 1، ط. 4 الكويت: دار القلم، 1990، ص. 230
- 16- خالد عبد الرحمن العك، شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، ط5، بيروت، دار المعرفة، 1423هـ، ص:278
- 17- زينب رضوان، المرأة بين الموروث والتجديد، مصر، مكتبة الأسرة، 2000م، ص:77
- 18- أحمد خليل جمعة، بيعة النساء في القرآن والسيرة، ط1، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ، ص:98
- 19- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرنين الكريم دراسة تحليلية، ص:32
- 20- أمينة طواولة، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية، ص:42

- 21 - محمد أديب صالح، موقع المرأة المسلمة بين الإسلام ودعاوى التجديد، ط1، الرياض، شركة العكيبان للأبحاث والتطوير، 1326هـ، ص:250
- 22 - أخرجه مسلم بن الحجاج، أبو الحسن الشافعي، في صحيحه المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تج: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د، ط، ت]، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن، 1444/3، برقم (1812)
- 23 - محي الدين يحيى بن شرف النووي، أبوزكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، 188/12.
- 24 المرجع نفسه، 188/12
- 25 - ينظر: مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ص: 243
- 26 - محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 5/ 1996، باب المرأة راعية في بيت زوجها حديث رقم (4904) خلاصة درجة الحديث، صحيح
- 27 - محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، ص: 33
- 28 - حدة عاشوري، عمل المرأة في القرآن الكريم_ دراسة في مشروعيتها عملها، مجلة الإحياء، ع21 جوان، 2018 ص: 301
- 29 - محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، ص: 33
- 30 - ينظر: رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي، الخطاب التربوي في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم الجامعي رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430_1431هـ، ص: 179
- 31 - سيد الجميلي، أحكام المرأة في القرآن، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، 1988، ص: 127_128
- 32 - حدة عاشوري، عمل المرأة في القرآن الكريم_ دراسة في مشروعيتها عملها، ص: 306
- 33 - أحمد علي حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، [د، ت]: 80/6 باب مداواة النساء الجرحى، خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

التصنيف التعليمي بين سلطة الشاهد الشعري وصناعة المثال

Educational classification between the authority of the poetic witness and the industry of the example.

د. بوهنوش فاطمة، *Bouhennouche Fatima*

جامعة ابن خلدون (تيارت) – الجزائر-

مخبر الدراسات النحوية واللغوية في الجزائر (تيارت)

Ibn Khaldun University (Tiaret) - Algeria

Laboratory of Grammatical and Linguistic Studies in Algeria Tiaret

إيميل الباحث: *bouhennouche1979@gmail.com*

المخلص:

لقد تداعت دعوات تعليم النحو قديما، نتيجة التعقيد الواضح في مضامين هذا الدرس ومناهجه، لذلك أسهمت المختصرات النحوية في بلورة الاتجاه التعليمي في تناول المعرفي، وذلك بالتوسع في توظيف الأساليب اللغوية المختلفة، التي كانت وماتزال من الأفكار المحفزة على الشرح والتفسير.

ولذلك، ترمى هذه المداخل إلى معالجة ظاهرة التوجه التعليمي في مصنف شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري، كما تسعى إلى استظهار أثر الإجراءات التطبيقية للشاهد والمثال على تعليم القواعد، فما هي إسهامات التصنيف النحوي في تحسين الأداء التعليمي؟ وهل سلطة الاعتدال تلزم الاعتماد على الشاهد والمثال معاً؟
الكلمات المفتاحية: التصنيف، التعليم، الشاهد، المثال، الشرح.

Abstract:

The calls for grammar education have faded in the past, as a result of the obvious complexity of the contents and curricula of this lesson, so the grammatical abbreviations have contributed to the crystallization of the educational trend in cognitive management, by expanding the use of different language methods, which have been and continue to be the catalyst for explanation and interpretation.

Therefore, this intervention aims to address the phenomenon of educational orientation in the classification of the explanation of the gold son of Hisham al-Ansari, and also seeks to demonstrate the impact of the applied actions of the witness and the example on the education of the base, what are the contributions of the grammatical classification in improving educational performance? Is the power of moderation necessary to rely on both the witness and the example?

Keywords: *classification, education, witness, example, explanation.*

تقديم:

من المؤكد أن البحث في إشكالية تعليم النحو لا تقف عند حدود موضوعاته ومسائله بقدر ما تتطلب المعرفة بمناهج تعليمه وتعلّمه، على الرغم من وجود أشكال التعسف في فهم ظواهره وأحكامه، ومقتضى ذلك أن تعليم النحو مطلب عزيز ووسيلة هامة لتحقيق غايات أخرى بات الالتزام بها ضروريًا لدى المعلمين والمتعلمين معًا. ولذلك نقول، إنه لا سبيل إلى تعليم النحو إلا بتأمل آثار السلف تأملاً واعياً، وتوسم المبادئ والأسس التي أقاموا عليها مؤلفاتهم على اختلاف مناهجها ومسالكها وكذلك على اختلاف مستويات متعلميها، لذلك ظهرت الحاجة لنوع من المؤلفات لا تكتفي بعرض القاعدة وتلقيها، وإنما أعادت النظر في تناول الموضوعات النحوية بمنهج تعليمي يستوعب المضامين وييسرها، بل ويستمد قوته التعليمية من مقدار الشواهد المرورية والأمثلة المصنوعة التي يسوقها بوصفها لغة للاستنباط والتمثيل.

ولا يخفي ما لهذا المنهج من مقدرة على مواجهة صعوبات التعليم والتفسير، وعلى ذلك فكيف أسهمت المصنفات المختصرة في بلورة الاتجاه التعليمي؟ وهل مهمة التصنيف التعليمي تقف عند حدود تعليم القواعد أم تتجاوز ذلك إلى إنماء المهارات النحوية واللغوية؟ وما أثر الشواهد والأمثلة في تعليم قواعد النحو؟

1- في مفهوم التصنيف النحوي ومستوياته:

غير خاف أن عقول النحويين القدماء عقول حكيمة، اهتدت إلى صبّ الموضوعات النحوية في قوالب تصنيفية خاصة، تستوعب الظواهر التركيبية والأحكام المبرمة من جيد الكلام وأفصحه، وهو الأمر الذي وقّر لها استمراراً وإقبالاً على مرّ العصور، ولهذا «سجّلت لنا بواكير المصنفات النحوية أسساً ومبادئ توسّمها النحويون بالفكر والروية بعدما عرفوا ملاحن كلام العرب، وتطبّعوا بطباعهم، وجاءت تلك الأسس والمبادئ مبثوثة في كتاب سيبويه، واستقرت في كتب من جاء بعده، وعُوّل عليها في عرض المسائل النحوية والصرفية»¹.

وحسبنا من هذا، أن مصنفات النحو على كثرتها واختلافها لم تستطع أن تتجاوز كتاب سيبويه، الذي كتب له البقاء والتّميّز «بمنهجية لم تتأت لأيّ من النحويين الخالفين»²، ويبدو أن هذا التصور هو ما احتفظ به الزمان، وألفه النّحاة بعده، وظهر أثر ذلك حقيقة في مداخل المصنّفات المختصرة .

إن هذا التحديد الدقيق، يجعل سيبويه رائداً في مجال التصنيف النحوي، بل ورائداً «في مجال وصف بنية الجملة، وتحليل مكوناتها، وتحديد العلاقات التي تربط بينها»³ واستظهار أحكامها وخصائصها، وقد لفت ذلك في منهج فلسفي سيطر على فكره، وألحق على أساسه مختلف الموضوعات التي بسطها، فكان بالصورة التي جاء عليها «صورة سرالية رأى فيها كلّ فريق نحوي رؤية خاصة اتخذها منطلقاً لتصنيفه»⁴

إذن، نستطيع أن نتبين معنى التصنيف على أنه نشاط لغوي علمي، يصدر عن طبقة النّاهيين، المؤهلين للتأليف، والذي يدلّ على نضج ملكة الإبداع عند هؤلاء، فالتصنيف حركة علمية يتوخى أصحابها جمع القواعد وإبرام الأحكام وتفسير الظواهر، بذكر جزئيات العلم وعموميّاته، لتكون وسيلة من وسائل وصف العربية، وفنّا يستظهر مبادئ العلم أصوله، وكلّ «هذا يعين الدارس على التدوّق والاستيعاب وتكوين الحسّ اللّغوي»⁵ الذي قد ينتهي إلى إنماء المهارات اللغوية التي لا تنحصر في معرفة ما يجوز وما لا يجوز، وإنما تصل إلى إدراك الإشكالات التركيبية وما يحيط بها، بناء على توظيف أصول المعرفة النحوية نفسها.

على هذا الأساس، نجد المصنفات النحوية قد توخت الإطالة حيناً والاختصار حيناً آخر، لتعبّر عن أشكال التّطوّر وحاجات التعليم، لاسيما أن المستويات التعليمية تختلف من مستوى المبتدئين إلى مستوى الشّاديين ومستوى المتخصّصين طبقاً للغاية والهدف، وعلى المتعلم أن يرشّح ما بين المصنفات ما يحقق هدفه ويسدّ حاجته، لذلك مال محمّد إبراهيم عبادة إلى القول بأن التصنيف في النحو اتّسم بطابعين رئيسيين هما:

«الطابع الأول: طابع نظري: والغرض منه بيان ما يمكن أن يسمى فلسفة النحو، كما بدت للنحويين، ككتاب علل النحو، ونقض علل النحو، وعلل النحو لأبي الحسن بن الورّاق، والإيضاح في علل النحو، والإغراب ولُمع الأدلة لأبي البركات بن الأنباري، والخصائص لابن جنيّ، والرّد على النحاة، والأشباه والاقتراح.

والطابع الثاني: طابع تعليمي تطبيقي، وهو الغالب، والغرض منه عرض أبواب النحو ومسائله حتى يتسنى للدارسين الوقوف عليها، أملاً في استيعابها ومراعاتها عندها يتكلمون أو يكتبون أو يقرءون، ولا نريد بالطابع التعليمي كتب النحو الخاصة بتعليم المبتدئين، وإنما نعني به ما صُيِّفَ لبيان الضوابط والأحكام التي تميّز الصواب في التراكيب وبنية المفردات، وما صُيِّفَ في تطبيق هذه الضوابط على النصوص سواء أكانت هذه المصنفات مختصرة للمبتدئين أم كانت مفصّلة للشّاديين، أم مطولة للمتخصّصين»⁶.

وبتأمل هذا النّصّ، نجد أن المصنّف أراد الإشارة إلى تعدد أنماط التصنيف، والتي لا تخرج في جوهرها عن طابعين: الطابع الفلسفي الفكري، والذي لم يتحرر مصنفوه من الطواف حول كتاب سيبويه كسند منهجي مكين، ظلت بصماته على صفحات المصنفات النظرية والتطبيقية، وطابع تعليمي يُعنى بالتطبيق والإفهام، وقد ظهر حرص الكثير من مصنّفي هذا الطابع على تحديد الهدف من التصنيف في مقدمة الكتاب، كما فعل ابن هشام في شرح الشذور وابن مالك في التسهيل.

وهكذا يتضح أنّ ولع النحويين بالتصنيف ظاهرة من ظواهر التحصيل العلمي والنضج المنهجي، فضلا على أنه أحمد نشاط وأحسنه بناء وإحكاما، كيف لا، وقد كان التصنيف خطوة من خطوات التطور والإبداع والتفرد بما أناره من طرق التفكير والبحث، منذ أقدم مطوّل ورثته النحاة حتى اليوم .

ومن يتابع خطوات هذا التطور، يستيقن أن علماء النحو كانوا أعنى بالتدرج في التصنيف، وعلى اعتقاد واضح بوجود منهج يشدّ موضوعات المادّة المصنفة، فطبيعي «أن يتفاوت محتوى المصنفات ليساير المحتوى المستوى التعليمي وصولا إلى تحقيق الهدف، وعلى الدراس أن يختار من بين المصنفات ما يلائم هدفه ويسدّ خلله»⁷، وحسبنا أن نذكر بعض الأنماط التي كانت شائعة في التراث النحوي:

- 1- تصنيف المطولات: يعد هذا التصنيف مناسبا للصفوة من المتعلمين، فلا يقبل عليه إلا من بلغ من النحو شأوا بعيدا، وهو فيما نعلم قد بدأ منذ سيبويه وتتابع التأليف مع المقتضب للمبرد والأصول لابن السراج وغيرهما
- 2- تصنيف المختصرات: يمثل هذا النمط نشاطا تعليميا مختصرا، مقدا للمبتدئين خاصة، وقد تزامن ظهوره مع ظهور المطولات، فلم تكن مقدّمة خلف الأحمر (ت180هـ) وكتاب الجمل المنسوب إلى الخليل بن أحمد (ت175هـ) أكثر تأخرا عن ظهور كتاب سيبويه.
- وقد سلك أصحاب هذا النمط أسلوبا سهلا في عرض المقدمات الأولى لعلم النحو، وما يحيط به من موضوعات تستأثر اهتمام المبتدئ إن استطاع أن يحفظ لسانه من الخطأ والشطط.
- 3- تصنيف ما فوق المختصرات: يعد هذا النوع من التصنيف «مناسبا للشادين، وهم الذين أصابوا شيئا من النحو وأدركوا مقدماته، وأصبحوا على استعداد لتقبل مزيد منه مبني على ما سبق تعاطيه، وهذا النوع من التصنيف إما أن يكون شرحا لمختصر أو لمتن يراعي فيه البعد عن الإطالة وازدحام المسائل، كما صنع ابن هشام في متن قطر الندى، ومتن شذور الذهب، وإما أن يكون تصنيفا مستقلا أي ليس شرحا لمختصر أو متن، كما هو الحال في كتاب اللمع لابن جني، والفصول الخمسون لابن معطي، والجمل للزجاجي، والواضح في علم العربية للزبيدي»⁸.

ونخلص من ذلك إلى أن ظهور هذه الأنماط التصنيفية له أبلغ الأثر في أسلوب النحويين، فسمّة الوضوح أو الغموض كانت من أهم السمات المنهجية التي أشارت إلى نمطية المصنّف وطريقته في الشرح والإيجاز أو الشمول والتفصيل، لذلك يميل بعض الباحثين إلى القول بأن حركة التصنيف اتجهت فيما بعد إلى تيسير النحو وتقريبه، فكانت حصيلة التفكير في هذا ظهور نمطين من أنماط التصنيف علاوة على المطولات، وهي:

أ- المقدمات والمنظومات التي حاولت الاختصار والتسهيل.

ب- الشروح والإيضاحات لتلك المتون.

فما يستدعيه الشرح هو التفصيل والتوضيح والاعراب، أما المتون والمنظومات فتميل عادة إلى الإيجاز والاختصار، مما يسبب الغموض والابهام والتعقيد في تناول الموضوعات.

2- النحو التعليمي بين مسوغات الظهور ونتائج التصنيف:

لقد عكف النحاة على التصنيف، فحرصوا على تقديم حصيلة ما توصلوا إليه، يستوي في ذلك ما طال من المصنفات وما قصر، غير أن هذه المصنفات لم تكن على درجة واحدة من البساطة أو التعقيد، فهي تنتهج في عمومها أحد السبيلين أو كليهما معا «أولهما أن تقدم حصيلة ما توصل إليه البحث النحوي من آراء واتجاهات وشواهد وتعليقات وأسانيد نصية أو عقلية في المسائل والموضوعات التي يعرض لها المؤلف، وما يرتبط بذلك كله، مناقشات وحجاج وترجيح وتفنييد وقبول ورد. وثانيهما أن يصدر مباشرة عن وجهة النظر الخاصة فيما يعرض من موضوعات ومسائل، تاركا للقارئ المتخصص إدراك مدى ما بين وجهة النظر الخاصة ووجهات النظر الأخرى من وجوه الاتفاق والاختلاف»⁹.

وهذا كله يمكن أن يكون طابعا مميزا للمصنفات الموجهة للمتخصصين، أما المصنفات التعليمية «فأمرها مختلف، إذ غايتها ليست إثارة النظر العقلي أو التعبير عن وجهة النظر الخاصة، وإنما هدفها المباشر يتمثل في تقديم موجز واضح وتحقيق لأساسيات النحو وقواعده العامة، ولقد يصحب عرض هذه الأساسيات والقواعد شيء من الإشارة إلى ما فيها من خلاف أو ما للمؤلف إزاءها من رأي، بيد أن تلك الإشارة تظل محصورة في إطار محدد، لا تفصيل للآراء ولا احتجاج معه عليها»¹⁰.

ولعل الركون إلى هذا النوع من التصنيف، يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى ظهورها وشيوعها كتجارب تعليمية بمرونة وجلاء، ومن ذلك:¹¹

- 1- الرغبة الجامحة في تعليم قواعد اللغة العربية، لكثرة الداخلين في الدين الإسلامي من الأقاليم غير العربية، بخاصة أن إتقانها وتعلم أساليبها ضرورة ترتبط بمصالح الأقاليم وعبادتهم وأمور حياتهم.
- 2- ظهور عدد كبير من المدارس التي كان يدرّس فيها الفقه والنحو والتفسير... الأمر الذي تطلب وضع كتب نحوية مختصرة وبسيطة يعتمدها الشيوخ في تدريسهم لقضايا العربية في إطار المسائل الفقهية ونحوها.

- 3- الرغبة في تبسيط وتقريب مضامين الموسوعات النحوية، وجعلها قريبة من تناول المتعلمين، ولا سيما المتعلمين المبتدئين منهم، ولهذا أُلّف بعض النحاة المتون المنظومة، لكونها أقبل على الحفظ، كما أُلّفوا المتون النثرية وشرحوها سعياً وراء التوضيح وإزالة الغموض والإبهام عنها.
- 4- نهم النحاة بالتأليف والتصنيف بعد الفتنة التتارية في بغداد، والتي قضت على كثير من كتب اللغة والنحو والفقه وغيرها، لذلك ولع النحاة في هذه الفترة بالتصنيف، لاسيما أن تعليم الدروس النحوية ونشرها قد قام جنبا إلى جنب مع دروس الشريعة¹².

ننتهي مما تقدم، إلى أن نتائج التصنيف قد عبّرت عن:

- 1- أن الاسهامات التصنيفية المبكرة في النحو التعليمي هي إسهامات أشرف عليها أوائل النحاة الذين أدركوا ضرورة تعليم النحو وأصوله للمبتدئين، بعيداً عن المقولات الذهنية والأفكار الفلسفية التي تساهم في نفور الدراسين، لذلك جاءت مصنفاتهم تعليمية خالصة، منها على سبيل المثال: مقدّمة في النحو لـخلف الأحمر (ت180هـ)، وهي مقدمة في الأصول النحوية يستغني بها المتعلم عن التطويل وكثرة التعليل، وكذلك مختصر نحو المتعلمين للجرمي (ت225هـ) وهو مختصر في مداخل النحو وأساسياته، بمنهج لازم فيه المصنف الوضوح والبساطة، أما التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس (ت338هـ)، فهو من أشهر المختصرات التي تصلح كمقدمة لتعليم المبتدئين¹³.
- 2- أشارت مصنفات النحو التعليمي إلى وجود إشكالية تعليمية، حاول النحاة من خلالها تذليل صعوبات تعليم النحو للدراسين طبقاً لمستوياتهم وغاياتهم.
- 3- الاعتماد الواضح على هذا النوع من المصنفات المختصرة، التي كانت تسعى للتقريب والتبسيط، على خلاف التأليف العلمي الموسوعي الذي تعرض في كثير من الأحيان إلى الانتقادات والاعتراضات.
- 4- تنوع المشارب النحوية في التصنيف التعليمي، وذلك في سبيل حل إشكالية تعليم النحو، التي باتت تؤرق علماء الانتماءات المذهبية على اختلاف مناهجهم وتوجهاتهم وأصولهم، ونحسب أن هذا يزيد من حجم الإحساس بالإشكالية التعليمية ويقومها إلى درجة إحيائها من مرقدها باستمرار.
- 5- التباين المنهجي والموضوعاتي للمصنفات التعليمية، وهذه حقيقة تقتضيها مطالب التعليم، فالمصنفات التي كتبت للمبتدئين قد تميّزت مناهجها وموضوعاتها عن تلك التي كتبت لمن فوقهم من المتوسّطين والمتقدّمين، فمصنفات المبتدئين يحرص المصنّف فيها على تقديم صورة شاملة لقواعد النحو، هادفاً منها تقديم استعراض موجز لقضايا الجملة وما يحيط بها، مستعينا في ذلك بالتمثيل في كثير من الأحيان، مستغنيا عن التفصيل، متجنباً التعليل والتأويل، أما المصنفات الأخرى، فقد كانت مختلفة موضوعاً ومادة ومنهجاً، فهي تعرض للقواعد عرضاً مفصلاً مدعوماً بالأسانيد والآراء والشواهد والخلافات¹⁴.

3- التطبيقات النحوية الشاملة في التصنيف التعليمي:

لم يكتف النحاة بحصر شواهد الظاهرة التركيبية، بل أردفوها بالأمثلة لتوضيحها وتقريبها، وهكذا وسَّعوا مداركهم لفهم خصوصيات ما قدّموه من مواد تُضَبَّطُ في قانون يحكم سلوكها.

والمصنفات التعليمية واحدة من الأنماط التي لم تقف عند حدود ما يسمّى بالشواهد، وإنما اشتملت بالضرورة أشكالاً أخرى من النشاط الأدائي دون الاقتصار على نشاط بعينه، ولذلك فلا بدّ للوصف أن يكون أقرب إلى البيانات اللغوية، فكل «ما في القواعد النحوية، يجب أن ينبثق عن الواقع اللغوي ذاته، حتى تصبح القواعد النحوية (وصفاً) للواقع اللغوي، و(تصنيفاً) دقيقاً لأساليبه»¹⁵.

1-3- سلطة الشاهد الشعري وأثرها التعليمي:

لقد أحكم النحاة الربط بين القواعد والشواهد، وحرصوا كل الحرص على تكوين ملكة الضبط في الاستعمال والتطبيق، لذلك كان من الضروري أن تكون النتائج مدعومة بالنصوص، أو بتعبير آخر أدقّ، فإن بناء هذه القواعد «يحتاج في إثباتها إلى شواهد العربية المنقولة»¹⁶، مهما اختلفت مستويات التصنيف النحوي في «كمّ» المادة العلمية، أو في منهج تحليل هذه المادة، أو في «الشكل» الذي تقدّمها فيه، ولكنّها في النهاية تتفق أنّها -على اختلافها - قد صُنِّفت بغية (تعليم) النحو للدراسين على تعدّد اهتماماتهم واختلاف مستوياتهم»¹⁷.

فالشواهد دعامة الاستنباط، تساق تأكيداً على صحة ما قُدِّم من نتائج، لذلك لا بدّ «للنحوي من حجة يؤيد بها رأيه أو شاهد يدعم به حكمه»¹⁸، لأن معرفة القواعد تتطلب معرفة بمستويات الاستشهاد دون الاقتصار على مستوى بعينه فيها، كما أن هذه المعرفة ألزمتهم الإقرار بتفاوت الشواهد فصاحة وصحة ونقلها واستدلالها، لذلك لم يعمدوا إلى حصر الشواهد المروية منها حصراً يكفل لهم الاطمئنان والائتمان.

وبهذا، فالشاهد «هو ما تبني عليه القاعدة من الأدلة النصية التي قيلت في حقبة زمنية محددة لدى النحاة، والتي لا تحتل غير ما أوتي به من أجله»¹⁹، لاسيما الشاهد الشعري الذي سيطر على تفكير النحاة، وكانت حفاوتهم به واضحة منذ القدم، وبصورة مثيرة للانتباه، وبمسوغات طبيعية في ضوء «المعطيات العلمية للمرحلة التي نشأت فيها علوم العربية ولا سيما النحو، فقد رافق ظهور هذه العلوم ظهور علوم دينية كان الشّعر سندها الأول، فكان طبيعياً -والأمر كذلك- أن يكون للشعر هذا الأثر في بناء قواعد العربية»²⁰.

والنظرة السريعة إلى قائمة المصنفات التعليمية كافية لبيان أهمية الشاهد الشعري احتجاجاً واستدلالاً عند النحاة وحتى المفسرين، ونحسب أن الاهتمام بالمادة الشعرية عند هؤلاء لا يقف عند ما تحمله من «سمات فنية متميزة، بل ربما لا تكون كذلك، وإنما لأنها تمثّل أصلاً لازماً، وحجّة على لغة عصر الاحتجاج، الذي تؤخذ منه القواعد

وإليه يعاد التوثيق. وعلى هذا جاء الاستشهاد بالشعر متنوعا ببيت كامل، أو بجزء منه، سواء أكان معروف القائل أم مجهوله»²¹.

ولقد يتراءى للقارئ تنوع الشواهد النقلية في أغلب المصنفات التعليمية، لأنّ الغاية من هذا التنوع هي تقديم صورة واضحة شاملة للقواعد النحوية، وعلى ذلك فإن الشاهد اللغوي «هو أصدق دليل عند النحاة لقواعدهم النحوية المستنبطة من صميم اللغة العربية»²².

وهكذا نعود فنقول، إن أهمية الشاهد ليست أهمية شكلية أو كمية فحسب، بل هي حقيقة لغوية نوعية، لها أثرها التركيبي والبياني والصيغي، وهي تقوم مقام الضروريات في النشاط التعليمي لاسيما الشاهد الشعري في إعرابه وتوضيح غريبه، وكشف معانيه التي تؤدي في النهاية إلى تدريب المتعلمين على تقنيات الإعراب ووظائفه، يدعم هذا قول ابن هشام في مقدمة شرح الشذور: «والتزمت فيه أنني كلما مررت ببيت من شواهد الأصل ذكرت إعرابه، وكلما أتيت على لفظ مستغرب أردفته بما يزيل استغرابه، وكلما أنهيت مسألة ختمتها بأية تتعلق بها من أي التنزيل، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل، وقصدي بذلك تدريب الطالب، وتعريفه السلوك إلى أمثال هذه المطالب»²³.

وهذا التصريح من ابن هشام خليق بأن يجعل لنفسه ولغيره أثرا في البحث النحوي، فاستسقى منه الخالفون طريقته في عرض القواعد وتوضيح المقاصد، الناتجة عن احترافه التعليم، الذي وجهه إلى لحظ حاجات المتعلمين إلى هذا النوع من التصنيف، لذلك نجد مقدمة شرح الشذور تشير إلى مؤشرات تعليمية هامة كان لها عظيم الأثر في بلورة الاتجاه التعليمي والتي نذكر منها²⁴:

- اتساق الأهداف بين المتن والشرح مع الاستغناء عن المسائل الفرعية التي تنتج عن اختلاف الرؤية بين مؤلف المتن وصاحب الشرح.
- أوضحت مقدمة الشرح الغاية التعليمية التي يهدف إليها الشارح، وهي تدريب الطلاب على مستوى بعينه من مستويات التعقيد النحوي.
- الوسائل العملية التي استعان بها الشارح ولجأ إليها، كوضوح العبارة وذكر الشواهد كاملة مع إعرابها وتحديد غريب ألفاظها وشرح معانيها.
- التطبيق على المسائل النحوية بمختلف شواهد العربية.

ومن يمعن النظر في سياقات الشواهد الشعرية التي أوردها ابن هشام، يدرك دور التدريب والتطبيق في غير قليل من المواضع، يختار أسهلها وأوضحها، وأبعدها عن التعقيد والغموض، مشيرا إلى حجبتها على صحة القواعد والأحكام،

حتى بلغ الاعتداد بها ما يقارب تسعة وثلاثين ومائتي نص، تفاوتت بين النسبة وعدمها، وبين الاستشهاد والتمثيل، وهي نصوص مألوفة عند سابقه إلا ما ندر من الأشعار التي اعتنى بذكرها منسوبة لما بعد

عصر الاستشهاد، كآبيات أبي تمام الطائي²⁵، والمتنبي²⁶، وأبي فراس الحمداني²⁷، وأبي العلاء المعري²⁸.

والصحيح أن ابن هشام في شرح الشذور لم يعزف عن الإشارة إلى النصوص الشعرية التي ساقها باعتبارها "شواهد" محصورة في دائرة الاستشهاد، والتي ذكرها باعتبارها أمثلة للتبسيط والتوضيح.

فثمة قدر من الشواهد الشعرية التي أظهر عنايته بها عملياً، عاجها على نحو يخالف ما غصت به المطولات، من حيث إعرابها وتفسير معاني ألفاظها، وتوجيهها إن اقتضى القياس ذلك.

ولعلّ النماذج الآتية كافية لتوضيح هذه الخصوصيات التعليمية التي رافقت شرحه في معالجته هذا النوع من المأثورات:

- عرض ابن هشام لنائب الفاعل، وهو الذي يعبرون عنه بمفعول ما لم يسم فاعله، فقرر أنه لا يجوز إقامة غير المفعول به مع وجود المفعول به، وهو مذهب البصريين، أما ما جاء في قول يزيد بن القعقاع:²⁹

أُتِيحَ لِي مِنَ الْعِدَا نَذِيرًا بِهِ وُقِيْتُ الشَّرَّ مُسْتَطِيرًا

فضرورة عند الجمهور، وجائز عند الكوفيين، ووجه الجواز في مجيء (لي) الجار والمجرور ساداً مسدّ نائب فاعل للفعل (أتيح) المبني للمجهول، علماً أنّ في الجملة مفعولاً به وهو (نذيراً)، ومعلوم أن قيام الجار والمجرور نائباً عن الفاعل، مع وجود المفعول مذهب الكوفيين والأخفش، وهو غير سائغ عن المخالفين.³⁰

لقد ذكر ابن هشام هذا البيت وما يحتويه من حكم بين القبول والردّ، بعد أن بدأ بتعليم الجزئيات من شرح للمفردات الغربية (أتيح لي: هَيْئَ لِي، الإنذار: الإبلاغ مع التخويف، وُقِيْتُ الشَّرَّ: حفظت منه)³¹، وتوضيح للمعنى العام للشاهد، حتى يُهَيِّئَ المتعلم لفهم الوظائف النحوية دون إثقال أو إجهاد. علماً أن ذلك قد يدفع المعرب إلى تصور رؤية تركيبية لهذا الشاهد، لذلك يأتي المصنّف إلى الأعراب فيفصله، ليوجّه المتعلم إلى الفروق الوظيفية للكلمات، فهو يقول: «أتيح: فعل ماض مبني للمجهول، لي: في محل رفع نائب فاعل، من العدى: متعلّق بمحذوف حال من قوله (نذيراً) الآتي، لأنّه تقدّم عليه. نذيراً: مفعول به ثانٍ لِ (أتيح)....»³².

فالإعراب التفصيلي، مطلب هام من مطالب التعليم، لما يتضمنه «مَنْ لَخِطِ الْعَلَاقَاتِ الَّتِي تَرِبَطُ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ فِي الْجُمْلِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنِ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ بِاسْتِعْمَالِ الْمِصْطَلِحَاتِ النَّحْوِيَّةِ»³³، وهذا قد يساعد على تنمية القدرة على التطبيق، كما يفيد حصول ملكة استقامة اللسان ومعرفة ما يجوز وما لا يجوز في جيد الكلام وأفصحّه.

لقد أدرك المصنف صعاب العملية الإعرابية، لذلك أقدم على تفصيلها، ليدفع عن طريقها ما يعيق فهم المتعلمين، وهذا الحرص منه ناتج عن تجربة نحوية طويلة أثمرت اهتمامه بالتعليم من خلال تناوله مادة النحو شرحاً أو تعليقا أو تحشية.

- اعتمد في بيان إعمال فعل الشروع (هلهل) على بيت مجهول القائل في قوله:³⁴

وَطِنْنَا دِيَارَ الْمُعْتَدِينَ فَهَلَّهَلْتُ نُفُوسُهُمْ قَبْلَ الْإِمَاتَةِ تَرْهَقُ

نبه ابن هشام في هذا البيت، على جانب من جوانب الغرابة في الاستعمال للفعل (هلهل)، على الرغم من عمله عمل (كان) الناقصة، مشيراً إلى التفسير الصناعي لهذا الضرب من الأبيات عن طريق الإعراب، والسؤال المطروح ما الغاية من إيرادها ما دامها موافقة للقاعدة؟ أحتاجها المصنف لبيان غرابتها أم أنه استأنس بها؟

لا شك أنّ من يتعرّض لدراسة شواهد شرح الشذور، يدرك أن المأثورات الشعرية تشير إلى صنفين من الأبيات، صنف منسوب إلى عصر الاستشهاد وهو الغالب، وصنف منسوب إلى ما بعد هذا العصر، إلا أن «هذه النصوص لم تذكر باعتبارها "شواهد" ثابتة الحجة على ما تتضمنه من ظواهر، بل توشك أن تلمح إلى أنها "أمثلة" كغيرها من الأمثلة المصنوعة تجلية للقاعدة وتوضيحاً لمتطلباتها».³⁵

فمما سيق قصداً للتمثيل من الأبيات الشعرية، قول المتنبي:³⁶

إذا الجودُ كم يُزَرَّقُ خلاصاً من الأذى فلا الحمْدُ مكسوباً، ولا المالُ باقياً

والملاحظ أن ابن هشام نبه- من خلال هذا التمثيل- القارئ على الأصل النحوي في كل تركيب يشتمل على إعمال الحرف الناقبي (لا) متى استوفى التركيب شروط الإعمال، أما ما خرج عن ذلك فقد لا يعد شاهداً لقلته، لذلك لم يحرص المصنف على تأويله أو توجيهه على نحو ما يفعل مع شواهد عصر الاحتجاج، وهذا رأي ابن جني وابن الشجري خلافاً لرأي ابن مالك، الذي حكم على نظير هذا بالشذوذ وليس القلة.³⁷

كما مثل ابن هشام بيت أبي العلاء المعري في وصف السيف:³⁸

يُذِيبُ الرَّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فلولا الغمْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا.

فأثر ذكر خبر المبتدأ بعد لولا وهو (يمسكه)، والجمهور يمنع ذلك، وعلى هذا، فإن السياق يظهر أن البيت لم يسق للاستشهاد، إذ لو كان كذلك لوقف المصنف عنده بالتأويل كما يفعل مع كثير من الشواهد التي خالفت الأصول.³⁹

من ذلك قول النابغة:⁴⁰

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فهذا النص قابل للتأويل والتوجيه وهو نص يصدم قارئه منذ البداية، إذ كيف ينتقل حكم الأعمال إلى الإهمال؟، إنه بهذا يعيد تشكيل النص بغرض احتوائه، لذلك نجد المصنف قد أقحم القارئ في روايتين متقابلتين، إحداهما برفع (الحمام) على الإهمال، والأخرى بالنصب على الأعمال، وهذا يمكن أن يجدد للقارئ القراءة من جهة، ورصد الأحكام ما جهة أخرى من غير اعتراض على الروايتين، فكل ما يلقي إليه يكون مدعوما بسند نقلي أو عقلي، لذلك تظهر في شرح الشذور تقنية نقل المرويات الشعرية كما حفظت من غير تصرف أو تدخل، ومن ثم نستطيع القول إن الهدف من تنوع الأنماط الشعرية في الشرح كان لغرض تعليمي يرمي إلى تفعيل الجانب التطبيقي والتدريبي عند المتعلمين، فطريقته في عرض الأبيات لم تهو به نحو الغموض والإبهام والالتباس، لأن المصنف أحس بضرورة الوقوف المتأنى أمام الشواهد احتجاجا وإعرايا وشرحا وتوجيها إن اقتضى الأمر ذلك ما يجعل الشواهد تختلف عن الأمثلة، في أن الأولى تساق «في الأصل لإثبات صحة القاعدة التي استنبطها النحويون القدماء بعد استقراءهم لكلام العرب، ويكثر سوقها ومناقشتها عند ما يختلف النحويون في إجازة تركيب أو رفضه، أو إجازة صيغة أو رفضها، فيحتاج المجيز أن يسوق نصا يشهد له بصحة دعواه، كما يكثر سوق الشواهد أيضا لبيان ما ندد عن القاعدة المستنبطة وشد عنها».⁴¹

ونخلص بهذا، أن شواهد الشذور الشعرية قد تفاوتت بحسب الغرض الذي توخاه المؤلف، حتى لا يولّد الملل والسأم من قراءة الكتاب، وذلك مرتبط على ما اعتقد بنشاط التعليم، إذ أنه ركز على الشواهد المثالية التي تبني عليها القواعد فناقشها بإمعان بارز، وتعرض لبعضها بالتأويلات والتوجيهات التي تخضع خضوعا واضحا لأساليب الجمهور العقلية، أما أبيات ما بعد عصر الاحتجاج فكاد يستغني عنا كما هو الحال في بيت المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي العلاء المعري، على اعتبارها تراكيب تخالف القياس، لذلك ذكرها المؤلف من باب الاستئناس على أنها أمثلة تطبيقية ينبه من خلالها القارئ على خصوصيات الظاهرة اللغوية الخاصة في أبيات التمثيل.

2-3- الإجراء الصناعي للمثال:

لم يتعسف ابن هشام في منهجه النحوي، الذي اختطه لعرض المسائل وبسط القواعد في شرح الشذور، وإنما أخلص في الشرح والإيجاز، بما دفع المتعلمين إلى الاكتفاء به وتفضيله على الشروح الأخرى، كما هو واضح من خلال الأسلوب التعليمي الذي اعتمده وقصد به تفعيل التدريب والتطبيق الذهني للمتعلمين، وعلى هذا الأساس فلا نزع «أن النحويين كانوا يجملون التطبيقات والتدريبات، أو أنهم أهملوها وأسقطوها من مصنفاتهم جملة، إذ الحقيقة

أنهم عرفوها ولكن بصورة أخرى غير الصورة التي يوصي بها الآن، حقا لم يهمل القدماء الجانب التطبيقي، بل كان التطبيق غير مفارق حلقات الدرس»⁴²، وقد ظهر اهتمامهم بالجانب التطبيقي من خلال أربعة اتجاهات بارزة في التراث النحوي هي:⁴³

أولاً: كتب إعراب القرآن ومعانيه.

ثانياً: كتب شرح القصائد والدواوين.

ثالثاً: كتب شرح الشواهد الشعرية.

رابعاً: كتب بيان كيفية الإعراب وذكر النصائح للمعربين.

ولعل سوق الشواهد أمر تقليدي مارسه المصنفون أثناء دراستهم الظواهر التركيبية، حتى على أولئك الذين ألفوا في الموسوعات، وشبوا على توظيفها، ما يدفعنا إلى التساؤل عن نوع آخر من التراكيب عرفت بالأمثلة المصنوعة في مجال وضع المختصرات النحوية ما حظها من التصنيف؟ وهل هي رديفٌ للأساليب اللغوية المعتمدة أم أنها مجرد إرث لغوي صاحب العملية التصنيفية فقط؟، هل بالغ الشرح في العناية بها تحقيقاً لأغراض تعليمية أم أنه اكتفى ببعضها في مواضع توضيحه رؤوس المسائل النحوية؟

لقد سعت بعض التجارب التصنيفية إلى نفخ الروح في بعض الأشكال اللغوية التي أريد بها رفع الغوامض النحوية ما أمكن، فنزعت إلى توظيف عدد من الأمثلة المصنوعة عن عمدٍ وقصدٍ، والتي ظهر أثرها في كتاب سيبويه بما يلائم الطابع التقريبي والفلسفي الذي اهتدى إليه.

وعليه، فإن الأمثلة هي: «جمل يصوغها المصنف ويضعها بما يتفق مع التراكيب العربية (..) ليوضح بها القاعدة، وتعد بمنزلة الجانب التطبيقي الإيضاحي للقاعدة وليست دليلاً على صحتها»⁴⁴، ولكنها غير كافية للإثارة والمناقشة، لذلك يحتاج المصنف إلى سوق الشواهد لبيان ما يجوز من التراكيب وما لا يجوز، وما يند عن القاعدة ويشد عنها، لكونها تمثل أصول الاستشهاد والاستدلال، كما يجد في الأمثلة سبيلاً للتيسير والتبصير حتى ذاع توظيفها لدى المتقدمين والمتأخرين من النحاة، وقد «اصطنع كل أمثلته، ولكن ذلك لم يمنع من تناقل بعضها وتوارثه في خضم النقل والاقتباس، ومحاكاة قوالها وأشكالها في التركيب والصياغة والطول والقصر»⁴⁵، وهذا التنوع في الأساليب من شأنه أن يساعد المتعلم على فهم القواعد وتمثلها بالممارسة والعمل، فتيسير الطريقة التعليمية «يغذي المهارات بالدقة والوضوح والنماء»⁴⁶.

وإذا تعددت مستويات التعليم، فلا بد أن تتفاوت محتويات المصنفات، ولذلك قد يكتفي المصنف ببعض الأمثلة فضلا عن الشواهد النقلية أو يدمن على إيرادها مراعيًا الرغبة في التعليم أو عدمها متى أقدم على مناقشة القضايا الفكرية الدقيقة في فلسفة النحو، لا سيما ما تعلق منها بمنطقة الظواهر اللغوية.

فالأمثلة صور لغوية مبسطة، تحاكي خصائص الأساليب البيانية المختلفة، بها يقتدر المصنف على تقريب المسائل النحوية التي تحتاج قدرًا من التفسير، تعبّر عن فلسفة التفكير التعليمي التي تمكن المتعلم من تعلم الأنماط اللغوية بوصفها لغة توضيحية يستعان بها في معرفة السّمات الذي كانت تنطق عليه عربية الفصاحة.

وقد تسرّبت إلى شرح الشذور تراكيب لغوية مصنوعة، مسبوقة بعبارات تدل ذلك مثل: كقولك⁴⁷، أو: تقول⁴⁸، أو: نحو⁴⁹...، أراد بها ابن هشام الاقتراب من حدود التعليم، الذي لا يقتصر فيه على شريط الشواهد وإنما يتجاوز ذلك إلى الاستعانة باستعمالات لغوية مصنوعة تصاغ للتطبيق والتدريب في الاستنباط والاستدلال.

- لقد ساق في توضيح مقيدات تعريف الفاعل تمييزاً له عن المبتدأ غير مثال للقيد الواحد، يقول: «وقولي: "ما قُدِّم الفعل أو شبهه عليه"، مُخرج لنحو: "زيدٌ قام" و"زيدٌ قائم"، فإن زيدا أُسند إليه الفعل وشبهه ولكنهما لم يقدّما عليه، ولابد من هذا القيد، لأنّ به يتميز الفاعل من المبتدأ، وقولي "أُسند إليه"، مُخرج لنحو: "زيداً" في قولك: "ضربت زيدا"، و"أنا ضاربٌ زيدا"، فإنه يصدق عليه فيهما أنه قُدِّم عليه فعلٌ أو شبهه، ولكنهما لم يسندا إليه، وقولي: "على جهة قيامه به أو وقوعه منه" مخرج لمفعول ما لم يُسَم فاعله نحو: "ضرب زيدٌ" و"عمرو مضروب غلامه"، فزيدٌ والغلام وإن صدق عليهما أنّهما قُدِّم عليهما فعل وشبهه وأُسند إليهما. لكن هذا الإسناد على جهة الوقوع عليهما، لا على جهة القيام به كما في قولك: عَلِمَ زيدٌ، أو الوقوع منه كما في قولك: "ضرب عمرو".⁵⁰

فلاحظ كيف تأثر ابن هشام بصياغة المثال الصناعي، وكيف حرص على سوقه بشيء من التبسيط يصلح للتوضيح، مكتفياً به في المواضع التي لا تتطلب تقديم الأساليب الفصيحة العالية.

- وضّح حكم وجوب إضمار ناصب المفعول في باب الاشتغال عن طريق المثال المصنوع فقال: «فمثال اشتغال الفعل بضمير السابق: "زيداً ضربته"، وقوله تعالى: "وكلّ إنسانٍ أَلَمَناه"⁵¹.

ومثال اشتغال الوصف: "زيداً أنا ضاربه، الآن أو غداً".

ومثال اشتغال العامل بملايس ضمير السابق: "زيداً ضربتُ غلامه"، وزيداً أنا ضاربٌ غلامه، الآن أو غداً".⁵²

فحتى يوضح لقارئه موضع وجوب إضمار النَّاصب، عمد إلى المثال أولاً وأتبعه بالآية الكريمة ثانياً وإن كان الثاني أأصل وأوضح وأبين وأحج من الأول، لكن فضل تقديم المثال على الآية جاء بغرض التحليل والتفسير لا بغرض الاستدلال، لذلك فإن قيمة المثال كشكل لغوي يوافق مطالب القاعدة «ليست ذاتية، بل شكلية، أي أنه لا يستمد قيمته من نفسه، وإنما من كونه قالباً لغوياً يصوّر القاعدة النحوية».⁵³

- وضح أحوال اسم (لا) النافية للجنس باستعمال الأمثلة، فقال: «فالمعرب ما كان مضافاً نحو: "لا غلامَ سَفَرٍ عندنا"، أو شبيهاً بالمضاف، وهو: ما اتصل به شيء من تمامه: إما مرفوع به نحو: "لا حسناً وجْههُ مَذْمُومٌ"، أو منصوب به نحو لا مُفِيضاً خيرَه مَكْرُوه، و"لا طالعا جبلا حاضرٌ"، أو مخفوض بخافض متعلق به، نحو: لا خيراً من زيد عندنا. والمبني ما عدا ذلك، وحكمه أن يبني على ما ينصب به لو كان معرباً».⁵⁴

هكذا تظهر محاولة ابن هشام في التعريف بالقواعد الأساسية للمتعلم وشرحها في سياقات لغوية لا تفي بها بدائلها، فكثيراً ما يميل إلى صناعة الأمثلة بناءً على ما يتطلبه الشرح، فيختار أسهلها وأسرعها استجابة، ليتمكن قارئه من الفهم لما اختاره له من أمثلة تستجيب لهدفه الذي حرص على تحقيقه، فهو يتيح له الرغبة في تمثّل النصوص والنسج على منوال الأساليب المختلفة من شعر ونثر، وفي ذلك قدرٌ من الاهتمام بتنمية المهارة اللغوية بناءً على درجة التحصيل النحوي، كما يحقق هذا الحرص من المصنف - للمتعلم قدرة على الممارسة والتطبيق بحسب درجة الوعي والتفكير أيضاً.

خاتمة:

يتضح من الإشارات التي سبقت في عرض التوجه التعليمي في التراث النحوي بناءً على مصنف شرح الشذور ما يلي:

- 1- المؤلفات المختصرة لا تكتفي بتقرير القواعد بطريقة علمية جافة، وإنما تستمد منهجها من النظر إلى مستويات التعليم وحاجات المتعلمين.
- 2- التصنيف التعليمي نشاط رائد في مجال وصف خصائص التراكيب، لكنه ملحق في أسسه المنهجية بالتصنيف الموسوعي.
- 3- أشكال التطور التصنيفي وسيلة من وسائل وصف الظواهر التركيبية وإدراك الإشكالات النحوية، وبذلك تختلف درجات الإقبال على هذه الأشكال بحسب الحاجة والمستوى.
- 4- بصمات التطبيق والتدريب واضحة في التصنيف التعليمي، فضلاً عن ولع المتعلمين بهذا الطابع، الذي كثيراً ما يلائم الهدف ويسد الخلل بالشرح والتفسير، بعيداً عن أشكال الإثارة العقلية أو الفلسفية.

- 5- من التجارب التعليمية الرائدة التي أسهمت في تذليل الصعوبات وتقديم الضروريات إلى درجة التفرد والتميز، تجربة ابن هشام في شرح الشذور، تلك التجربة التي تتمثلها أقرب إلى التبسيط والتطبيق، لم تقف عند حدود النقل، وإنما تمكنت من إبراز السمات المنهجية لتعليم النحو كالتنوع في المرويات الشعرية والتدريب على تقنيات الإعراب ووظائفه، وإزالة ما استغرب من الألفاظ وتوجيه العناية للأمثلة المصنوعة.
- 6- شريط الشواهد الشعرية المعتمدة في شرح الشذور متسع منها ما وافق القياس ومنها ما ند عنه علما أن ذلك قد اقتضى التمييز بين نوعين من الأبيات أبيات الاستشهاد وأبيات التمثيل.
- 7- مراعاة الجانب التطبيقي الايضاحي بتوظيف قدر من الأمثلة المصنوعة التي تعين على الفهم بوصفها صورا لغوية مبسطة يستعان بها في معرفة خصائص السمات التي كانت تنطق عليه العربية ولذلك فإن وضع الأمثلة بعبارات تدل على ذلك في الشرح يصلح للتعليم والتقريب بإزاء سياقات الاستشهاد النحوي.

● قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. الاتجاهات النحوية لدى القدماء (دراية تحليلية) في ضوء المناهج المعاصرة، د/ حليمة أحمد عمارة، دار وائل للنشر والتوزيع (الأردن- عمان) ط1، 2006.
2. الأدوات النحوية ومعانها في القرآن الكريم (عرض وتحليل)، د/ محمد علي سلطاني، دار العصماء، للنشر والتوزيع (سوريا - دمشق)، ط1، 2005.
3. الإيضاح في علم القراءات، د/ عبد العالي المسؤول، عالم الكتب للنشر والتوزيع، دط، دت.
4. الباب النحوي (بحث في المنهج)، أ. ليلى شكورة، مركز الكتاب الأكاديمي (عمان)، ط1، 2016.
5. تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)، د/علي أبو مكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2007.
6. تقويم الفكر النحوي عند اللسانيين العرب، د/ سلمان عباس عبد، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)، ط1، 2016.
7. تكوين المهارات النحوية، د/ فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2012.
8. الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيوييه، مازن المبارك، دار الفكر (دمشق- سوريا)، المطبعة العلمية (دمشق)، ط3، 1995.
9. شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- لبنان)، ط1، 2005.
10. ظاهرة الحذف والتقدير في النحو العربي، د/علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2007.
11. اللغة الشعرية عند النحاة (دراسة للشاهد الشعري والضرورة الشعرية في النحو العربي)، د/محمد عبدهو فلفل، دار جريب للطباعة والنشر والتوزيع (عمان)، ط1، 2007.
12. المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، د/ عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، دط، دت.
13. مفهوم الجملة عند سيوييه، د/حسن عبد الغني جواد الأسدي، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)، ط1، 2007.
14. مناهج التأليف النحوي، د/كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع (عمان)، ط1، 2007.

15. النحو التعليمي في التراث العربي، د/ محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دت.
 16. النحو العربي (أصوله وأسس وقضاياها وكتبه) مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، د/محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب (القاهرة)، ط1، 2009.

• الهوامش:

- 1- النحو العربي (أصوله وأسس وقضاياها وكتبه) مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، د/محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب (القاهرة)، ط1، 2009، ص 79.
 2- مفهوم الجملة عند سيبويه، د/حسن عبد الغني جواد الأسدي، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)، ط1، 2007، ص05.
 3- تقويم الفكر النحوي عند اللسانيين العرب، د/ سلمان عباس عيد، دار الكتب العلمية، (بيروت- لبنان)، ط1، 2016، ص24.
 4- النحو التعليمي في التراث العربي، د/ محمد إبراهيم عبادة، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دت، ص26.
 5- النحو العربي (أصوله وأسس وقضاياها وكتبه)، د/ محمد إبراهيم عبادة، ص309.
 6- المرجع نفسه، ص 14، 15
 7- النحو العربي (أصوله وأسس وقضاياها وكتبه)، د/ محمد إبراهيم عبادة، ص256.
 8- النحو التعليمي في التراث العربي، د/ محمد إبراهيم عبادة، ص 115.
 9- تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)، د/علي أبو مكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2007، ص 128.
 10- المرجع نفسه، ص129.
 11- ينظر: مناهج التأليف النحوي، د/كريم حسين ناصح الخالدي، دار صفاء للنشر والتوزيع (عمان)، ط1، 2007، ص50، 52.
 12- ينظر: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، د/ عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، دط، دت، ص140، 141.
 13- ينظر: النحو التعليمي في تراث العربي، د/محمد إبراهيم عبادة، ص275، 276.
 14- ينظر: تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)، د/ علي أبو المكارم، ص47.
 15- ظاهرة الحذف والتقدير في النحو العربي، د/علي أبو المكارم، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط1، 2007، ص294.
 16- الإيضاح في علم القراءات، د/ عبد العالي المسؤل، عالم الكتب للنشر والتوزيع، دط، دت، ص141.
 17- تعليم النحو العربي (عرض والتحليل)، د/ علي أبو المكارم، ص128.
 18- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، دار الفكر (دمشق- سوريا)، المطبعة العلمية (دمشق)، ط3، 1995، ص258.
 19- اللغة الشعرية عند النحاة (دراسة للشاهد الشعري والضرورة الشعرية في النحو العربي)، د/محمد عبدو فلفل، دار جريب للطباعة والنشر والتوزيع (عمان)، ط1، 2007، ص33.
 20- المرجع نفسه، ص32.
 21- الاتجاهات النحوية لدى القدماء (دراسة تحليلية) في ضوء المناهج المعاصرة، د/ حليمة أحمد عمارة، دار وائل للنشر والتوزيع (الأردن- عمان) ط1، 2006، ص 122.
 22- الباب النحوي (بحث في المنهج)، أ. ليلي شكورة، مركز الكتاب الأكاديمي (عمان)، ط1، 2016، ص68.
 23- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت- لبنان)، ط1، 2005، ص21.
 24- ينظر: تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)، د/ علي أبو المكارم، ص 135.
 25- ينظر: شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، ص 91.
 26- ينظر: المرجع نفسه، ص 29.
 27- ينظر: المرجع نفسه، ص 41.
 28- ينظر: المرجع نفسه، ص 58.
 29- المرجع نفسه، ص 218.
 30- ينظر: المرجع نفسه، ص 219 (الهوامش).
 31- ينظر: المرجع نفسه، ص 218 (الهوامش).
 32- المرجع نفسه، ص 218 (الهوامش).

- 33- تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)، د/ علي أو المكارم، ص 231.
- 34- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري ص 253.
- 35- المرجع السابق، ص 190.
- 36- شرح شذور الذهب ابن هشام الأنصاري، ص 261.
- 37- ينظر: شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، ص 262.
- 38- المرجع نفسه، ص 59.
- 39- ينظر: المرجع نفسه، ص 59. (الهامش).
- 40- المرجع نفسه، ص 365.
- 41- النحو التعليقي في التراث العربي، د/ محمد إبراهيم عبادة، ص 79، 80.
- 42- النحو العربي (أصوله وأسس وقضايا وكتبه)، د/ محمد إبراهيم عبادة، ص 463.
- 43 - ينظر: المرجع نفسه، ص 467.
- 44- النحو العربي (أصوله وأسس وقضايا وكتبه)، د/ محمد إبراهيم عبادة، ص 262.
- 45- الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم (عرض وتحليل)، د/ محمد علي سلطاني، دار العصماء، للنشر والتوزيع (سوريا- دمشق)، ط1، 2005، ص 806.
- 46- تكوين المهارات النحوية، د/ فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2012، ص 27.
- 47- ينظر: شروح شذور الذهب، ابن هاشم الأنصاري، ص 226-341.
- 48- ينظر: المرجع نفسه، ص: 422-557.
- 49- ينظر: المرجع نفسه، ص: 392.
- 50- شروح شذور الذهب، ابن هاشم الأنصاري، ص 213.
- 51- سورة الإسراء، ص 13.
- 52- شرح شذور الذهب، ابن هاشم الأنصاري، ص 285.
- 53- تعليم النحو العربي (عرض وتحليل)، د/ علي أبو المكارم، ص 194.
- 54- شرح شذور الذهب، ابن هاشم الأنصاري، ص 375.

جينالوجيا الجسد الأسطوري في الشعر الجاهلي

Genealogy the legendary Metabody in pre-Islamic poetry

إعداد الباحث: ستار كاظم حمد
إشراف: أ.د. عواد كاظم لفتة
D. Awad Kadhim Lafta Sattar Kadhim Hamad
awad.aa988@gmail.com إيميل الباحث: satarkadim@yahoo.com

جامعة ذي قار_ كلية الآداب – العراق
Iraq-University of Th-Qar_ college of arts

الملخص:

تهدف الدراسة الى بيان جينالوجيا الجسد الأسطوري في الشعر الجاهلي، بوصفه (Metabody) يمثل الذات العاقلة والعقل الكبير، والكشف عن طبيعة إرادة القوة التي تقف خلف كل قيمة ما إذا كانت فاعلة ذاتية أو منفصلة خارجية، ومن ثمّ الحكم عليها من حيث نبلها وخستها، وانتهت الدراسة على أن الجسد المنفعل استغل سلطة الأسطورة في ترويض الأجساد الفاعلة ومصادرة قواها بواسطة توليد الأخلاق البراغماتية المناقفة.

الكلمات المفتاح: الجينالوجيا، الجسد، الأسطورة، الشعر، الجاهلي، الأخلاق، القيم.

Abstract:

The study aims to show the genealogy of the legendary Metabody in pre-Islamic poetry, as a Metabody representing the rational self and the big mind, and to reveal the nature of the will of the force that stands behind each value whether it is a subjective or external passive actor, and then judge it in terms of nobility, despair, and ended The study indicates that the passive body took advantage of the power of legend to tame the active bodies and confiscate their powers by generating pragmatic, hypocritical morals.

Keywords: Genealogy, Metabody, myth, poetry, ignorant, ethics, values.

تقديم:

سلطة المتخيل الجسدي، سلطة تكمن فلسفتها في أن السلطة أو الهيمنة هي معادلة ليست مستقرة أو ثابتة وذلك يرجع إلى صراع الطبقات الاجتماعية الذي يكون حاضراً في أي نص أو خطاب، إذ تُقدم كل طبقة خطابها الخاص الذي يعبر عن قوتها وهيمنتها، ويلغي كل خطاب آخر غير خطابها، فيعمل الجسد المنفعل على مصادرة القوة وبناء القيم على حساب الجسد الفاعل، والتغلب على الخوف من القوة السائدة باستعمال وسائل وقيم تُكره الأقوياء على الخضوع إلى منظومة القيم الجمعية⁽¹⁾.

وكان لا بد للجسد المنفعل الجمعي في صراعه من أجل تملك القوة من استعمال الخيال في بناء قيماً عليها قدرة على ترويض الجسد الفاعل والتغلب عليه، وهذا ما أفضى به إلى إنتاج قوة منفصلة خارقة لها علاقة بقوى الغيب والعالم الميتافيزيقي، مكنته من تسنم قمة التراتبية الجينالوجية.

ولجوء الجسد المنفعل إلى التعلق بالمتخيل يرجع إلى أحد عاملين: الأول يرجع إلى انشداد الإنسان بإنتاج التخيلات والرموز لدافع جمالي له علاقة بالأفكار والانفعالات الوجدانية التي تثيرها ظواهر الوجود وتجلياته، والثاني يعبر عن الشعور بالنقص والضعف وإيجاد طريقة يعوض بها الجسد عن مكبوتاته التي لم يستطع تلبيتها بشكل طبيعي في حياته، لذا يلجأ إلى الخيال لإشباع رغباته وغرائزه⁽²⁾، فالمتخيل هو ((المسار الذي يمثل ويتشاكل فيه تمثيل الموضوع بواسطة الضرورات الغريزية للذات، والذي تفسر فيه في المقابل، التمثيلات الذاتية بواسطة التكيفات السابقة للذات في وسط موضوعي))⁽³⁾، وهذا الدافع الغريزي للجسد يلجأ إلى المقدس بنفس الطريقة فيوظف الرموز والأساطير التي تعبر عن شعور الجسد الغريزي وفهمه للوجود ومظاهره وقواه المخيفة المرعبة⁽⁴⁾.

أما عن قوة تأثير المتخيل فتكمن في أنه يمثل ((نظام مغلق من العلاقات التفاعلية والبنىات الحية والمميزة، وتعبّر باللغة وأساليب التصوير عن رؤية تخيلية حميمية وفريدة للعالم والأشياء وعن موقف انطولوجي للكائن البشري في الحياة))⁽⁵⁾، وهذا يعني أن الجسد المنفعل في سعيه للقوة سخر الخيال لإشباع رغبات الذات العاجزة وحقق فهمها للوجود ومظاهره، وكذلك الحال مع المقدس الذي يشبع رغبات الجسد عبر خلق نظام غير حقيقي قائم على استعمال الاستعارات اللغوية الحقيقية للتعبير عن كل ما هو مخيف وغامض ومتخيل⁽⁶⁾، وهنا تقدم قيم الانفعال قراءة جديدة للمعاني والحقائق، تتواءم وثقافتها النفعية، وتصبح الأفكار الصحيحة هي التي نستطيع تمثيلها وفهمها وتثبيتها وتعزيزها، أما الأفكار غير الصحيحة فهي ما لا نستطيع اثبات ذلك معها⁽⁷⁾.

والمتخيل الشعري العربي ينتج خطاباً ميتافيزيقياً يبتدع باللغة وأساليبها البلاغية، ويُستمد من المعطيات الحسية والواقع المعيش للنص الشعري، أي الصنعة والبناء ودرجة التأثير على المتلقي، والقدرة على إيصال الأفكار المنفصلة ضمن الشروط المتحكمة في الذهنية الثقافية للإنسان القبلي، إذ عمدت ثقافة الجسد الجمعي أو الطبقات المنفصلة التي تُكون هذا الجسد على استلهام الوجود ومظاهره المخيفة للإنسان القبلي لإعادة إنتاج الموروث الثقافي بما يضمن حيابة السلطة والقوة، وهذا مكن الجسد المنفعل من تعديل قواعد الصراع مع الجسد الفاعل لصالحه والهيمنة والتفوق على الأخير بابتكار جسد منفعل له علاقة بعوالم غيبية أو أسطورية أو دينية مقدسة، فضلاً عن إعادة توجيه

الأسطورة والمقدس وقوى الغيب، أي تغيير المنظومة الأخلاقية برمتها⁽⁸⁾، واحد هذه الأجساد المنفعلة هو الجسد الأسطوري .

1 - دور الأسطورة في صناعة القيم:

إن الجسد المنفعل كان بحاجة الى تسخير قوى عليا لها تأثير بالغ على الآخرين فاعلين كانوا أم منفعلين، وهذه القوى لها سلطة فوقية على الحياة والوجود، لذلك لجأت قيم المنفعل الى المتخيل في اكتساب التأثير وفرض إرادة القوة، وإذا ما جمع الجسد المنفعل بين هاتين القوتين في تفسير علاقة الجسد بالموجودات والظواهر الطبيعية المحيطة به بوساطة الأسطورة التي تتضمن الدين والتاريخ والفلسفة، فإنه يستطيع تقديم الأسطورة بوصفها مصدراً مهماً لا غنى عنه في تأسيس القيم.⁽⁹⁾

والخيال الجمعي يتأثر بالصورة التي تثيرها شخصيات أو أحداث ما لدرجة أنها تخلق في نفوسهم حيوية وقوة الأشياء والواقعية ذاتها؛ لأن للصورة طابع ترغيب وترهيب في حياة الإنسان وكما أن المجتمعات بطبيعتها لا تميل الى النقد والمحاکمات العقلية والإعراق في التفكير فتصبح الأشياء الأكثر إدهاشاً وتأثيراً ذات قيمة واقعية مثل السحر والأسطورة ، وهذا ما لعب دوراً أكثر أهمية من الواقع نفسه، وأصبح اللاواقعي يسيطر ويهيمن على الواقعي في الذهن الجمعي، ولم تعد الوقائع تؤثر بحد ذاتها على المخيلة الشعبية، وإنما الطريقة التي تعرض بها هذه الوقائع⁽¹⁰⁾، فيختلط الواقع في الأساطير بعوالم خارجية متخيلة إذ يشكل السرد عالمه المتخيل بقوة وتماسك فيستحضر الجسد الماضي ويمزجه بالتحيزات والأهواء والافتراضيات، وهذا الخليط المتخيل يعيد صياغته تاريخ الجسد والعالم معاً ويأخذ شكل الحقائق التاريخية، ويُقدم الواقع على أنه بديهيات عقلية ناتجة عن تأويل الماضي، ويأخذ مفعوله في نفوس المجتمع ويعيد إنتاج قيمه وسلوكيات الثقافة العامة، وبالتالي يرسم صورة الطبقة المجتمعية بالنسبة لأنفسهم وللآخرين.⁽¹¹⁾

وتجدر الإشارة الى أن هناك علاقة وطيدة بين السرد والأسطورة والفلسفة، فالقصص والمورثات التاريخية هي فهم لتجلي مظاهر الوجود المحيطة بالجسد، وحين يحاول الجسد المنفعل تقديم تصورات واعتقاداته وأحكامه عما يدور حوله من مظاهر الحياة ويسعى الى تقصي وفهم القوى المهيمنة في بيئته، فإنه يصوغ أفكاره بطريقة غير مباشرة مستعملاً لغة السرد، رابطاً بوساطتها بين واقعه المعيش من جهة وبين حوادث تاريخية يتمثلها السرد ويلبسها لبوس الحتمية ليثبتها في المخيلة الثقافية الجمعية، إذ يستحضر الزمان للتفكير بالوجود الجمعي لا الفردي، وغايته من ذلك توليد قيم وأخلاق جديدة تشكّل مع مصادر آخر منظومة ثقافية متكاملة تُصادر القوة وتهيمن على الآخر.⁽¹²⁾

ودور الجينالوجيا هو الكشف عن إرادة القوة التي تقف خلف كل معنى أو قيمة يقدمها الجسد الأسطوري أن كانت فاعله أو منفعله، وبالتالي بيان قيمة القيمة من حيث نبلها أو خستها، وهذا ما يقدمه لنا الشعر الجاهلي الذي يشير بوضوح إلى أن الطرف المستفيد من توليد الأساطير وإدامة زخمها مستعيناً بأليات اللغة وبلاغتها هو الجسد المنفعل الذي ساق قيمه البراغمية على طريقتين: الأولى بوساطة مماهة القيم الفاعلة وإعادة توجيهها

لصالحه ، والثانية بتوليد قيم جديدة وضمان فاعليتها وتأثيرها عن طريق ربطها بالأسطورة ، وبذلك تُفرض القيم المنفعلة على المنظومة القيمة العامة بوصفها جزءاً أصيلاً من وجودها.

لقد مزجت الأخلاق المنفعلة بين التاريخ والدين والمتخيل لتقدم نماذجاً أرموزاً ثقافية عليا مثلت أقنعة ثقافية اختبأت خلفها قيم أخلاقية مكنت مَنْ أنتجها من الهيمنة على الآخرين، وهذه الهيمنة أما صادرت السلطة من الأجساد الفاعلة وتسلطت عليها، أو مورست ضد طبقات منفعلة أُخر، لأن القيم المنفعلة وجدت وفق مبدأ المنفعة والمصلحة التي تحقق للجسد رغباته.

2- القيم الجسدية المخاتلة:

لم تستطع القيم المخاتلة مواجهة الآخر بشكل مباشر فلجأت الى صناعة الرموز القيمية العليا، وأول هذه الرموز التي تطالعناها في دراسة الشعر الجاهلي هي أسطورة لقمان بن عاد، التي تداخلت فيها أكثر من قيمة، فقد قدم لقمان على أنه شخصية تاريخية حقيقة عرفت بالحكمة والدهاء والحزم، وأنه طلب من الله أن يطيل عمره، فأعطاه الله عمر سبعة نهور كلما هلك واحد أُستبدل بأخر، وأخرها نسر يُقال له (لُبْد)⁽¹³⁾ وقد مهدت الثقافة المنفعلة فيها الى عرض رغبة الجسد في الخلود وسعية الدائم وراء ذلك، ولكن مهما طال الزمن فإنه صائر الى الموت والفناء:

وَلَقَدْ جَرَى لُبْدٌ فَأَدْرَكَ جَرِيَهُ
رَبِيبُ الزَّمَانِ وَكَانَ غَيْرُ مُتَّقِلٍ
لَمَّا رَأَى لُبْدُ النَّسُورُ تَطَايَرَتْ
رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ
مِنْ تَحْتِهِ لُقْمَانَ يَرْجُو نَهْضَهُ
وَلَقَدْ رَأَى لُقْمَانَ أَنْ لَا يَأْتِي (14)

والدهور التي قضاهما لقمان انتهت بموت آخر نسر منح له فكان موتهما معاً، وعلى الرغم من مزايا هذه الشخصية من حكمة ودهاء إلا الفناء واندراس الأثر هو النتيجة الحتمية لحياة الجسد، هكذا قدمت الثقافة المنفعلة لقمان، ولكن هذا كان مجرد تأسيس للأسطورة لضمان ثبوتها وركوزيتها في الذهنية الجمعية.

وبعد أن فرغ الجسد المنفعل من تأسيس الأسطورة (لقمان)، أخذ بالعمل على تدعيم الأسطورة بشخصيات ثانوية تعلقت بشخصية لقمان لتمير قيم براغماتية مخاتلة، ومن تلك الشخصيات (أيسار لقمان) وهم كما تقدمهم الثقافة ثمانية من العمالقة عُرفوا على أنهم رموزاً عليا أو هم الأجساد المثال، إذ حققوا الخلود الجسدي بوساطة تحليهم بقيم فاعلة مثل الشجاعة والعفو والسماحة وأبرز القيم التي حققوا بها ذلك كانت الكرم:⁽¹⁵⁾

وَأَيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ سَمَاحَةً
وَجُوداً إِذَا مَا الشُّوْلُ أَمَسَتْ جَرَائِرًا (16)

فقد صور أيسار لقمان على أنهم القدوة لجميع الأجساد الفاعلة الطامحة في بلوغ الخلود الذي لا يُنال إلا بالعفو والكرم والتفضل على أبناء جلدتهم وجميع العاجزين الذين أرتبط وجودهم بالعطاء والضيافة وتلقي المعونات من الأغنياء، أي أن قيمة الكرم قيمة وجودية لا غنى عنها، لذلك فقد قدمت الأسطورة أيسار لقمان لتحضّ الفاعلين على قبول العلاقة التبادلية بينهم وبين الثقافة الجمعية، إذ يقدم الطرف الأول أمواله مقابل تخليد الشعراء له معنوياً، وهذا ما خلد لنا شخصيات جاهلية كثيرة عرفت بالكرم فمدحت أو تخلت عنه فهجيت.

ولم تنته الشخصيات الثانوية المرتبطة بأسطورة لقمان عند هذا فقد أضيفت الى هذه الشخصية لواحق قيمية أُخر، واستغلت لصالح الأجساد الفاعلة، وفي هذا التسخير للأسطورة وجهين: الأول أن يكون الجسد الفاعل

هو من أنتج هذا القيمة وهذا يتناقض مع قيم الجسد المنفعل النابعة عن الذات والتي تؤمن بالقوة ولا تحتاج الى مبررات، والثاني أن يكون شعراء المديح الذين ينتمون الى الجسد المنفعل وثقافته أقدموا على ذلك، أما رغبة في عطاء الأقوياء، أو التسويغ هذه القيمة فإذا ما وقع مثلها معهم فليس عليهم حينئذٍ أي حرج، وقد يجتمع الغرضان معاً، وهذا الرأي أقرب للصواب ويأتي متطابقاً مع توجه النقد الجينالوجي، وهذه القيمة المضافة تتحدث عن واحدة من أخوات لقمان عرف عنها الحمق وكانت تحت رجل ضعيف الحال، فأرادت أن يكون لها ولد ينماز بالحكمة والذكاء، فطلبت من إحدى زوجات أخيها لقمان أن تعطها ليلتها لتحمل منه ولداً وقد حصل لها ما أرادت وأنجبت (لقيم) (17).

لُقَيْمُ بن لُقْمَانَ من أُخْتِهِ
لِيَالِي حُمُقٍ فَأَسْتَحْصَنَتْ
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ نَابِئٌ
فَجَاءَتْ بِهِ، رَجُلًا، مُحَكَّمًا (18)

إن ما تقدمه الأسطورة (لقيم) المرتبطة بالأسطورة العليا (لقمان)، هو دعم لقيمة جسدية فاعلة تتمثل في نكاح (الإستبضاع) حيث تنكح المرأة أكثر من زوج، وقيمة لقيم أما أن تكون مؤسسة لهذا النكاح أو متأخرة عنه فتكون داعمه ومؤيدة له، ونكاح (الإستبضاع) يتيح للمرأة أن تختار لأبنها خيرة الآباء ممن عُرف عنه خصال الجسد الفاعل وقيمه، وفي ذلك تخويل للأقوياء بالهيمنة على نساء الأضعف منهم وشرعنه ذلك في الثقافة العامة، فضلاً عن أن هذه القيمة تشي بحرية المرأة في الهيمنة على زوجها إذا كان يمثل جسداً منفعلاً، أي أن الثقافة الفاعلة تخول لها ذلك.

ولم يترك الجسد المنفعل قيمة (لقيم) تتجه نحو تحقيق رغبات الجسد الفاعل التي تكون على حساب خضوع الأضعف للهيمنة والتسلط، فقد عمل على استغلال جنبه مهمة وأساسية في هذه الأسطورة لينفذ منها الى تأسيس القيم المنفعلة وهذه الجنبه هي طبيعية العلاقة بين الذكر والانثى الذين أنتجا لنا قيمة (لقيم)، إذ أن هذه العلاقة تمثل نكاح المحارم، وهذا الزواج كان محرماً في الجاهلية وغير موجود في قاموس الجاهلية الثقافي، بل كان هذا النكاح مستساغاً عند الأشوريين والفرس والمصريين⁽¹⁹⁾، لذلك فقد قدم الجسد المنفعل (لقيم) على أنه مثال سلبي ملعون يمثل قيمة تجلب لمن يؤمن بها سوء العاقبة والهلاك، وتدعو الى مداومة الويل والثبور، وكثيراً ما قرن الجسد المنفعل بين لقيم و(قدار بن سالف) عاقرناقة صالح (ع):⁽²⁰⁾

فِينَا مَعَاشِرَ لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِمْ
وَأَنْ يَرشِدُونَ وَلَنْ يَرعُوا مُرشِدَهُمْ
كَانُوا كَمَثَلِ لُقَيْمٍ فِي عَشِيرَتِهِ
أَوْ بَعْدَهُ كَقَدَارٍ حِينَ تَابَعَهُ
وَإِنْ بَنِي قَوْمِهِمْ مَا أَفْسَدُوا عَادُوا
فَالغِي مِنْهُمْ مَعَا وَالْجَهْلُ مِيْعَادُ
إِذْ أَهْلِكْتُ بِالذِّي قَدْ قَدَّمْتُ عَادُ
عَلَى الْغَوَايَةِ أَقْوَامٍ فَقَدْ بَادُوا (21)

وأصبح لقيم وفق ثقافة المنفعل المخاتلة أيقونة سلبية وقيمة خبيثة لا يمكن للجسد الذي يبحث عن خلوده بالقيم أن يتشبه بها، إذ يعمد الشاعر الى جعل لقيم مثلاً أفتدى به قدار ليصل بقومه الى الهلاك والفناء، لذلك كان حقيقاً بالأجساد الفاعلة مفارقة هذه القيمة، وكذلك قدم الشاعر أكثر من قيمة مخاتلة في النص إذ قرن عدم سماع

سادة القبائل وكبرائها نصح الجسد المنفعل بلقيم الذي كان يتصرف عن نفسه من غير أن يشارك سلطته مع الآخرين أو يستمع الى مشورتهم.

إن ذكاء الجسد المنفعل في صياغة قيمه دفعه الى ربط أسطورة لقيم بشخصية سلبية ذات بعد تاريخي، مستغلاً تأكيد الأديان على خبثها وفسادها، وهي شخصية قدار بن سالف الذي ارتبط ذكره في الشعر الجاهلي بالشؤم والنحس وخبث الفعل، وهذا التأثير الثقافي التفت إليه غير شاعر جاهلي متبنٍ للقيم المنفعلة، فراح يؤسس قناعات وقيم جمعية أخر، ومنها التحذير من أخطار الحروب وأن من يدعون إليها هم فاقد البصيرة، خبثاء الفعل ممن لا يراعون نماء القبيلة وازدهارها، وأنهم أعداء الجسد الجمعي:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ
وَمَا هُوَ عَنَّا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامَ كُلُّهُمْ
كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتُفْطِمُ (22)

وقد خلق الشاعر قيمه مختاتلة بوساطة تعليق ما يعتقده بشأن الحرب وما يحذره من عواقبها بما صدر عن قدار الذي يُسميه (بأحمر عاد)، أي أن العاجزين عن المواجهة والذين لا يؤمنون بمبدأ القوة المباشر وتحقيق الرغبات قهراً يذهبون الى توليد قيم تدعم الثقافة المنفعلة الإرتكاسية العاجزة، أي أن الأنساق المختاتلة هي السبيل الى تمرير قيم الجسد المنفعل.

ومن الرموز العليا التي اتخذها الجسد المنفعل في تمرير أنساقه المختاتلة أسطورة (أجأ وسلعى)، وأسطورتهما تتحدث عن رجل وامرأة متزوجة تعشقا بعضهما وجمعت بينهما امرأة تدعى (العوجاء) فتبعهم زوج سلعى وقتلهم جميعهم⁽²³⁾، وهذه الأسطورة تتماهى مع أسطورة لقمان الذي أبتلي بخيانة نساؤه له في شرفه⁽²⁴⁾، وهاتين الأسطورتين صورتا المرأة على أنها جُبلت على الخيانة، وأنها ضلع أعوج لا استقامة له، فتمثل المرأة مصدر الشرور وطرف لا يؤمن جانبه، فقد أوجدت الثقافة المنفعلة أنساقاً قيمية عملت على شيطنة المرأة واتهامها بنقص العقل والطيح ونزق الغريزة، وهذا ما يجعل من فحولة الذكر ومركزيته مسألة مفروغاً منها، وأن الغلبة لصالح الذكر الذي حاز الفطنة والدهاء وحسن تدبير الأمور:

أذَا أَجَأَ تَلْفَعَتْ بِشِعَافِهَا
عَلِيٍّ وَأَمَسَتْ بِالْعَمَاءِ مُكَلَّلَةً
وَأَصْبَحَتْ الْعَوْجَاءُ يَهْتَرُّ جِيدُهَا
كَجِيدِ عَرُوسٍ أَصْبَحَتْ مُتَبَدِّلَةً (25)

لقد انتهى خبث المرأة وخيانتها الى عشق رجلٍ غير زوجها والفرار معه الى الجبال وفكرة الفرار مع عشيقها قدمتها ثقافة المنفعل على أنها فكرة مؤنثة إذ كان هذا رأي (العوجاء) ونصيحتها لهما، ويصورها الشاعر على أنها كانت سعيدة بفعلتها، إلا أن الحق بجانب زوجها لذلك فقد قتل العوجاء ومن عمل بنصيحتها، والمختاتلة هنا تهدد النساء بعدم الخيانة؛ لأنها ستلاقي العقاب لا ريب وهذا ما فعله لقمان الذي قتل نساؤه وأبنته.

واشتركت اللغة في صناعة القيم المنفعلة التي تُعلي من شأن الجسد المنفعل المذكور على المؤنث، إذ نجد أن من أنجبت من لقمان ولدها لقيم كانت تعرف بأنها (حمقاء) وأن من دلّت أجأ وسلعى على فكرة الهروب أسماها (العوجاء) وكلاهما صفتان تدلان على سذاجة الرأي وقصور العقل المؤنث وقيمه، فُقُرنت بالحماقة وسوء التدبير من جهة، وبالخطيئة والخيانة من جهة أخرى، وكما أن هاتين الأسطورتين تُقدمان وتُهددان لشرعنة الواد بالنسبة للجسد المؤنث وفق مصالِح وغايات اجتماعية تعود بالنفع على الجسد المذكور المنفعل الذي سَوَّغ لنفسه القصاص قبل

الجنائية تحوطاً منه لصيانة شرفة من العار، أو لخوف الجاهلي من وقوع البنات في السبي وما يلحقه ذلك به من عار⁽²⁶⁾.

وإذا كان مصير المرأة الخائنة للرجل القتل وفق الثقافة المنفعلة فإن الرجل الذي يطاوعها ويشاركها الفعل بحاجة الى حيل ثقافية تدعم ثيمة (أجاً) لتثنية عن ذلك، لذا فقد أوجدت الثقافة قناعاً ثقافياً لذلك فقدت أسطورة (إساف ونائلة) وسرديتهما تؤكد على أنهما رجل وامرأة فجرا في الكعبة فمُسخا حَجْرين على صورتهم، وقد وضعا عند الكعبة لعِظة الناس ولما طال بهما الأمد عُبدَا مع باقي الأصنام⁽²⁷⁾، وهذه الأسطورة لا تخلوا من حيلة وليست بريئة إذ تؤكد على أن من يطيع المرأة يُقدم على عمل خبيث وإذا ما طال المرأة العقاب فإن الرجل ليس بمنأى عن ذلك .

ومن الأساطير التي عملت على شيطنة المرأة أسطورة (مُنْشَم)، وهي امرأة من حمير، وقيل من مكة، صنعت طبيباً تطيب به زوجها، ثم صادفت رجلاً فطيبته بذلك الطيب فلقيه زوجها وشمَّ ريح طيبها عنده فقتله وأقتل الحيان، وقيل أن رجلاً اشتروا طبيباً منها وأقسموا على حرب أعدائهم وكان علامة ذلك القسم أن يضعوا أيديهم في ذلك العطر⁽²⁸⁾.

وأسطورة منشم هي صنعة منفعلة وقناعاً ثقافياً، فمن جهة اختلاف نسبة المرأة بين حمير ومكة، ومن جهة أخرى اختلاف قصة العطر بين زوجها وصاحبها ورجلاً أقسموا على الحرب، وهذه يدل أنها قصة مختلقة لا صحة لها تمثل نسقاً مختلاً عمل على شيطنة المرأة ونسبة القبائح لها، وأنها فتنة وشيطان يغوي من يضعف أمامه ويلقى به للمهالك:

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَدُبْيَان بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُوا بِيَهُم عَطْرَ مَنْشَمٍ⁽²⁹⁾

فقد ساوى الجاهلي بين المرأة ولقيم وقرار الدَّين كانا سبباً في هلاك قومهما، ومحلاً لنزول النعمة والعذاب، وجعل الشاعر من المرأة مثلاً سلبياً للقيم التي يجب الحذر من تبنيها؛ لأنها قيم شاذة لا تعود بالفائدة على الجسد الجمعي، وجميع هذه الأمثلة السيئة قيماً أوجدها الجسد المنفعل لحفاظ سلامته وحياته التي لا يمكن تحقيقها بتبني قيم الجسد الفاعل التي تعشق القوة ولا تعبأ بسلامة الجسد، وللتغلب على ذلك لابد من المختاتلة الثقافية في أنزال قيم الفاعل وإعلاء قيم المنفعل.

وهنا من حقنا التساؤل لماذا أوجد الجسد المذكور المنفعل كل هذه الأنساق الثقافية القيمية لشيطنة المرأة، فهو يدعوها بالغول أو الشيطان أو يؤكد على أنها جسد خبيث خائن يجب قهراً، ويدعوا الى الهيمنة عليه تماماً وتغييبه عن دائرة صنع القيم والأخلاق نهائياً؟

والجواب أن الجسد المنفعل في علاقته مع المؤنث كان يسير وفق ثقافة تملكية لجسد الأنثى، وهذا الأمر واضح سواء أكانت السلطة بيد الجسد الفاعل أم المنفعل، إذ لم تكن العلاقة بين الجنسين مبنية على الثقة المتبادلة بل كانت علاقتهما علاقة السيد بالعبد يُستثنى من ذلك الجسد المؤنث الحر الذي كسر جميع الحواجز الذكورية، ألا أن هذا الجسد المؤنث الفاعل يمثل طبقة أو جزءاً من كِلِّ يعاني من الهيمنة الذكورية، لذا فمتى ما سنحت الفرصة للجسد المؤنث -الذي يُنمي الحقد في داخله حتى يصبح خلاقاً - للانقضاض على قيم المهيمن الذكوري فإنه لا يتوانى عن ذلك هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن حيازة الجسد الفاعل للسلطة أو سعي الجسد المنفعل الى مصادرتها من

الفاعل تنتهي الى حقيقة واحدة هي تحقيق رغبات الجسد والشعور بالامتلاء ولذة الحياة والسعي الى الخلود المعنوي بالقيم.

وهذا الخلود يحتاج الى أن يكرس الجسد جلّ حياته لصناعته، والأنثى هي الوحيدة التي تستطيع أن تهدم هذا المجد والخلود الجسدي إذا ما أقدمت على خيانة المذكر، فهي بالنسبة للجاهلي شرّاً لابد منه، إذ لا يستطيع العيش من دونها من جانب ولا يستطيع عيش الحياة مطمئناً لها من جانب آخر، وهذا الخوف الذي يتجلى في ثنائية الشرف والعار هو ما دفع بالجسد المنفعل الى ترويض الجسد المؤنث بالقيم الأخلاقية لتلافي وقوع ما يحذر منه. لقد أرشدتنا الجينالوجيا الى أن الأنساق المخاتلة للأخلاق المنفصلة أوجدت قيماً تماهي القيم الفاعلة وألبستها أقنعة ثقافية عملت على مصادرة القوة، وبالتالي فإن القوة أصبحت بيد مُشرّع القيم؛ لأنه صاغها لتساوق ورغبته، وبما يَمَكِّنه من قلب موازين القوة لصالحة.

3 - القيم الجسدية الصريحة:

أما بالنسبة للقيم العلنية الظاهرة التي تبناها الجسد المنفعل وأوجدها بشكل صريح ومباشر في منظومة الأخلاق الجاهلية فإن دور الجينالوجيا يتجلى في كشف الإرادة المستفيدة من هذه القيمة ومن ثمّ الحكم عليها من جهة الفاعلية أو الانفعالية، والجينالوجيا فيما تعرضه لنا تؤكد على أن جميع الأساطير أو الرموز العليا القيمة كانت تمثل الجسد المنفعل بشكل صريح، إذ أن مبدأ الجسد الفاعل لا يحتاج الى خلق الحجج والمبررات في فرض قيمه فيشابه المبدأ القائل (القوة لا تحتاج الى سياسة)، أما الجسد المنفعل فهو يحتاج إلى هذه الأساليب لتفريغ ما يحمله في طياته من حقد تجاه القوة السائدة ومن ثمّ مصادرتها، أي اعتماد النفاق القيمي في بلوغ غايات الجسد.

ومن الأساطير التي تبنت قيم الجسد المنفعل بشكل معلىن أسطورة (عُرْقُوب)، وظاهر الأسطورة أنه رجل من يثرب، وقيل من العمالقة واسمه عرقوب بن معبد، عرف بإخلاف الوعد والكذب والبخل، وسمته الأبرز إخلاف الوعد، فقد وعد رجلاً بثمر نخلة كانت له إلا أنه ما هله وماطله ثم صرّمها ولم يفي بوعدده، وقيل أن من وعده كان أخاه⁽³⁰⁾، وهذه الأسطورة كسابقاتها ليست بريئة فهي لم تنسب الرجل بوضوح ولا عرّفت بقبيلته ولا قطعت في أمر المدينة التي كان يقطنها، ولكن رمزيتها الثقافية القيمة واضحة، إذ تؤكد على قيمة الوفاء بالوعد، أن الأقوياء والفاعلين هم وحدهم من يستطيعوا إطلاق الوعود، لانهم قادرون على الإيفاء بالتزاماتهم من حيث القوة والثروة والاعتداد بالذات، فلا توجد قوة تجبرهم على إطلاق الوعود، وأن مصدر الوعد ينطلق من الذات، وإذا كان الأمر كذلك فإن الوعود تشتمل على الإكرام والعطاء والعفو وحماية الضعفاء، باختصار أن الوعود تحقق منفعة ضرورية لحياة العاجزين، وبالتالي فإن تدعيم هذه القيمة يمثل فائدة قصوى للجسد المنفعل، ولكن الجسد المنفعل لا يستطيع أجبار الجسد الفاعل على إطلاق الوعود ولا على إلزامه بها، لذلك فقد اعتمد ثنائية الترغيب والترهيب، إذ أن من يجعل ماله دون عرضه ويلتزم بوعدده يستحق المدح ومن يتخلف عنها نصيبه الدّم، لذلك أوجدت الثقافة المنفصلة مثلاً ورمزاً سلبياً قبيحاً تمثل بعرقوب، فجعلت مطلقي الوعود يترفعون عنه، ويتجنون مجاراته :

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مواعيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيْثَرْبِ (31)

لقد استعمل الشاعر سيف الترهيب، فهجا من تخلف عن وعده الذي قطعه له وجعله قريناً لعرقوب ذلك المثال السيء، فقد جعل الشاعر من إخلاف الوعد خُلُقاً أدمن عليه المهجو، وهذا ما يقعد به عن مجاراة الرجال ويخرجه على منظومة القيم الجاهلية العليا.

ومن النماذج القيمة العليا أسطورة (صُحر) وهي بنت لقمان بن عاد التي قتلها بعد أن قتل نساؤه جميعاً، وكانت طفلة صغيرة إلا أن لقمان برّر قتلها بأنها امرأة مثل باقي النساء اللاتي خُنَّه⁽³²⁾، ورمزية هذه الأسطورة الملحقة بأسطورة لقمان لا تكاد تختلف عن غيرها من الأساطير التي عملت على شيطنة المرأة وجسدت خيانتها وشرعنت قتلها، إلا أن الجسد المنفعل يبني قيمه على أساس المنفعة، فإذا ما اقتضت المصلحة تبرئة ساحة المرأة ومدحها أوجد القيمة الداعية لذلك :

وعباسٌ يُدبُّ لي المَنَايا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ⁽³³⁾

إن الشاعر يجعل من المرأة (صُحر) أيقونة داله على العفة والبراءة وأنها لا تشبه باقي نساء لقمان اللاتي خُنَّه في شرفه، ويجعل من هذه الرمزية العليا طريقاً لسوق المعنى الذي يتبناه لإقناع المتلقي ببراءته وبيان تحامل الآخر عليه من غير سبب، وأن مساواته بالمدنبيين هو مشابهة لمساواة صُحر بنساء لقمان الخائنات، وهنا يتجلى لنا نسبية الحقائق التي تحملها قيم الجسد المنفعل، فمتى ما أراد القيمة أن تصبح طيبة فعل ومتى ما أراد العكس كان له ذلك بوساطة اللّعب على صناعة الأقنعة أو تمزيقها واستبدالها بغيرها، ومردّد هذا التناقض القيمي إلى تناقض مصادر القيم الخارجية التي يعمل الجسد المنفعل تحت تأثيرها .

ومن الأساطير القيمة الصريحة المنفعلة أسطورة (بَيْهَس)، الذي تقدمه ثقافة الجسد المنفعل على أن قوم من أشجع أغاروا عليه وعلى أخوته فقتلوا أخوته الستة وتظاهر هو بالحمق والغباء فتركوا قتله زهداً فيه لكي لا يُحسب عليهم رجلاً وهو ممن لا خير فيه، ولكن بيهس عمل بعد فترة من الزمن على تقصي قتلة أخوته حتى قتل منهم جمعاً كثيراً⁽³⁴⁾، ورمزية هذه الأسطورة تؤكد على أن الغاية تُبرر الوسيلة، وأن التظاهر بالغباء والجبن حققا سلامة الجسد، فضلاً عن تحقيقهما لنشوة النصر:

إِلْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمُهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا⁽³⁵⁾

إذ يؤكد بيهس أن سلامة الجسد هي القيمة الوحيدة التي يجب مراعاتها، وما دونها من القيم تبقى مسألة خاضعة لظروف المنفعة والمصلحة، فإذا احتجت أن تكون جباناً لتنجو فأفعل، وإذا أقتضى الأمر أن تبدو أحمقاً فلا تمانع فعل ذلك، المهم هو تنمية الحقد والقدرة على استغلاله لصالحك بما يحقق لك السلطة والغلبة على الأعداء. إن أسطورة بيهس كشفت لنا عن مدى التعارض القيمي بين الأجساد المنفعلة والفاعلة، فقد كان من لوازم قيمة الفروسية التي انمازها الجسد الفاعل المهيمن، هي الترفع عن الغدر ومخاتلة الأعداء، وأن الفارس ينه أعداءه ويصرح لهم بالعداوة ويدعوهم لملاقاته، أما مع بيهس فإن الجسد المنفعل أخذ يُعلي من شأن المخاتلة والغدر:

وَمَنْ حَذَرَ الْأَيَّامَ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ
نَعَامَةٌ لَمَّا صَرَغَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ⁽³⁶⁾

ويجعل الجسد المنفعل من تصرف بيهس مع قتلة إخوته وادعاءه الحمق مدعاة للفخر بهذا الرجل الفطن الذي أحسن التصرف في مثل هذا الموقف الصعب، وأن الحذر مقدم على الإقدام والشجاعة، إذ يُعيد تعريف قيمة

الشجاعة ويقبله رأساً على عقب، فيجعل الأساس في الشجاعة الحذر وضمان السلامة وتحين الفرص للغدر بالخصم؛ لأن قوة بهس لا تمكنه من الانتصار لذلك عليه اختيار الزمان والمكان المناسبين للانقضاض على أعداءه. وذهب الجسد المنفعل بأسطورة بهس إلى أقصى حد حين جعل من الغدر قيمة طيبة واستبدل البسالة بالغيرة مبرراً ذلك بأن سلامة الجسد تمثل رأس الأولويات المنفصلة :

لُقْمَانُ وَمُنْتَصِرًا وَقِسُّ نَاطِقًا
وَأَنْتَ أَجْرًا صَوْلَةً مِنْ بِيَهْسِ⁽³⁷⁾

لقد جعل الشاعر من بهس في حكمته مساوياً للقمان وقس بن ساعدة، وزاد على ذلك أن جعل بهساً شجاعاً صاحب صولة على أعداءه فجعل من بهس ثيمة عليا، ومن فعلة قيمة طيبة جمعت بين الفطنة والشجاعة، وانتجت لنا هذا الكمال الجسدي الذي يحقق أهدافه مستعملاً شتى الوسائل بعكس ما كان سائداً في ثقافة الجاهليين قبله. ومن الأساطير التي أسست لقيم الجسد المنفعل، أسطورة (سينمَار الرُّومي) التي تتحدث عن رجلٍ بنى لأحد الملوك قصرًا، فلما أستوى البنيان واكتمل خاف الملك إن يبني لغيره مثل ما بنى له فرمى به من أعلى القصر، والملك هو النعمان بن أمراء القيس بن عمرو بن عدي، وقيل هو بهرام جور بن يزيدجر⁽³⁸⁾، والاختلاف في تسمية الملك ليس أمراً غريباً؛ لأن الأسطورة متخيلة لا يمكن إثبات شخصياتها، وما يهم فيها هو إثبات القيم وما تحمله من دلالات ثقافية.

إن أسطورة سينمَار وجدت لتؤكد على أن قوة الأجساد المنفصلة تكمن في اتحادها تحت مسمى القبلية أو الجسد الجمعي، وأن قوة الجسد الجمعي هي القوة البديلة عن قوة الجسد الفاعل، وكذلك هي القوة الوحيدة التي تستطيع مصادرة القوة الفاعلة لصالحها بوساطة ترويض الأقوياء وإقناعهم بأن القيم المنفصلة تمثل أخلاقاً عليا ورموزاً ثقافية طيبة، لذلك فإن ثقة الأفراد المنفعلين العاجزين لا يمكن أن تناط بالأقوياء:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ
جَزَاءُ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ لِي ذَنْبٍ
سَوَى رِصَّةِ الْبُنْيَانِ تَمَّ سَحْوَقُهُ
وَأَضَّ كَمَثَلِ الطَّوْدِ ذِي الْبَادِخِ الصَّعْبِ
وظَنَّ سِنِمَارًا بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ
وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمَوْدَةِ وَالْقُرْبِ
فَقَالَ اقْدِفُوا بِالْعَلْجِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ
فَذَاكَ لِعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطْبِ⁽³⁹⁾

والنص يدفع العاجزين الى الحذر من الأقوياء الذين لا يهابون أحداً، فضلاً عن التأكيد على أن رغبات الفاعلين وغرائزهم هي التي تحركهم ولا يستطيع الأفراد الضعفاء ثنيهم عن ذلك، لذا أصبحت وحدة العاجزين ضرورة وقيمة وجودية تحفظ أرواحهم وأموالهم، فالأقوياء لا يؤمن جانهم مهما قدمت لهم أيها العاجز من خدمات جليلة فلن يُصيبك منهم سوى الظلم والجور والتحقير وسينمَار خير شاهد على ذلك، ولهذا فإن الولاء يجب أن يكون للجسد الجمعي، ومتى ما اجتمع كل الناس تحت هذا الجسد أصبح أقوى وأشجع في مجابهة الأقوياء، وحفظ سلامة الأجساد المنفصلة الخائفة، فالوحدة تضمن عدم استفراد الأقوياء بالضعفاء كلٌّ على حدة، وينتهي هذا الأمر الى صناعة جسد يصادر القوة من أصحابها الحقيقيين .

ومن القيم التي حملتها أسطورة سينمَار هي قيمة احترام الكبير في السن وإجلاله وشكر ما قدمه في أوقات شبابه وقوته لصالح الجماعة أو العرف الذي ينتهي له، وهذه القيمة تلعب على إيقاظ الشعور بالذنب عند الأقوياء

المقصرين بحق العاجزين، وتفعيل الضمير المعذب هو أقصر طريق للجسد المنفعل لتمير قيمه الأخلاقية واحتلال الجسد الفاعل من الداخل، لأن منظومة الجسد الفاعل القيمية مصدرها الذات:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنُ فِعْلٍ كَمَا يُجَزَى سِنِمَارٌ⁽⁴⁰⁾

إذ يصور الشاعر فعل الأبناء بأبيهم من عقوق بفعل الملك مع سينمَار، وإن الأب لم يدخر جهداً في رعاية أبنائه فقد أحسن إليهم وقدّم لهم ما يستطيع غير أنهم ما إن شعروا بتملك القوة وعجز أبيهم عن مواجهتهم فبدأوا بالتعدي عليه وظلموه حقّه عليهم وجهده الذي بذله من أجلهم، وهذه القيمة المؤنبة للضمير تقرّب بأن ما فعله الأبناء هو قيمة خبيثة لا تنتمي إلى منظومة القيم الجاهلية، وتوقظ الشعور بالتقصير والخزي عند من يتبناها، وبذلك تكون قيمة عقوق الوالدين منبوذة؛ لأنها لا تراعي سلامة الجسد الضعيف وتخالف قيمة شكران النعمة التي عرفتها الأجساد المنفصلة على أنها قيمة طيبة. وبذلك تتناقض القيم المنفصلة فيما بينها، ويهدم بعضها بعضاً؛ لأن قيمة شكران النعمة وعدم كفرانها سيقّت تملقاً للأجساد الفاعلة من ملوك وزعماء قبائل وغيرهم بوصفها قيمة نبيلة تتعارض مع قيمة سنمَار في عدم الثقة بالجسد الفاعل والدعوة إلى الجسد الجمعي..

ثم تعود الثقافة ثانيةً لبناء ما هدمته من طيبة قيمة شكران النعمة الصادرة من الأقوياء، وإذا ما رجعنا إلى طبيعة الأخلاق المنفصلة فإننا نجد هذا التناقض الذي تكشفه الجينالوجيا؛ لأن الأخلاق الانفعالية الإرتكاسية قائمة على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، فمتى ما وجدت المنفعة وجدت القيمة المنفصلة وترعرعت وقرّرت بوصفها قيمة أخلاقية عليها تشكل دُعامة رئيسة تقوم عليها منظومة القيم الجاهلية العامة، وبالتالي يصبح التناقض في حد ذاته قانوناً أخلاقياً منفصلاً يسلب الجسد حيويته ونشاطه وحرّيته وابتعد عن كل رغباته ونوازعه وشهواته، ويدعو إلى عيش حياة الكاهن الجينالوجي ذاك الذي يشكل نمطاً أخلاقياً يدعو إلى العدم بدلاً عن الحياة بما يصنعه من قيم نفعية قائمة على التخاذل والجبن والتخلي عن الحقوق وإذلال الجسد .

خاتمة :

تنتهي الدراسة إلى أن العناية بالأساطير المتقدمة على العصر الجاهلي و توليد الأساطير المزامنة لذلك العصر والعمل على ادامة زخمها وتأثيرها الثقافي في الجاهلية هي من صناعة الجسد المنفعل، إذ أخذت ثقافة الجسد الجمعي بتبني الأساطير بوصفها رموزاً ثقافية عليها لإنتاج قيمها والتي منها ما يأتي مساوفاً لرغبة الأجساد الفاعلة ظاهراً ويضمّر الحقد الذي يصبح فيما بعد خلافاً إلى حدّ توليد القيم النفعية، إذ يتماهى الجسد المنفعل مع أخلاق السائد الثقافي الفاعل، ويدعو إلى قيمه ويحضّ عليها، مثل الكرم والشجاعة والعفو وغيرها، وهي على الرغم من كونها قيم جسدية فاعلة إلا أن ذلك لا يتعارض مع مصلحة الجسد المنفعل إذ يحوز الثراء والحماية والنجاة من العقاب مقابل اعترافه بالعبودية للآخر، ومنها ما يأتي متضاداً مع الأخلاق الفاعلة ليؤسس قيماً براغماتية صريحة تُعنى بالولاء للجسد الجمعي على حساب الجسد الفاعل، وتكمن صراحتها في خلق المثال الجسدي الأعلى المنفعل، وبالتالي فإن التحلي بهذه الرموز الثقافية القيمية هو تمسك بالأخلاق المثالية أو (الأخلاق السوبر)، ولكن هذه الأخلاق وجدت لتتماشى وطبيعة الجسد المنفعل ولا تمت بصلة للجسد الفاعل، وهذا ما يقودنا نكتة رئيسة وهي نسبة الحقيقة، إذا تباين الأحكام التقديرية وتتعارض القيم بتباين واختلاف الجهات والأيدولوجيات التي تقف خلف كل قيمة، أي أن معيار

كل قيمة من حيث نبلها أو خستها وطيبتها أو خبثها، خاضع للتأويل الذي تنطلق منه القيم، فتتعدد المعاني بتعدد التأويلات .

• قائمة المصادر والمراجع :

1. الاختيارين، المفضليات والأصمعيات، الأخفش الصغير، تح: فخر الدين قباوة، المطبعة العلمية، دار الفكر بدمشق، دمشق، سوريا، ط1، 1999 م .
2. الأساطير العربية قبل الاسلام (اطروحة دكتوراه)، محمد عبد المعيد خان، الجامعة المصرية، كلية الآداب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937 م .
3. الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، تح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط7، 1993م .
4. الأصنام، أبي منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1995 م .
5. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، ط1، 1346هـ-1928م .
6. أمثال العرب، المفضل الضبي، تقديم وتعليق: د. إحسان عباس، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981م .
7. البراغمية، وليم جيمس، تر: وليد شحادة، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2014 م .
8. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الالوسي البغدادي، شرحه وصححه وضبطه، محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ج3، ط1، 2007 م .
9. تأويل السرد _ قراءة في الخصوصية النقدية لكتابات عبد الفتاح كيليطو (اطروحة دكتوراه)، عبد القادر نويوه، جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2016 م .
10. تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، عبد القادر فيدوح، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2019 م .
11. الثقافة الامبريالية، إدورد سعيد، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2014 م .
12. جمهرة الأمثال، للشهيد الأديب أبي هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج1، ط2، 1988 م .
13. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج1، ط2، 1965 م .
14. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج7، ط3، 1997 م .
15. الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، يوسف الإدريسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005 م .
16. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد حسين ال ياسين، مكتبة الآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية، الإسكندرية، 1950 م .
17. ديوان أوس بن حجر، تح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط3، 1979 م .
18. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988 م .
19. ديوان صلاة بن عمرو (الأفوه الأودي)، تح: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998 م .
20. ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: محمد مهدي ناصر الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002 م .

21. ديوان المتلّيس الضبعي ، شرح وتحقيق، حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، (د . ط) 1970 م .
22. ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق، د. حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م.
23. ديوان النمر بن تولب العكلي، تح : محمد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م .
24. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات، محمود بن عمر الزمخشري، تح : طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ج2 ، (د . ط) 2006 م .
25. سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، تر:هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 1991م
26. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح : د. احسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، التراث العربي ، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ، 1962 م .
27. شعر خُفاف بن نُذبة السُلبي، تح : د . نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، بغداد ، (د . ط) ، 1968 م .
28. الشعر والأسطورة ، موسى زناد سهيل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2008 م .
29. شعريات المتخيل (اقتراب ظاهراتي)، العربي الذهبي، شركة المدارس للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2000م .
30. المخصص، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المُرسى الأندلسي، تح : د. عبد الحميد أحمد يوسف هندواي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د . ط) ، 1971 م .
31. المرأة في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط2، 1963 م .
32. معجم لسان العرب، ابن منظور، تح : عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة ، ط1 ، (د . ط) .
33. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ج5 ، ط2 ، 1993 م .
34. النقد النسقي ، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، يوسف محمود عليمات، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ، 2015 م .
35. المقدس والمدنس، مرسيا إلياد، تر: عبد الهادي عباس المحامي، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م
36. النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، د. نضال الصالح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001 م .

• الهوامش:

- (1) ينظر: النقد النسقي، يوسف محمود عليمات، ط1، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2015م: 14، وتأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، عبدالقادر فيدوح، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2019م: 35.
- (2) ينظر: الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، يوسف الإدريسي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م: 160-161.
- (3) م . ن: 193.
- (4) ينظر: الشعر والأسطورة، موسى زناد سهيل، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م: 153.
- (5) الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، مصدر سابق : 189.
- (6) ينظر: المقدس والمدنس، مرسيا إلياد، تر: عبد الهادي عباس المحامي، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م: 16.
- (7) ينظر: البراغمية، وليم جيمس، تر: وليد شحادة، ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2014م: 182.
- (8) ينظر: شعريات المتخيل (اقتراب ظاهراتي)، العربي الذهبي، ط1، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2000م: 13.
- (9) ينظر: الأساطير العربية قبل الاسلام (اطروحة دكتوراه)، محمد عبد المعيد خان، الجامعة المصرية، كلية الآداب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937 م: 12.

- (10) ينظر: سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، تر: هاشم صالح، ط1، دار الساقى، بيروت، 1991م: 86-89، والنزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، د. نضال الصالح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001م: 16.
- (11) ينظر: الثقافة الإمبريالية، إدوارد سعيد، تر: كمال أبو ديب، ط4، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2014م: 16-17.
- (12) ينظر: تأويل السرد- قراءة في الخصوصية الفنية لكتابات عبدالفتاح كيليطو، (اطروحة دكتوراه)، عبدالقادر نويوه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر، 2016م: 29-30، والأساطير العربية قبل الإسلام، مصدر سابق: 12.
- (13) ينظر: الحيوان: 1/ 22-21، وكتاب الاختيارين: 185-186.
- (14) شرح ديوان لبيد بن ربيعة: 274-275، وينظر: ديوان النابغة الذبياني: 48، و قول الشاعر الربيع بن ضبع الفزاري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تح: فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م: 365.
- (15) ينظر: أمثال العرب، المفضل الضبي، تقديم وتعليق: د. إحسان عباس، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981: 161-162.
- (16) ديوان أوس بن حجر: 33، وينظر: ديوان طرفة بن العبد: 45، الشؤل: من الشائلة وهي الناقة التي مضى على حملها أو وضعها سبعة أشهر، الجرائر: النياق التي جاوزت وقت مضربها بأيام ولم تنتج.
- (17) ينظر: الحيوان: 1/ 22-21، وكتاب الاختيارين: 285.
- (18) ديوان النمر بن تولب: 120.
- (19) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي: 251-252.
- (20) ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: 107.
- (21) ديوان الأفوه الأودي: 64-65.
- (22) ديوان زهير بن أبي سلمى: 107، وينظر: الأصمعيات: 158-159، قول الشاعر علباء بن أرقم.
- (23) ينظر: لسان العرب: 1/ 30، والأساطير العربية قبل الإسلام: 100-101.
- (24) ينظر: الحيوان: 1/ 22-21.
- (25) لسان العرب: 1/ 30، والمخصص، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الأندلسي، تح: د. عبد الحميد أحمد يوسف هندواي، (د. ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م: 7/ 308، والنص للشاعر عامر بن جوين الطائي.
- (26) ينظر: المفصل: 5/ 93-94، وبلوغ الأرب: 3/ 50-52.
- (27) ينظر: الأصنام: 9، 29.
- (28) ينظر: لسان العرب: 49/ 4433، وديوان زهير بن أبي سلمى: 106.
- (29) ديوان زهير بن أبي سلمى: 106، وينظر: ديوان الأعشى الكبير: 117.
- (30) ينظر: جمهرة الأمثال: 1/ 433، كتاب الاختيارين: 49-50.
- (2) الحيوان: 1/ 22، لسان العرب: 32/ 291، والنص للشاعر يزيد بن خثيمة بن عبيد الأشجعي (جُبهاء الأشجعي).
- (32) ينظر: الحيوان: 1/ 22-21.
- (33) شعر خُفاف بن نُدبة السُّلبي، تح: د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، (د. ط)، 1968م: 49.
- (34) ينظر: أمثال العرب: 110-111، وخزانة الأدب: 7/ 296، والنص للشاعر بهيس بن خلف بن هلال الفزاري.
- (35) أمثال العرب: 111.
- (36) ديوان المتلمس الضبي: 221.
- (37) أمثال العرب: 112، والنص للشاعر حريث بن اللّحام التغلبي.
- (38) ينظر: الحيوان: 1/ 23، وجمهرة الأمثال: 1/ 306.
- (39) الحيوان: 1/ 23-24، والأغاني: 2/ 145، والنص للشاعر عبد العزى بن أمراء القيس الكلبي، وينظر: قول الشاعر أبي الطمحان القيني، الأغاني: 2/ 145، أض: صار، بادخ: شامخ وعال.
- (40) الأغاني: 2/ 145، والنص للشاعر سَلِيط بن سَعْد.

معالم القصة القصيرة في الجزائر- النشأة والتطور والمضامين -

Features of the short story in Algeria - Origin, evolution and themes

د. أحسن دواس، Hassen Douas

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة-الجزائر

إيميل الباحث: hassen.douas@gmail.com

الملخص:

يعالج هذا المقال ملامح القصة الجزائرية من خلال رصد تطور الحركة القصصية في الجزائر، والكشف عن بعض خصوصياتها باعتبارها رافدا مهما من روافد الأدب الجزائري الحديث. والوقوف على الجوانب الجمالية والموضوعاتية لهذا الإنتاج الإبداعي، ثم التطرق إلى أهم مراحل تطورها، ابتداء من مرحلة المقال القصصي إلى مرحلة الصورة القصصية، ثم مرحلة القصة الاجتماعية، إلى مرحلة القصة الاجتماعية والقصة السياسية. إضافة إلى رصد بعض مضامين القصة الجزائرية كالمضمون الاجتماعي والمضمون الديني وغيرها من المضامين.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة الجزائرية، المقال القصصي، الصورة القصصية، المضمون الديني، المضمون الاجتماعي،

المضمون السياسي.

Abstract:

This article treats the features of the Algerian short story by checking the development of the movement the short story in Algeria, and revealing some of its peculiarities as an important tributary of modern Algerian literature, and stand on the aesthetic and thematic aspects of this creative production, and then discussing the most important stages of its development, from the story essay stage to the story image stage, then from the social story, to the stage of the social story and the political one. In addition to observing, some of the contents of the Algerian story, such as the social and religious content.

Key words: Algerian short story, story essay, narrative image, religious content, social content, political content

تقديم:

ما من شك أن التراث الفكري والثقافي لأية أمة من الأمم هو ذاكرة هذه الأمة وعنوان هويتها الحضارية، ومعلم رصد تاريخها الأدبي بكل مقوماته وخصائصه وتناقضاته، وهو الدليل الذي لا يخطئ إلى عمق المجتمعات وجوهر مخيلتها الإبداعية؛ يستقي منه الدارسون والمؤرخون الحقائق والعبرو يستجلون من باطنه المعاني والقيم.

وتراث كل أمة هو ركيزتها الحضارية، وهو جذورها الممتدة في باطن التاريخ. ومن أجل هذا تحرص الأمم الناهضة - في تأصيلها لواقعها الجديد- على نبش هذا التراث، واستحياء ما هو صالح للبقاء منه، وما يمكن أن يكون له مغزى ودور فعال في بناء واقعها الجديد.⁽¹⁾ وتعد القصة القصيرة أحد الأجناس الأدبية التي يمكن من خلالها الغوص إلى مخيال الأمة ووجدانها، لذا سأحاول في هذه الورقة رصد بعض ملامح الحركة القصصية في الجزائر، والكشف عن بعض خصوصياتها باعتبارها رافدا مهما من روافد الأدب الجزائري الحديث.

في البدء كانت القصة، وفي البدء كان رجال الإصلاح، هذه الكوكبة من رجالات الجزائر الذين وقفوا بأقلامهم الحرة النابضة بالحرف العربي المخضب بعطر الوطنية والعروبة والإسلام، فراحوا يتصدون لحملات الاستعمار الفرنسي قصد مسخ هوية الجزائري ومسح شخصيته القائمة على الثالوث المقدس؛ الدين واللغة والأرض، الثالوث الذي أشعل فتيله الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس حين أعلنها مدوية على أسماع الفرنسيين: "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا". فكانت أقلام هؤلاء تنافح وتكافح بكل أشكال الكتابة، من المقال إلى الشعر إلى الرواية وإلى القصة القصيرة، ورغم بعض الاختلافات بين الدارسين لفن القصة القصيرة الجزائرية وتاريخها، فلا أحد ينكر أنها ظهرت على أيدي هؤلاء؛ الذين آمنوا بقدسية الكلمة بكل تجلياتها وقدرتها على هز النفوس وتغيير العقول وشحن الهمم، فكانت القصة القصيرة وسيلة أخرى لمقاومة المحتل وفضح ممارساته وكشف مغالطاته. ونظرا لوظيفتها التي تستمد من أهدافها العامة التي كتبت من أجلها وهي إصلاح المنظومة القيمية والأخلاقية والاجتماعية والدينية التي عمل المستعمر الفرنسي على تشويهها ومسح مقوماتها وخصوصياتها العربية الإسلامية منذ احتلاله للأراضي الجزائرية سنة 1830، نظرا لهذه الوظيفة فقد سميت بالقصة الإصلاحية. وكان على رواد الحركة الإصلاحية من أمثال محمد بن العابد الجلاي، ومحمد سعيد الزاهري وعبد الرحمان الديسي الوقوف على تصحيح الكثير من المفاهيم في أوساط المجتمع الجزائري من خلال هذا الفن الأدبي.

وعلى مدار سنوات الحركة الوطنية ثم الثورة التحريرية الكبرى وحتى الاستقلال وبعده عرفت القصة القصيرة تطورا كبيرا، وركب صهوتها فرسان أنتجوا كما قصصيا هائلا من المجاميع القصصية يضاهاي الشعر ويفوق الرواية. ناهيك عن آلاف القصص القصيرة التي نشرت على صفحات الجرائد والمجلات.

وقد أفرد الدكتور محمد قاسمي الفصل الثاني من كتابه عن ببليوغرافيا الأدب المغربي، ووسمه ببليوغرافيا المجموعات القصصية الجزائرية يؤرخ للكتب التي صدرت ابتداء من سنة 1954 وإلى غاية سنة 2003 واختزل العقود الستة للمجموعات القصصية في الرسم الآتي⁽²⁾:

العقود	عدد المجموعات
سنوات الخمسين	01
سنوات الستين	11
سنوات السبعين	13
سنوات الثمانين	79
سنوات التسعين	17
الألفية الثالثة	27
مجموعات غير مؤرخة	12
المجموع	163

والملاحظ من خلال هذا الرسم اعلاه أن عدد المجاميع القصصية الجزائرية والبالغ ثلاث وستين ومائة مجموعة خلال ستة عقود يعد انتاجا مهما يفوق الإنتاج الروائي كما أسلفت والذي بلغ 149 رواية صادرة على مدار العقود نفسها، وهذا بالرغم من الهالة الإعلامية التي تتمتع بها الرواية في الجزائر أو في غيرها من البلدان العربية، وتخلي الكثير من الكتاب عن القصة وتحولهم إلى الرواية.

وقصد الوقوف على الجوانب الجمالية والموضوعاتية لهذا الإنتاج الإبداعي واكبت هذه الحركة الأدبية حركة نقدية حاولت ان تكشف ما استتر في هذه النصوص القصصية وما تتضمنه من خصائص ، فحظيت القصة الجزائرية بالعديد من البحوث الجامعية والكتب الدراسية اتخذت من الفن القصصي الجزائري موضوعا لها وتنوعت في دراسته وتحليله من الدراسات التاريخية الوصفية إلى الدراسات الفنية والشكلية وقبل أن أذكر بعضا من هذه الدراسات أود أشير إلى بعض المؤلفات الرائدة في دراسة القصة القصيرة والتأصيل لتاريخها على مستوى بعض أقطار الوطن العربي، فأذكر على سبيل المثال:

- ♦ محاضرات في القصة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية (1957-1958) « لصاحبه شاكرا مصطفى.
 - ♦ القصة في الأدب العربي الحديث في لبنان حتى الحرب العظمى «، 1952 لمحمد يوسف نجم.
 - ♦ فجر القصة المصرية «، (1966) ليحيى حقي.
 - ♦ القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى عام 1930 (1966) لعباس خضر.
 - ♦ دراسات نقدية في القصة الليبية لفوزي عمر الحداد
 - ♦ القصة في الأدب السوداني الحديث « 1970 محمد زغلول سلام.
 - ♦ إنشائية القصة القصيرة: دراسة في السردية التونسية، 2005 لمحمد القاضي.
 - ♦ اتجاهات القصة الطلائعية في تونس لمحمد صالح بن عمر 2008.
- وغيرها من المؤلفات التي خصت فن القصة القصيرة بالدراسة والنقد أما في الجزائر فقد حظيت القصة القصيرة في الجزائر باهتمام الدارسين والنقاد ومن بين هذه الدراسات أذكر ما يأتي:
- ♦ الأدب الجزائري المعاصر للدكتورة سعاد محمد خضر.
 - ♦ "القصة الجزائرية القصيرة 1928-1962م" الدكتور عبد الله خليفة ركيبي.
 - ♦ "الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير 1830-1962" الدكتورة نور سلمان.
 - ♦ "فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954م" الدكتور عبد الملك مرتاض.
 - ♦ "صورة الجزائري في القصة العربية الجزائرية" 1962-1976. عبد الحفيظ حرزلي.
 - ♦ "الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة في فترة ما بين (1931-1976م). محمد الأخضر طالب.
 - ♦ كتاب القصة الجزائرية القصيرة) لـ "عبد الله خليفة ركيبي"
 - ♦ (القصة العربية الحديثة في الشمال الأفريقي). "عبد الله بن حلي"
 - ♦ (الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر). "أحمد شريط"
 - ♦ (القصة القصيرة العربية الجزائرية في عهد الاستقلال) لـ "محمد مصايف"
 - ♦ (قراءات في القصة الجزائرية لـ "أحمد منور").
 - ♦ مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر لـ "مخلوف عامر"
 - ♦ القصة القصيرة النسوية في الجزائر للدكتور باديس فوغالي.
- وغيرها من الدراسات.

إن فن القصة القصيرة سواء بالجزائر أو غيرها مر بمراحل مختلفة؛ من الازهاصات الأولى ومرحلة التشكل إلى مرحلة النضج والكمال. وإذا كان بعض الدارسين يرجعون بدايات القصة القصيرة الغربية من حيث الحجم لا الشكل الفني إلى القرن الرابع عشر في روما، وبالتحديد إلى قصر الفاتيكان وإحدى حجراته الفسيحة والتي كانوا يسمونها: "مصنع الأكاذيب" والتي كان يتردد عليها بعض سكرتيري البابا وأصدقاءهم قصد اللهو والتسلية وتبادل الأخبار.. هناك كانت تخترع وتقص النوادر الطريفة عن رجال ونساء إيطاليا. (3). فإن الدارسون للقصة الجزائرية يرجعونها إلى بدايات القرن العشرين، فالدكتور عبد الملك مرتاض مثلاً يذهب إلى أن قصة (فرانسوا والرشيد) لسعيد الزاهري (4) هي فاتحة القص الجزائري، ويعدها أول محاولة قصصية واضحة المعالم يعرفها النثر الجزائري الحديث، هذه القصة التي نشرت بجريدة الجزائر سنة 1925 وقد أفصح عن ذلك بقوله بقوله "إن أول محاولة قصصية عرفها النثر الحديث في الجزائر، تلك القصة المثيرة التي نشرت في جريدة الجزائر". (5).

وأشير هنا أنني حاولت بشتى الطرق الحصول على هذه القصة؛ فعدت إلى الكتب وسألت بعض الدارسين المختصين وكلمت بعض الأساتذة ذوي الاختصاص، - ولكن دون جدوى- لم أفلح في العثور على هذه القصة التي حز في نفسي ألا تكون ضمن هذه الانطولوجيا والتي شكلت منعرجاً مهماً في مسار القص الجزائري، والتي أثارت جدلاً واهتماماً بالغين من طرف العديد من المثقفين آنذاك حتى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس من شدة إعجابه بالقصة رصد جائزة لأحسن قصيدة في رثاء الرشيد بطل هذه القصيدة وكتب الشاعر محمد العيد آل خليفة قصيدة في هذا الشأن وعنونها: "رثاء رشيد" 6 يقول فيها:

نعم لك في العلى عمل مجيد * ولكن ما جزاؤك يا رشيد؟

أمت على الصبا أسفاً وحنناً * كذلك ينتج الضغط الشديد

علام "فرانسوا" يعلوك كعباً * وأنت لمثله الكفو الوحيد

ألم تك يا رشيد له شقيقاً * زمان أبوكما العلم المفيد

وكنت بجنبه في الحرب لما * أمض قواكما الجهد الجهد

حياتك كلها مأساة حزن * يشيب لهول منظرها الوليد

أما الدكتورة عايدة أديب بامية فتشير إلى أن أول قصة منشورة هي قصة "دمعة على البؤساء" التي نشرتها جريدة "الشهاب" في عدديها الصادرين يومي 18 و 28 أكتوبر عام 1926⁽⁷⁾.

أما الدكتور عبد الله ركيبي، فإنه ذهب إلى أن بداية القصة ترجع إلى أواخر العقد الثالث من هذا القرن، وأنها ظهرت أولاً في شكل المقال القصصي "الذي هو مزيج" من المقامة والرواية والمقالة الأدبية⁽⁸⁾.

وقد عدّ الدكتور صالح خرفي محمد بن العابد الجلاي رائداً للقصة الجزائرية القصيرة، وأنه أول من كتب القصة العربية في الجزائر⁽⁹⁾، مع أن الجلاي شرع ينشر قصصه في جريدة الشهاب منذ عام 1935م .

والدارس للكتابات والدراسات سالفه الذكر وخاصة منها أعمال كل من الدكتور عبد الملك مرتاض والدكتور عبد الله ركيبي وعبد الله بن حلي يمكن تمييز مراحل خمس شكلت تطور القصة القصيرة في الجزائر¹⁰:

1- مرحلة المقال القصصي: وهي مزيج من المقالة والرواية والمقامة والحكاية مرحلة اتسمت بالوصف ونقل الواقع كما هو شخصياتها ثابتة ونبرتها وعظية إرشادية إصلاحية.

2- مرحلة الصورة القصصية: تميزت هذه المرحلة برسم الحدث بطريقة مسطحة وغياب الإيحاء في السرد وسيطرة الوعظ والاستطراد في ذكر التفاصيل والجزئيات. وعدم تحليل الواقع. وظهرت الصورة القصصية في كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" لمحمد السعيد الزاهري، وأول صورة قصصية ظهرت خلال المرحلة الأولى، هي صورة "عائشة" التي تصدرت مواد ذلك الكتاب.⁽¹¹⁾

3- مرحلة القصة الاجتماعية: وفيها عمد الكتاب على رسم صورة المجتمع الجزائري وتصوير معاناته اليومية الطافحة بمظاهر الفقر والبيؤس والجوع، والمترعة بمشاكل الحياة كالبطالة والرشوة والهجرة وغيرها، وأبرز من يمثلها "أحمد رضا حوحو" والظاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة.

4- مرحلة القصة المكتوبة خارج الوطن: وهي التي كتبها الأدباء الجزائريون المقيمون خارج الوطن. وفي بلدان عربية ساعدتهم وجودهم هناك على الاحتكاك بالأدباء العرب والتأثر بما ترجم إلى العربية.

5- مرحلة القصة الاجتماعية / السياسية منذ الاستقلال: وهي مرحلة النضج الفني للقصة الجزائرية ومن أبرز ممثلها الظاهر وطار، ومرزاق بقطاش، وعبد الحميد بن هدوقة .

وتعد القصة القصيرة من أكثر الأشكال الأدبية تطورا وازدهارا؛ انطلاقا من شكلها التقليدي لدى اليونان ذي الطابع الاسطوري الحافل بالماورائيات والمغامرات الشائقة والغرائب الخارقة، والعامر بالسحر والغيبيات والمبني على حدث بسيط يتسارع وينمو بشكل كرونولوجي مسطح يتكون من بداية ووسط ونهاية، من هذا الشكل في صورته الأولى والذي أدى إلى ظهور النثر القصصي اليوناني ومن بعده الروماني⁽¹²⁾ إلى ما أشكاليها المختلفة المتعددة التي عرفتها عبر العصور، إلى ما أطلق عليه في السنوات الأخيرة بالاشكل الذي يضم كل تلك النزعات الجديدة.

وأعتقد أن هذا التطور الذي ميز القصة القصيرة راجع إلى قدرة هذه الأخيرة على استنطاق الواقع الانساني بكل تناقضاته، وعلى استيعاب قضاياها المختلفة وعلى سبر أغوار تجلياته التاريخية والاجتماعية والنفسية وكشفها.

فالقصة القصيرة استطاعت أن ترسم صورة جلية لسيرورة الفرد والمجتمع، ومساراته السيكلوجية والسوسيوقافية بكل ما تحمله من آمال وأحلام وصراعات وانكسارات.

ولهذا فمضامين القصة القصيرة في الجزائر جاءت لتعكس الواقع الجزائري بمختلف مراحل التاريخية، لأن الأدب عموما وليد البيئة يعكس صورها ويعبر عن مظاهرها، والقصة القصيرة الجزائرية الحديثة شأنها شأن باقي الاجناس الأدبية الأخرى تأثرت بالواقع والمحيط الجزائريين وأثرت فيهما وعكست الكثير من مظاهر الفكر الجزائري، وبلورت الكثير من الأفكار والعادات السائدة في المجتمع على مراحل تطور المجتمع الجزائري.

ومن أبرز المضامين التي عالجتها القصة الجزائرية الحديثة نجد المضمون الوطني والمضمون الاجتماعي والمضمون الوجداني والمضمون الديني والمضمون الإنساني

المضمون الوطني: كانت الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى ولا زالت منهلا لا ينضب ومعينا ألهمت الشعراء والقصاصين والروائيين والفنانين، ثيمة ورمزا وبعدا: الكفاح الوطني وتمجيد وتصوير بطولات الشعب وصموده أمام قوى المحتل الغاشم، ورؤى المستقبل المخضب بالخلاص والانتصار على البؤس والقهر والظلم، وترسيخ قضايا التحرر والاستقلال ومن القصاصين الذين رسموا هذا الاتجاه نجد الطاهر وطار في "الشهداء يعودون هذا الأسبوع"، عبد الحميد بن هدوقة في "الأشعة السبعة" وأحمد منور في "عودة الأم" ومصطفى فاسي "عندما تكون الحرية في خطر" وعثمان سعدي "إجازة بن الثوار" وغيرهم من الكتاب الذين سجلوا مآثر الثورة الجزائرية وما أحرزته من انتصارات وما أفرزته من نتائج.

وتأثير للثورة الجزائرية على مستوى المضمون واضح أشار إليه الكثير من الدارسين؛ أثرت الثورة التحريرية في مضمون القصة، بما لا يقل عن أثرها في الشكل، فقد تقلصت الموضوعات الإصلاحية وخلفتها موضوعات جديدة استلهمت الواقع، فكثرت ووصف صمود الشعب الجزائري أمام قوى المستعمر وتصوير بطولات المناضلين والتعبير عن الحياة الاجتماعية الجديدة.⁽¹³⁾

المضمون الاجتماعي: احتل المضمون الاجتماعي في القصة القصيرة الجزائرية حيزا كبيرا قبل الاستقلال وبعده، فكان الكتاب يسجلون الحياة الاجتماعية الجزائرية بكل جوانبها ويرصدون الواقع المعيش للشعب الجزائري وما يعانيه من الفقر والبؤس والحرمان وما يتكبدونه جراء مشاكل الزواج والسكن والعمل والهجرة والحياة اليومية البائسة البائسة للفرد وكلها تؤول على محور واحد هو محور الفقر كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد المالك مرتاض بقوله: "فما هذه المشاكل الاجتماعية إلا ثمرة من ثمرات الفقر الجاثم"، وتطرقت القصة الجزائرية الحديثة إلى عديد الموضوعات الاجتماعية ومن الكتاب الذين برزوا في رصد المضامين الاجتماعية نجد أحمد رضا حوحو، وعبد الحميد بن هدوقة، ومحمد الصالح الصديق.

المضمون الوجداني: ربما من أكثر المضامين بروزا في القصة المعاصرة على عكس بدايات الكتابة القصصية مع كتاب الحركة الإصلاحية الذين اهتموا الموضوعات العاطفية الذاتية لأن تركيزهم كان على اصلاح المنظومة القيمية والاخلاقية التي قوض المحتل الفرنسي دعائمها. وقد لجأ بعض الأدباء إلى الرمز والإيحاء أو التوقيع بأسماء مستعارة، حينما أرادوا التعبير عن أحاسيسهم العاطفية.⁽¹⁴⁾

وهي قصص تخضبت بوهج الرومانسية الحاملة وتشبعت بصفاء المشاعر لتغرق في بحيرات الذاتية المجنحة إلى عوالم الحب العذري وفضاءات العشق بين الروح والجسد.

وهذه المضامين تبلورت مع رواد القصة في الجزائر وعلى رأسهم الكاتب أحمد رضا حوحو وتتجلى هذه المضامين خاصة في مجموعته صاحبة الوحي وبالتحديد في قصص "صاحبة الوحي"، والقبلة المشؤومة"، و"فتاة أحلامي"، و"جريمة حماة" و"خولة"، وهي قصص تدور حول أحداث عاطفية غاية في الجرأة والمعالجة.

المضمون الإنساني: ويتمثل في تلك القصص التي تزخر بتصوير النماذج الإنسانية لتشكل هاجسا حقيقيا ومحورا واضحا داخل النص القصصي، وحسب الدكتورة عايدة بامية فإن أحمد رضا حوحو أبرز كاتب جزائري أولى اهتماماً متميزاً بالطبيعة البشرية (15)، في عصره، فقد التقط موضوعات من واقع الحياة البشرية بروحه الخفيفة، ودقة ملاحظته وعمق موهبته واتساع ثقافته ومقدرته على تحويل إحساساته الإنسانية إلى أحداث فنية جميلة متنوعة.

الموضوع الديني: وهي تلك القصص التي تعالج بعض القضايا الدينية او تصور رجال الدين وحياتهم وصراعاتهم بين الاستقامة والانحراف. وغيرها من المضامين التي يضيق المقام هنا لحصرها وحصرتفاصيلها.

إن التأريخ للأدب الجزائري شعرا ونثرا ونقدا خطا خطوات عملاقة في السنوات الأخيرة مقارنة بالجذب الرهيب الذي عرفته الحقب الماضية وهذا بازدهار حركة النشر والطبع في الوطن؛ واستطاعت الجزائر في زمن وجيز ان تخرج للنور في ظرف سنوات قصيرة كما إبداعيا وفكريا وثقافيا لا يستهان به. وبرزت أسماء جزائرية استطاعت أن تشرف الثقافة الجزائرية في المحافل العربية والدولية، وكانت القصة القصيرة الجزائرية أحد أهم عناوين الأدب الجزائري المعاصر وواجهته الناصعة.

• قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد منور: قراءات في القصة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر 1981م.
2. اسماعيل عز الدين: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار غريب للطباعة، القاهرة.
3. حسين حسنين: تطور فن كتابة القصة القصيرة من محمد حسين هيكل رائد الرواية العربية الى محمد تيمور رائد القصة القصيرة العربية، ج1، 2007

4. رشاد رشدي: فن القصة القصيرة - دار العودة - بيروت ط2-1975-
5. شريط (أحمد شريط): الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، ص 64، عن: مرتاض (عبد الملك): فنون النثر الأدبي في الجزائر. 1931-1954،
6. صالح خرفي: صفحات من الجزائر-(ط1)- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972
7. طاهر وطار: دخان من قلبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر 1982
8. محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، (ط1)-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- طبعة البعث، قسنطينة 1967-
9. عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982
10. عبد الله خليفة ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب- ليبيا- تونس
11. قاسمي، محمد: بيبليوغرافيا الأدب المغربي المعاصر، منشورات ضفاف، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة ن المغرب، 2005 .
12. مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1998

● الهوامش:

- 1- اسماعيل عز الدين: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار غرب للطباعة، القاهرة، ص 8
- 2 - قاسمي، محمد: بيبليوغرافيا الأدب المغربي المعاصر، منشورات ضفاف، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة ن المغرب، 2005، ص 199.
- 3- رشاد رشدي: فن القصة القصيرة - دار العودة - بيروت ط2-1975-ص7.
- 4- السعيد الزاهري: من مواليد 1899م بليانة (بسكرة) انتقل إلى تونس بعد حفظه القرآن الكريم وتلقيه مبادئ العلوم تتلمذ على يد الإمام عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة، تحصل على شهادة التطوع من جامع الزيتونة، عاد إلى الجزائر وأصدر جريدته الأولى "الجزائر" وكان شعارها الجزائر للجزائريين سنة 1925م فأوقفها السلطات الفرنسية، ثم أصدر جريدته الثانية "البرق" سنة 1927م فصدورت هي الأخرى . مارس نشاطه في جمعية العلماء المسلمين عضوا في مجلسها الإداري ولكنه تخلى عن ذلك عام 1935م انتقل إلى وهران وأسس المدرسة الإصلاحية.أسس جريدته الثالثة "الوفاق" سنة 1938م ثم جريدة "المغرب العربي" عام 1945م .من مؤلفاته: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير (1933م)، حاضر تلمسان، بين النخيل والرمال، حديث خرافة، شؤون وشجون.
- 5 - شريط (أحمد شريط): الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، ص 64، عن: مرتاض (عبد الملك): فنون النثر الأدبي في الجزائر. 1931-1954، ص 163-162.
- 6- محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، (ط1)-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- طبعة البعث، قسنطينة 1967- ص 449 إلى 450.
- 7- محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة ص 64.
- 8- د. عبد الله خليفة ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة- ص4 .
- 9- د. صالح خرفي: صفحات من الجزائر-(ط1)- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972م- ص211 و 212 .
- 10- مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، 1998، ص 52
- 11- عبد الله ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة- ص91 .
- 12 - حسين حسنين: تطور فن كتابة القصة القصيرة من محمد حسين هيكل رائد الرواية العربية الى محمد تيمور رائد القصة القصيرة العربية، ج1، 2007، ص6
- 13- الهادي لعبيدي في تقديمه للمجموعة القصصية "دخان من قلبي"- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر 1982-ص16.
- 14 - أحمد منور: قراءات في القصة الجزائرية- ص29 و 30 .
- 15- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري- ص 325 .

تطبيقات المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية كلغة أجنبية لدى طلاب كلية التربية ولاية كدونا نيجيريا
Practices of Communicative approach on learning Arabic language as a foreign language among the students of Kaduna State Colleges of Education in Nigeria.

محمد الثاني إبراهيم²

علي محمد الثاني¹

Muhammad Sani Ibrahim

Aliyu Muhammad Sani

¹: الجامعة الفيدرالية دوثن ما، كاشنا نيجيريا، كلية التربية قسم أصول التربية

Federal University Dutsin-Ma, Katsina State Nigeria, Faculty of Education, Department of Educational Foundations.

إيميل الباحث¹: alharazimy2010@gmail.com and. amsani@fudutsinma.edu.ng

²: جامعة أحمد بلوزاريا، كلية التربية، قسم الآداب والعلوم الاجتماعية، شعبة اللغة العربية

Ahmadu Bello University, Zaria Nigeria Faculty of Education, Department of Arts and Social Science Education, Arabic Section.

إيميل الباحث²: saniibrahim2009@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على أثر تطبيقات المقاربة التواصلية في تعلم اللغة العربية لدى طلاب كلية التربية ولاية كدونا. وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي، وكان الاختبار هو الأداة التي تم استخدامها، والتي اشتملت على اختبار كفايتين لغويتين رئيسيتين هما: كفاية تحليل الخطاب والكفاية الاستراتيجية للغة. وطُبِّق الاختبار على عينة من طلاب قسم اللغة العربية للكلية، والذين تم اختيارهم بطريقة قصدية، حيث مثل (10) المجموعة التجريبية ومثل (10) طالبا وطالبة المجموعة الضابطة. ثم جُمعت النتائج وحُلِّلت لاختبار صحة الفروض، وتم استخدام أساليب إحصائية عديدة منها: التكرارات المئوية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، واختبار (ت)، توصل البحث إلى نتائج قيِّمة أهمها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب والكفاية الاجتماعية. اشتمل البحث على: المقدمة، مفهوم المقاربة التواصلية ومكوناتها، تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية، تطبيقات المقاربة التواصلية ثم ذكراً أهم النتائج، الكلمات المفتاحية: الكفايات التواصلية، كفاية تحليل الخطاب، الكفاية الاستراتيجية، اللغة العربية كلغة أجنبية، كلية التربية، نيجيريا.

ABSTRACT :

This research entitled "Practices of Communicative Approach on Learning Arabic as a foreign language among the students of Kaduna state Colleges of Education, Nigeria" This study was aimed at finding the Effect of communicative approach on teaching Arabic language among the students of Federal College of Education, Zaria. To achieve this aim, two research questions were answered as well as two research null hypotheses tested at 0.05 confidence level the students were divided into two groups of experimental and control groups. A total of 20 students in control were each assessed of their communicative approaches in discuss competence, and strategic competence. The first 10 were exposed to the treatment while the last 10 were in the control group. The analysis was presented in

sections. Significant differences exist between the students of experimental group and control group in discuss competence. Their computed mean scores in discuss were 14.377 and 8.500 by subjects in Experimental Group and control students respectively. Significant differences exist between the students of experimental group and control group in strategic competence. Their computed mean scores in strategic were 14.288 and 8.800 by subjects in Experimental Group and control students respectively.

Keywords: Communicative competence, Discourse analysis competence, Strategic competence, Arabic as foreign language, college of education

تقديم:

إن المقاربة التواصلية وما نتج عنها من تطبيقات واسعة تتعلق بعناصر منهج تعليم اللغة الأجنبية وطرائق تدريسها، من شأنها أن تساهم في تغيير واقع تدريس اللغة العربية في نيجيريا، هذا مع أن هناك العديد من الكتب المدرسية التي تستورد من البلاد العربية مبنية على الطرائق الحديثة لتعليم اللغة، وتستخدم بشكل واسع في نيجيريا، إلا أن بعض معلمي اللغة العربية غير قادرين على استخدام الوسائل السمعية البصرية المعينة في التدريس، ولا قادرين على تصميم الاختبارات بمختلف أنواعها التي تعين على قياس التواصل الحقيقي؛ هذه الأسباب وغيرها جعلت الباحث يقوم بتناول هذه المقاربة لأنها الأكثر انتشاراً في الوقت الحاضر أملاً منه أن تساهم هذه المقاربة في حل بعض المشاكل التي يعاني منها تعليم اللغة العربية في كليات التربية بنيجيريا، كما يأمل أن تذلل بعض الصعوبات والعقبات في طريق تعلمها، وتقرب البعيد، وتشوق الدارس إليها.

ويعتقد الباحثان أن هناك عدم الاهتمام في أوساط معلمي اللغة العربية بأساليب تدريس اللغات الأجنبية، فأكثر معلمي اللغة العربية بكليات التربية - في رأي الباحث - مُلمّون بالمادة العلمية للغة (من نحو، وصرف، وإملاء، وخط وغيرها) بصورة جيدة، وقد يكون لدى بعضهم حظ كبير في معرفة طرائق التدريس العامة أوحى طرائق تدريس اللغة العربية؛ لكن نسبة قليلة جداً يتخصصون في طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولذلك تجدهم يُدرّسون اللغة العربية للناطقين بغيرها، وكأنهم يدرسون الناطقين بها، وهذا مما يجعل تعليم اللغة العربية عملاً شاقاً للمتعلم، بحيث يصعب عليه إتقانها بالسرعة المطلوبة.

وقد عاش أحد الباحثين هذا الوضع - بصفته مُحاضراً في هذه الكلية - ولاحظ عجز الدارسين في القدرة على التواصل، فأكثرهم لا يستطيعون التواصل بالعربية على الوجه المناسب، مع أن لديهم كمية هائلة من المفردات والتراكيب تُثقل الكاهل، ولكنهم لا يستطيعون توظيفها، كما تجد كثيراً من الطلبة يحفظون قواميس اللغة وامتونها دون أن يعرفوا مواطن استعمال الكلمات، ويدرّسون النحو بشكل معمم، لكنه من الصعب جداً أن يصوغوا جملة واحدة صحيحة، وهناك اعتقاد بأن المشكلة تعود إلى البيئة التي يعيشها الطلاب، والمنهج المتبع في تدريس اللغة العربية، وطرائق التدريس، وتأهيل المعلمين أنفسهم، فكثير من معلمي اللغة العربية لم يتدربوا على مهنة التدريس، وبالتالي لم يتم إعدادهم على أسس المقاربات اللغوية الحديثة التي تعنى بقضايا تدريس اللغات الأجنبية.

لذا يستهدف الباحثان كليات التربية Colleges of Education، بوصفها مجتمعا للبحث، وكونها المسؤولة عن تأهيل معلمي المرحلة الأساسية Basic Education؛ وهي المرحلة الأكثر حساسية، ومنها يجب أن ينطلق التغيير؛ ذلك لأن أي تغيير تربوي تعليمي يجب أن يبدأ من الجذور (مرحلة الأساس)، إذ إنه من الصعب أن تكون مخرجات التعليم ذات كفاءة إذا لم يتم إعداد المعلمين بشكل جيد وعلى أسس جيدة، لذا فإن طلاب كليات التربية NCE Students، من أقسام اللغة العربية يجب إعدادهم وتأهيلهم أكاديميا ومهنيا.

1- مشكلة البحث: وتتمثل في سؤال عريض واضح وهو:

ما مدى إمكانية استثمار تطبيقات المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية لدى طلاب كلية التربية ولاية كدونا؟

2- أهداف البحث:

1. الوقوف على أثر تطبيقات المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية لدى طلاب كلية التربية الفدرالية زاريا.

2. الكشف عن الصعوبات والعقبات التي تواجه الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية عن طريق استخدام المقاربة التواصلية، والذين يدرسونها عن طريق استخدام الطريقة التقليدية في كلية التربية الفدرالية زاريا.

3- أسئلة البحث

1. هل يوجد فرق بين طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في كفاية تحليل الخطاب ؟

2. هل يوجد فرق بين طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في الكفاية الاستراتيجية ؟

4- فروض البحث:

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب.

2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاستراتيجية.

5- أهمية البحث:

يُتوقع من هذا البحث أن يفتح آفاقا جديدة للتربويين في نيجيريا لوضع نموذج تدريسي لمعلمي اللغة العربية في المدارس وفقا للاتجاهات اللغوية الحديثة، كما أنه سيشرح مصممي مناهج تعليم اللغة العربية على وضع مقررات وكتب مدرسية تلي حاجات دارسي اللغة العربية في نيجيريا وفقا للاتجاهات الحديثة.

6- منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التجريبي، حيث اختار عينة الدراسة من المجموعتين الضابطة والتجريبية، وكان اختيارهما بطريقة قصدية؛ لذا فإن المنهج المستخدم في هذا البحث هو منهج البحث التجريبي؛ حيث تم تعريف

المجموعة التجريبية للمتغير المستقل بينما المجموعة الضابطة تلقت دروسها بالطريقة التقليدية لتدريس اللغة العربية.

7- مجتمع البحث وعينته:

تكونت عينة البحث من (20) طالبا من طلبة قسم اللغة العربية بكلية التربية ولاية كدونا غدن ويا كفانثن، حيث تم اختيار (10) طالبا ليمثلوا المجموعة التجريبية، و (10) طالبا ليمثلوا المجموعة الضابطة.

8- الدراسات السابقة:

مرتضى، محمود معاذ (2007م)¹ "اللسانيات التطبيقية وتعليم وتعلم العربية بجمهورية غانا" وهو عبارة عن بحث تكميلي لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا المعمقة بجامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، وحدة التكوين والبحث في اللسانيات التطبيقية وتكنولوجيا المعلومات والتواصل. سعى البحث إلى إيجاد برامج منظمة وموحدة للتعلم والتعليم العربي بجمهورية غانا في خطوة هدفها تعزيز الجهود الهادفة إلى دعم عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وإثراء ثقافة الانفتاح على الثقافة الإسلامية والعربية.

دراسة خواجه بن عمر فقيه (2009م)² "مستوى تطبيق إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية" مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم التربية، بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية. دولة الجزائر. وهدفت الدراسة إلى وصف واكتشاف الواقع الفعلي لتدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية كمقاربة حديثة في المدرسة الجزائرية. وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية تعزى إلى الأقدمية.

دراسة عز الدين البوشيخي (2009م)³ "المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها" وهي دراسة نظرية تناولت اللغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها تعليما ناجحا يقتضي الانطلاق من تصور علمي واضح لعملية التعليم، هذا التصور الذي تتبناه الدراسة يربط بين التعليم والتعلم والاكْتساب، مفترضة أن نظرية اكتساب اللغة هي أساس نظرية تعلم اللغات الأجنبية. وبينت الدراسة أن المقاربة التواصلية أجدى في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. خلصت الدراسة إلى أن المقاربة التواصلية هي الأنسب في هذا النوع من تعليم اللغات الأجنبية؛ لأنها تضع المتعلم في محيط لغوي شبيه بالمحيط اللغوي الذي يناسب مجال عمله.

دراسة حياة طكوك (2010)⁴ "نشاط القراءة في الطور الأول مقارنة تواصلية" مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة فرحات عباس، سطيف الجزائر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها. هدفت الدراسة إلى التعرف على آليات إعداد المعلمين لغويا في الطور الأول، والتعرف على الأسباب التي أدت إلى قصور الطرق المتبعة في تحقيق النتائج المرجوة من تعلم اللغة. وتوصلت الدراسة إلى أن نشاط القراءة أساس تعلم اللغة

في المدرسة، وقد تم الاهتمام به اهتماما كبيرا، ولكن لم تطور طرق تدريسه، والوسائل المساعدة على دعمه وتشجيع الطفل على المطالعة والتدرب على القراءة الخارجية.

دراسة سعاد خلوي 2010م،⁵ "المقاربة التواصلية واكتساب مهارة التعبير الشفهي لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي". رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة فرحات عباس سطيف (الجزائر) كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم اللغة العربية وأدبها. لقد توصلت الدراسة إلى أن المقاربة التواصلية تعنى تعليم وتعلم اللغة تفاعليا وتحاوريا فتعلم اللغة معناه تزويد المتعلم بالفرص التي يستطيع من خلالها استخدام اللغة لأغراض تواصلية.

9- المقاربة التواصلية

9-1- مفهوم المقاربة التواصلية

يذهب ديل هايمز Dell Hymes إلى أن المقصود بالمقاربة التواصلية هي "القدرة على نقل رسالة أو توصيل معنى معين، والجمع بكفاءة بين معرفة القواعد اللغوية وبين القواعد الاجتماعية في عملية التفاعل بين الأفراد"⁶.

وينقل سترين عن هايمز Dell Hymes تصوره للكفاية التواصلية قائلا: إن المقاربة التواصلية تعني أن يمتلك الناطق باللغة الحدس، أو البديهة التي تمكنه عند الكلام من استخدام اللغة، وتفسيرها بشكل مناسب في أثناء عملية التفاعل، وفي ضوء السياق الاجتماعي. إن الكفاية تعني أن الفرد يعرف بدقة متى يتكلم When، ومتى لا يتكلم When not، وماذا يتكلم حوله what، ومع من يتكلم With whom، وأين يتكلم Where، وبأي طريقة يكون أسلوب الحديث⁷ Manner.

ويرى كريستال في دائرة المعارف اللغوية أن المقاربة التواصلية تعني وعي الفرد للقواعد الحاكمة للاستعمال المناسب في موقف اجتماعي. بينما يرى روبين Robin، أن مصطلح المقاربة التواصلية على مستوى الجامعة يشير إلى قدرة الطالب، وكذلك المعلم على بث واستقبال رسالة مناسبة للموقف والظروف المحيطة وفعالية في تحقيق الهدف المنشود.⁸

9-2- سمات وخصائص المقاربة التواصلية:

إن للمقاربة التواصلية سمات كما لخصها ساندراسافانجون

- 1- إن المقاربة التواصلية مفهوم متحرك Dynamic وليس ساكنا Static، إنه يعتمد على مدى قدرة الفرد على تبادل المعنى مع فرد آخر أو أكثر. إنها إذن علاقة شخصية بين طرفين Interpersonal أكثر من أن تكون اتصالا ذاتيا Intrapersonal أي حوار بين الفرد ونفسه.
- 2- إن المقاربة التواصلية تنطبق على كل من اللغة المنطوقة والمكتوبة، وكذلك نظم الرموز المختلفة.
- 3- إن المقاربة التواصلية يأخذ مكانه بالسياق، أو يمكن أن يحدث في مواقف لا حد لها، إنها تتطلب القدرة على الاختيار المناسب للغة والأسلوب في ضوء مواقف الاتصال والأطراف المشتركة.

4- إن هناك فرقا بين الكفاية والأداء. الكفاية تعني القدرة المفترض وجودها والكامنة وراء الأداء، بينما يعتبر الأداء التوضيح الظاهر أو المكشوف Overt Manifestation لهذه القدرة. إن الكفاية هي ما تعرف، أما الأداء فهو ما تفعل، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن ملاحظته، وفي ضوءه تتحدد الكفاية وتنميتها وتقويمها.

3-9- مكونات المقاربة التوافقية:

إن المقاربة التوافقية نسبية وليست مطلقة، من هنا يمكن التحدث عن درجات للكفاية التوافقية، وليس عن درجة واحدة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هنا هو: هل المقاربة التوافقية كل لا يتجزأ إلى أجزاء، أو أنه مفهوم عام تندرج تحته كفايات أخرى؟ فيجيب (كانال وسوين 1988 Canale & Swain ص: 1)، مبيين أربعة أنواع من مكونات الكفايات التوافقية هي:

1. الكفاية النحوية Grammatical Competence، وتشير إلى ما يقصده تشومسكي من الكفاية

اللغوية، أي معرفة نظام اللغة، والقدرة الكافية على استخدامها.

2. الكفاية اللغوية الاجتماعية Sociolinguistics Competence، وتشير إلى قدرة الفرد على فهم

السياق الاجتماعي الذي يتم من خلاله الاتصال، بما في ذلك العلاقات التي تربط بين الأدوار الاجتماعية المختلفة، والقدرة على تبادل المعلومات، والمشاركة الاجتماعية بين الفرد والآخرين.

3. كفاية تحليل الخطاب Discourse Competence، وتشير إلى قدرة الفرد على تحليل أشكال

الحديث، والتخاطب من خلال فهم بنية الكلام، وإدراك العلاقة بين عناصره وطرق التعبير عن المعنى، وعلاقة هذا بالنص ككل.

4. الكفاية الاستراتيجية Strategic Competence، وتشير إلى قدرة الفرد على اختيار الأساليب

والاستراتيجيات المناسبة للبدء بالحديث أو لختامه، والاحتفاظ بانتباه الآخرين له، وتحويل مسار الحديث، وغير ذلك من استراتيجيات مهمة لإتمام عملية الاتصال.⁹

"وتتجلى أهمية الملكة التوافقية بمكوناتها لتعليم اللغات، في أن المتكلم بحاجة إلى القدرة النحوية كي يكون قادرا على فهم واستعمال الأبنية النحوية وبالتالي الطلاقة اللغوية، كما يحتاج إلى امتلاك القدرة الاجتماعية كي يتمكن من فهم واستعمال

اللغة في سياقها الصحيح، بينما تمكن القدرة الخطابية متعلم اللغة الأجنبية من فهم ما يمكن تسميته بـ"ما

فوق الجمل"

بحيث يكون قادرا على التنبؤ بما سيقوله المتكلم وفهم ما يسمع بسهولة أكبر، ومعرفة كيفية فتح وإنهاء

الحوار بشكل

جيد... أما القدرة الاستراتيجية فتقدر متعلم اللغة الأجنبية على تنمية عناصر القدرة التوافقية والاستمرار

في التواصل

باللغة الجديدة بشكل جيد بحيث يمكنه الاستعانة بالإشارات.. إذا تعذر استعمال اللغة¹⁰ المقاربة التواصلية -إذن- ليست مجرد القدرة على استيعاب نظام اللغة، أو حتى استخدامه بشكل مطلق، بل إنها عملية فردية واجتماعية معا، فردية حين تتعلق بالأساليب الخاصة للفرد لمواجهة المواقف، واجتماعية حين تتعلق بالسياق الذي يتم فيه التواصل.

10- تعليم اللغة الأجنبية

10-1- مفهوم تعلم اللغة الأجنبية

يعرف الناقاة وطعيمة تعلم اللغة الأجنبية بأنه هو " أن يكون الفرد قادرا على استخدام لغة غير لغته الأولى التي تعلمها في صغره أو كما يطلق عليها لغة الأم، اي قادرا على فهم رموزها عندما يستمع إليها وتمكننا من ممارستها قراءة وكتابة"¹¹.

ويعرفها بوقرية فيقول "تعلم اللغات الأجنبية شكل من أشكال التعليم، يخضع إلى النظريات السلوكية والنظريات المعرفية يخضع كذلك إلى جوانب كثيرة من الطرائق الخاصة بتعليم اللغة الأصلية"¹².

وأما كويكر (1961م) Quirk فيقول بأنها "اللغة التي يتعلمها الفرد تلبية لمتطلبات مرحلة تعليمية يجتازها، أو درجة علمية ينشدها، أو تلبية لغرض وظيفي، أو إشباعا لحاجة ما، وتعلم هذه اللغة غالبا ما يحدث في مجتمع غير مجتمع متحدثها".

إن تعلم اللغة يتم على مستويين: أولهما استقبال هذه اللغة، وثانيتها توظيف هذه اللغة. وبعبارة أخرى إن المتعلم الجيد للغة العربية كلغة أجنبية هو ذلك الذي يصل بعد جهد يبذله في تعلم هذه اللغة إلى المستوى الذي يمكنه من:

أ. أن يألف الأصوات العربية والتمييز بينها، وفهم دلالتها، والاحتفاظ بها حية في ذاكرته، ويتطلب الوصول إلى هذا المستوى أن يكون الدارس قادرا على تعرف التمييز الصوتي.

ب. فهم العناصر المختلفة لبنية اللغة العربية وتراكيبها، والعلاقات التي تحكم الاستخدامات المختلفة لقواعد اللغة، ويتطلب الوصول إلى هذا المستوى أن يكون الدارس قادرا على فهم الوظائف المختلفة للتراكيب اللغوية وإدراك العلاقة بينها.

ج. يجب استقراء القواعد العامة التي تحكم التعبير اللغوي، والتمييز بين الدلالات المختلفة للكلمة الواحدة، والمعنى المتقارب للكلمات المختلفة، لأن لاستخدام الكلمات أسسا وقواعد، فضلا عن تعدد مستويات هذا الاستخدام وتباينه من كاتب لكاتب ومن مؤلف لآخر، ومتعلم اللغة العربية الجيد هو الذي يستطيع استقراء هذه الأسس والقواعد، والتعرف على الفرق بين المستويات المختلفة للاستخدام اللغوي.

د. أن يألف الاستخدام الصحيح للغة في سياقها الثقافي، أي أن يدرك الدلالات الصحيحة للكلمة العربية في ثقافتها، وأن يستخدمها استخداما واعيا بالشكل الذي يستخدمها الناطق بها.¹³ إن تعلم العربية كلغة أجنبية لا يعني مجرد حفظ المفردات في شكل قاموس واستظهار مجموعة من قواعد اللغة ومتونها.

وإن الإطار الثقافي للغة العربية ينبغي أن يعي الدارس أبعاده، ويتطلب الوصول إلى هذا المستوى أن يكون الدارس ذا قدرة على إدراك العلاقة بين التعبير اللغوي ومحتواه الثقافي.

وكما ذكر الباحثان سابقا أن تعلم اللغة الأجنبية لا يعني أن تكون لدى الدارس حصيلة هائلة من المفردات فقط أو وعي كبير بتراكيبها فحسب، وإنما يعني القدرة على استخدام هذا كله استخداما إيجابيا في مواقف الحياة التي يتعرض لها الدارس في لقائه مع متحدثي اللغة العربية أو في اتصاله بثقافتهم، وهذا لن يكون إلا إذا أدرك المعلمون بأنه لا يمكن -في مثل هذه الكليات- تعليم مهارتي الاستماع والتحدث داخل جدران الفصل، بل يكون "بخلق بيئة اصطناعية لممارسة هذه اللغة مع التلاميذ، يتمكنون من اكتساب أكبر ما يمكن من الطلاقة فيها استماعا وتحدثا".

14

10-2- الفرق بين تعلم اللغة العربية كلغة ثانية وكلغة أجنبية

هناك من يخلطون بين مفهوم تعلم اللغة العربية كلغة ثانية وكلغة أجنبية ولا يستطيعون التمييز بينهما مع أن هناك فرقا واضحا بين المفهومين، ويلزم الباحث هنا قبل الحديث عن الفرق بين تعليم العربية كلغة أجنبية وتعلمها أن يؤكد حقيقتين مهمتين؛ الأولى أن هناك عوامل متعددة ومتغيرات مختلفة تلعب دورا في تعليم العربية سواء أكانت لغة أجنبية أو لغة ثانية. منها أهداف تعليمها، ومنها الوسط الثقافي، ومنها بعض المتغيرات الشخصية كالاتجاهات والدوافع وغير ذلك من أمور تجعل التفرقة الدقيقة بين اللغتين أمرا غير يسير. والثانية أن لكل بلد من البلاد التي تدرس العربية فيها كلغة أجنبية ظروفها تاريخية ولغوية وسياسية وثقافية خاصة تفرض نفسها على تعليم اللغة العربية سواء من حيث الدوافع والأهداف؛ فتعليم اللغة العربية في نيجيريا يختلف عن تعليمها في بلد كتونس بعد استقلالها، ويختلف تعليمها في هذين البلدين عن تعليمها في بلد كالسعودية، ويختلف تعليمها في هذه البلاد كلها عن تعليمها في بلد كالولايات المتحدة الأمريكية.

هذه الأسباب هي التي أدت إلى الخلط في التفرقة بين هذين المفهومين، ومع ذلك سيعرض الباحث ما توصل إليه الناقدة وطعيمة في التفرقة بين المفهومين:

1. يرى البعض أن الفيصل في التفرقة بين اللغتين الأجنبية والثانية هو طبيعة المجتمع الذي تدرس فيه اللغة، فالفرنسية مثلا في منطقة الفلمنك في بلجيكا تعتبر لغة ثانية بينما تعتبر الفرنسية في إنجلترا لغة أجنبية.

الفرق بين الأمرين يكمن في حقيقة مؤداها أنه في مجتمع ثنائي اللغة يتحدث أهله لغتين في آن واحد (مثل معظم البلدان الإسلامية وكندا ومنطقة الفلمنك في بلجيكا وميامي في الولايات المتحدة الأمريكية) تعتبر اللغة المستهدفة لغة ثانية.

2. يرى فريق آخر أنه وإن كانت طبيعة المجتمع الذي تدرس فيه اللغة عاملا حاسما لتحديد الفرق بين اللغتين الأجنبية والثانية. إلا أن العبرة بوظيفة اللغة في هذا المجتمع.

وعندما تكون اللغة هي المشتركة بين عدة لغات أو لهجات محلية تصبح لغة ثانية. إن اللغة هنا هي العنصر الموحد لأفراد شعب تتعدد لغات أفراده وتباين لهجاتهم، ومن ثم تصبح هذه اللغة الموحدة أساسا للحياة اليومية والوظيفية والمعاملات الرسمية في البلاد التي تعلم فيها، ويصدق هذا على الإنجليزية في نيجيريا وغانا والهند والفلبين وغيرها إذ تستخدم لغة للتعليم والتخاطب الرسميين والعمل الوظيفي العام، إن اللغة وفق هذا التصور تعتبر لغة ثانية طالما استخدمت لأغراض وطنية في المجتمع.

3. ويرى فريق آخر من الباحثين أن العبرة بالوسائل الثقافية الذي يتعلم فيه الإنسان اللغة المستهدفة فالعربية بالنسبة للأجنبي الذي يتعلمها في مصر تعتبر ثانية، في حين تعتبر لغة أجنبية له إذا كان درسها في بلده، في المسألة الأولى يعيش هذا الأجنبي في البيئة التي تتعامل مع هذه اللغة أنه مجتمع يتحدث أفرادها العربية، ويمارس معهم ثقافتها أو بعضها من أنماطها، بينما نجد الأجنبي في المسألة الثانية يتعلم العربية في بيئة غير بيئتها، وفي مجتمع غير مجتمعا، ووسط ثقافة غير ثقافتها، يتعلمها لغرض تعليمي أو تحت ضغط وظيفي، فالعربية في مثل هذا المجتمع تعتبر لغة أجنبية في رأي هذا الفريق.

4. وأخيرا نجد فريقا من الباحثين يستخدم الاصطلاحين بالتبادل، أي يستخدم اصطلاحي اللغة واللغة الأجنبية بمعنى واحد. تويم (1978م) Toimah. R فالعربية تعتبر لغة ثانية بالنسبة لكل فرد يتعلمها إضافة إلى لغته الأولى التي تلقاها عن أمه بصرف النظر عن المجتمع الذي يتعلم هذه اللغة، لا فرق إذن في رأي هذا الفريق بين العربية كلغة ثانية أو كلغة أجنبية بالنسبة إلى أجنبي سواء تعلمه في مصر أو في بلده.¹⁵

وهنا يميل الباحث إلى أن اللغة الثانية هي أية لغة يضيفها الفرد إلى لغة أمه ويستخدمها في التعليم والتخاطب الرسمي والعمل الوظيفي، وهذا ينطبق على اللغة الإنجليزية في نيجيريا. واللغة الأجنبية هي اللغة التي يضيفها الفرد بدافع تعليمي، أو ضغط وظيفي كاللغة العربية والفرنسية في نيجيريا، فهما تدرسان لغرض تعليمي أو مطلب وظيفي في أغلب الحالات.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما قاله معالي وزير الدولة في وزارة التربية والتعليم أ.د أنتوني أنوكا Anthony Anwukah أثناء استقباله سفير دولة فرنسا دينس غي با Denys Gaverly بتاريخ 31 يناير 2016م "يعتبر تعليم اللغة الفرنسية أمر ضروري، ويجب علينا أن نعلم أبناءنا لأننا مُحاطون كمبرون، تشاد، جمهورية بنين، توغو، غينيا، وساحل العاج، لذا يجب أن يكون هناك مزيدا من النيجيريين الذين يُتقنون اللغة الفرنسية. ذكر معالي وزير الدولة أن نيجيريا تتحرك بقوة لتفتح 104 صيدلية فرنسية في جميع المؤسسات العلمية للدولة، وأضاف أن نيجيريا تسعى إلى أن تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الثانية للدولة بعد اللغة العربية" وهذا يعتبر حدثا تاريخيا ليس فريدا في نوعه، فقد بادر

الرئيس الراحل الجنرال ثاني أبانثا SaniAbacha بنفس التحرك، حيث أعلن اللغة الفرنسية لغة رسمية ثانية للدولة في شهر ديسمبر 1996م، وذلك عقب زيارة الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك Jacques Chirac لنيجيريا تعهد من خلالها بدعم نيجيريا على جميع المستويات.¹⁶

10-3- أسس تعليم اللغة الثانية

عند تعليم اللغة الثانية يجب أن تتم مراعاة بعض الأسس التي من شأنها أن تجعل عملية التعليم هادفا ومثمرا وهي كالآتي:

1. تحديد أهداف تعليم اللغة بوضوح، وجعلها أهدافا معروفة للمتعلمين، واتفق برنامج تدريس اللغة الثانية مع في المؤسسة التعليمية مع أهداف متعلميها، وتحديد المهارات اللغوية المتفوقة مع هذه الأهداف، وإعداد المواد التعليمية التي تساعد على تحقيقها.
2. مراعاة خصائص متعلمي اللغة الثانية، مثل أعمارهم ومستوياتهم التعليمية والعقلية والجوانب التربوية النفسية المختلفة لهم.
3. دراسة خصائص المجتمع والبيئات الاجتماعية والثقافية، والظروف البيئية التي تعيش فيها متعلمو اللغة الثانية، ومراعاة مدى مساعدة هذه الظروف على تعلم هذه اللغة.
4. مراعاة ترتيب المهارات اللغوية في مرحلة الإعداد اللغوي واختيارها حسب أهداف متعلمي اللغة الثانية، وأهداف المؤسسة التعليمية، ومراعاة أن تكون هذه المهارات مرتبطة بحاجات المتعلمين، مستجيبة لدوافعهم إلى تعلم اللغة الثانية، محققة لأهدافهم.
5. الاستفادة من الخلفية اللغوية لمتعلمي اللغة الثانية، أي المعلومات اللغوية التي تكونت لديهم قبل تعلم اللغة الثانية من لغتهم الأم، أو من لغات أخرى سبق أن تعلموها، ويستفاد من هذه الخلفية في التخطيط لعلاج المشكلات التي قد تصادفهم في تعلم اللغة، والتغلب على الصعوبات اللغوية والثقافية التي تواجههم أثناء تعلمها، أو في توظيف استعداداتهم اللغوية في تحسين مستواهم في اللغة المتعلمة.
6. أن طرق تدريس اللغات الثانية تختلف وفقا لاختلاف طبيعة المحتوى التعليمي، وأهداف الأنشطة الصفية وغير الصفية التي يحددها المدرس، وتفاوت أعمار المتعلمين وتنوع بيئاتهم.
7. أن يستشعر معلم اللغة الثانية أهمية مهنته، وعظمة مهمته في مساعدة المتعلمين على إتقان هذه اللغة وفق أهداف البرنامج التعليمي، وأن يكون هذا المعلم على وعي بأهمية تعاونه مع غيره من المعلمين.
8. الاهتمام باستراتيجيات تعليم اللغة الثانية، مع الاهتمام باستراتيجيات تعلمها لدى الدارسين، وتوجيه هذين النوعين من الإستراتيجيات نحو تحقيق الأهداف المحددة لتعليم اللغة الثانية وتعلمها.
9. الاستفادة من نتائج الأبحاث في علم النفس والتربية والدراسات اللغوية التطبيقية في تجويد عملية تعليم اللغة الثانية وتعلمها، وأن يستفاد من آراء الخبراء في مجال تعليم اللغات الثانية وتجاربهم في حل المشكلات التي تواجه هذه العملية.

10. العناية بالمحتوى التعليمي لبرنامج تعليم اللغة الثانية وتعلمها، والحرص على تحقيق التناسب بين المناهج والمواد التعليمية والوسائل، والطرق والمداخل التي تستخدم في التدريس، والأهداف التعليمية، ومستويات المتعلمين.¹⁷

11- تطبيقات المقاربة التواصلية

للمعلم والمتعلم أدوار ووظائف بالغة الأهمية في المقاربة التواصلية، وكذلك المواد التعليمية لها نفس الأهمية. "إن الهدف من تعليم وتعلم اللغة الثانية والأجنبية هو اكتساب الملكة التواصلية وإن تحقيق ذلك الهدف إنما يتم بواسطة البرنامج. ولعل أهم مظاهر هذه التطبيقات تتمثل في شيئين هما: البرنامج ودور كل من المعلم والمتعلم"¹⁸ والمواد التعليمية كالاتي:

وظائف المعلم: للمعلم وظائف مهمة في تعليم اللغة وفقا لهذه المقاربة؛ حيث يبحث عن حاجات المتعلمين إلى الاتصال باللغة الهدف، ثم يحولها إلى مواقف اتصالية تلبي هذه الحاجات، ثم يبرئ الجو المناسب لممارستها داخل حجرة الدرس، وعندما يبدأ الدرس يقسم الطلاب إلى مجموعات، ويوزع الأنشطة بينهم، ثم يقوم بدور الموجه والمرشد ويجب عن أسئلتهم واستفساراتهم، ويشاركهم مشاركة حقيقية.

كما يوجه المعلم طلابه إلى القنوات التواصلية المفيدة والمتاحة لهم في بيئتهم، كالإذاعة والتلفاز والرسائل الهاتفية المسجلة والاستفسار عن الطريق، ويرشدهم إلى استخدامها استخداما سليما يتفق مع ثقافة اللغة الهدف.

وظائف المتعلم: للمتعلم وظائف مهمة لا تقل عن أهمية وظائف المعلم، لأن المتعلم هو محور العملية التعليمية وفقا لهذه المقاربة. فالمواقف الاتصالية التي يختارها المعلم ويعد موادها ينبغي أن تكون نابعة من حاجات المتعلم ومحقة لأهدافه الاتصالية. كما أن المتعلم يشارك في الحوارات الاتصالية داخل حجرة الدرس، ويمارسها في البيئة.

وظائف المواد التعليمية: وظائف المواد التعليمية وفقا لهذه المقاربة ثنوية ومحدودة؛ فمن الأفضل ألا تفرض مفرداتها على المتعلم، وأن تكون مساعدة ومكملة لعملية الاتصال، لا موجهة لها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن محتوى المواد اللغوية فيه وفقا لهذه المقاربة غالبا ما تكون موادا تعليمية حقيقية Authentic Materials، غير مصنوعة، ويمكن أن تقدم من خلال الصورة القصصية، والألعاب اللغوية، وتبادل الأدوار والتمثيل.¹⁹

11-1- بعض النماذج التطبيقية للمقاربة التواصلية

اتضح فيما سبق أن المقاربة التواصلية ليست طريقة معينة تطبق فيها أنشطة محددة بل هي عبارة عن مجموعة من الطرق أطلق عليها المقاربة أو المذهب (approach) وهذه المقاربة تتم تطبيقها بطرق مختلفة وأساليب عديدة وأنواع وأشكال من الأنشطة المختلفة تتفق على تحقيق هدف واحد، وهو بناء الكفاية الاتصالية. فسيعرض الباحثنا بعض الأنشطة التواصلية التي يمكن للمعلم أن يقوم بها ويشرف عليها في حجرة الدرس؛ مع تعدد هذه الأنشطة إلا أن وليام لتل وود William Littlewood قسمها إلى قسمين رئيسيين:

أنشطة الاتصال الوظيفية Function Communication Activities، وأنشطة الاتصال الاجتماعي Social Communication Activities، وتحت كل قسم مجموعة من الأنشطة، ولكل نشاط عدد من الأمثلة.

النموذج الأول: أنشطة الاتصال الوظيفية Function of Communication Activities

وتعني نجاح المتحدث في توصيل المعنى الذي في ذهنه إلى السامع، من خلال توظيف ما تعلمه من معلومات لغوية في حل مشكلة ما من المشكلات أو التصرف في موقف ما من المواقف. والهدف من هذه الأنشطة تدريب المتعلم على استعمال اللغة وظيفيا، وبناء القدرة على توصيل المعاني، بصرف النظر عن الصحة اللغوية. ويقوم المعلم بتدريب طلابه في الفصل على هذا النمط من الأنشطة الاتصالية من خلال موقف أو مشكلة يتطلب حلها استعمال اللغة بسرعة، من غير تفكير بالبناء الشكلي والصحة اللغوية.

التطبيق الأول: التبادل المحدود للمعلومات بين الطلاب أو المجموعات، وفيها يقسم المعلم طلابه إلى مجموعتين، يكون لدى المجموعة الأولى معلومات معينة لا تعرفها المجموعة الثانية، وعلى المجموعة الثانية السعي إلى اكتشافها بمساعدة محدودة من المجموعة الأولى، وتتمثل في إجابات مختصرة جدا عن استفسارات المجموعة الثانية، وهذه العملية يمكن أن تتم بين طالبين مثلما تتم بين مجموعتين، وأمثلة هذه الأنشطة كثيرة، منها: التعرف على الصور، واكتشاف الأماكن، واكتشاف المعلومات المحذوفة أو المفقودة، واكتشاف السمات أو العلامات المحذوفة، اكتشاف الأسرار وغير ذلك.

والنشاط التالي للتعرف على الصور يوضح هذا النوع من الأنشطة؛

يُحضّر المعلم ست صور متشابهة لغرفة جلوس تحتوي على أثاث معين، كل صورة تختلف قليلا عن غيرها في عدد الكراسي أو عدد الستائر مثلا، أو لونها أو مكانها أو مكان التلفزيون أو الكمبيوتر ... يسلم جميع هذه الصور لمرتضى، ويسلم زميله إبراهيم صورة واحدة منها فقط، ويطلب من مرتضى أن يتعرف على الصورة التي يمسكها زميله إبراهيم. يتم ذلك من خلال عدد من الأسئلة التي يوجهها مرتضى إلى إبراهيم باستخدام مفردات تصاغ بطرائق مختلفة، نحو: كم عدد الكراسي؟ أين تقع الطاولة؟ ما لون الستارة؟ هل التلفاز قرب النافذة؟ هل الكمبيوتر فوق الطاولة؟ يجيب عليها إبراهيم بإجابات محددة؛ نعم، لا، تقريبا... ومن مميزات هذه الطريقة أنها تصلح لجميع المستويات؛ لخصوصية المعلومات التي يمكن أن يتبادلها الطلاب؛ ففي المراحل المبتدئة يكتفي بوصف قصير محدود، ثم يوسع في المرحلة المتوسطة، ويزاد عليه في المرحلة المتقدمة وهكذا.

التطبيق الثاني: تبادل المعلومات بين الطلاب ومعالجتها. وفي هذه الحالة تستخدم فيها الصور كسابقها، غير أنها تختلف عنها من حيث العمق في الشكل والمعنى، ومن أمثلة هذا النشاط: بناء سلسلة قصصية من خلال الصور المتتابعة، والبحث عن المعلومات اللازمة لحل مشكلة.

وهناك تطبيق آخر مماثل لهذا لكنه أكثر عمقا وتعقيدا، من أمثلة ذلك أن يطلب المعلم من طلابه أن يستعدوا لرحلة علمية إلى سد كاينجي Kainji Dam بولاية نيجر، لقضاء أسبوع كامل هناك. ويقسمهم المعلم إلى أربع مجموعات

مثلا تناقش كل مجموعة ما تحتاج إليه من أغراض، بحيث لا تتكرر الأغراض المشتركة كصحون الطعام وأدوات الطبخ وغيرها. فهذا النقاش يجعل المجموعات تتفاعل تفاعلا كاملا بنشاط، وسيحققون من ورائها الكثير من الأهداف الاتصالية، وسيكتشفون مفردات وألفاظ وتراكيب جديدة.

النموذج الثاني: أنشطة الاتصال الاجتماعية Social Communication Activities

وهي الأنشطة التي لا يتوقف دورها على النجاح في توصيل المعنى إلى الآخرين وإنما يتعداه إلى توصيل هذا المعنى من خلال سياق سليم لغويا ومقبول اجتماعيا. (Little wood (1995) لتل وود؛ وهذا النوع من النشاط يتطلب جهدا كبيرا من المعلم كما يتطلب إحضار أدوات مختلفة تمثل الحياة الحقيقية لمجتمع اللغة الهدف، إلى حجرة الدرس، وقد قدم لتل وود أربع صور لهذه التطبيقات كما أوردها العصيلي وهي كالآتي:

التطبيق الأول: استعمال اللغة الهدف في إدارة الفصل بشكل طبيعي غير مصنوع ولا متكلف؛ حيث يتحدث المعلم مع طلابه باللغة الهدف، ويتفاعل معهم، ويطلب منهم القيام بحركات وأنشطة، ويجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم، كما لو كان في مكان عام خارج الفصل.

التطبيق الثاني: استعمال لغة الهدف وسيلة للتدريس، حيث يقدم المعلم لطلابه اللغة من خلال محتوى مقرر من المقررات، كمقرر الحديث، أو مقرر التفسير، أو مقرر السيرة النبوية في تعليم اللغة العربية مثلا. وهذا النمط من الاتصال يقدم مرة أو مرتين كل أسبوع حتى لا يمل الطلاب.

التطبيق الثالث: المحادثة أو جلسات النقاش، وهي جلسات مناقشة يجتمع فيها طلاب الفصل في مجموعات يكون المعلم عضوا في واحدة منها، ويشارك في المناقشة مشاركة حقيقية وطبيعية، فلا يوجه النقاش ولا يفرض رأيه على أحد، وقد يقدم لهم بعض المواد اللغوية أو يقترح عليهم بعض الموضوعات الاجتماعية.

التطبيق الرابع: مناقشة مشكلات الدراسة والقضايا الأكاديمية التي تهم الطلاب، وفيها يخصص المعلم كل حصة لحل مشكلة أو مناقشة قضية من القضايا الدراسية التي تهم الطلاب في البرنامج، كأن يتحدث الطلاب عن تدني مستوياتهم في مقرر من المقررات، ويبحثوا عن الحلول المناسبة لذلك، أو يناقشوا قضية قبولهم في كليات الجامعة أو غير ذلك.²⁰

11-2- خطوات إجراءات الدراسة باستخدام المقاربة التوافقية في تعليم اللغة:

1. تقديم حوار مختصر، ومناقشة الوظيفة، والموقف، والناس، والأدوار، ويسبق ذلك تحفيز للدارسين (يربط مواقف الحوارات بخبراتهم الاتصالية المحتملة).
2. التدرّب الشفويّ على كلّ عبارة في جزء الحوار الذي سيقدّم في ذلك اليوم (التكرار).
3. أسئلة وإجابات مبنية على موضوعات الحوارات والمواقف نفسها.
4. أسئلة وإجابات تتعلّق بخبرات الدارسين الخاصّة، غير أنّها تدور حول موضوع الحوار.

5. دراسة أحد التعابير الاتصالية الأساسية في الحوار، أو أحد التراكيب التي تمثل للوظيفة المدروسة، وقد يقدم المدرس عدداً من الأمثلة (مع استعمال الصور وأشياء حقيقية بسيطة أو التمثيل) لبيان معنى التعبير أو التركيب.
 6. اكتشاف الدارس القواعد الكامنة وراء التعبير أو التركيب الوظيفي.
 7. أنشطة الإنتاج الشفوي، وتتدرج من الأنشطة الموجهة إلى تلك الأكثر حرية.
 8. كتابة الحوارات أو النماذج، إذا لم تكن في الكتاب المقرر.
 9. قراءة عينات من الواجب المنزلي المكتوب، إن وجد.
- تقويم التعليم (الشفوي فقط)، مثلاً: كيف تطلب من صديق أن..؟

3-11- خطوات تصميم الاختبار في المقاربة التواصلية

الإجراءات	بنك المعلومات	
صف الدارس بصورة عامة؛ لغته الأم، العمر، الجنس، الجنسية، مكان الإقامة... إلخ.	التعريف بالدارس	1
صف احتياجاته الرئيسية لاستعمال اللغة بصورة عامة؛ وصنفها تحت عناوين، مثل: أكاديمية، مهنية، للحياة الاجتماعية.	الهدف من استعمال اللغة	2
حدد الأحداث الرئيسية التي يقابلها، ومن ثم اختر أنشطة عديدة لكل منها مثل: تدوين ملاحظات أثناء اجتماع، أو حضور محاضرات.	الأحداث/الأنشطة	3
اختر الوسيلة؛ استماع، محادثة، قراءة أو كتابة أو مزيج منها. <u>القناة</u> : وجهاً لوجه، تسجيل، مطبوعات، فيلم... إلخ.	الوساطة أو الوسيلة	4
حدد العلاقات الاجتماعية، اللهجة (الأسلوب) والعوامل الثقافية والاجتماعية.	الثقافة والمجتمع	5
حدد مستويات مستهدفة للأداء لكل مهارة أو وسيلة أو مجموعة وسائل (رقم 4)، والسرعة، والمرونة والتردد، والتكرار.	مستويات الأداء	6
عرف المجال لكل حدث من الأحداث التي حددتها (في رقم 3).	مجال الموضوعات	7

اختر المهارات اللازمة للقيام بالأنشطة المختلفة للمستويات المستهدفة.	المهارات اللغوية	8
وضح الوظائف اللغوية المطلوبة، والتنغيمات السلمية المصاحبة لتلك الأنشطة التي يتداخل فيها الاتصال المتبادل بين فرد وفرد آخر.	الوظائف اللغوية/ وحدات التنغيم	9

خاتمة:

1- عرض فروض البحث ومناقشتها

ينص الفرض الأول على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب

الجدول رقم (4,8) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لاستجابات المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب.

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	الدرجة	مستوى الدلالة	الدلالة
التجريبية	5	14,377	2,198	13,689	1,96	0,05	دا
الضابطة	5	8,500	3,129				لة

يتضح من الجدول (4,8) أن قيمة "ت" المحسوبة (13,689) قد تجاوزت قيمتها الجدولية (1,96) عند درجات حرية 83 ومستوى دلالة 0,05 مما يدل على وجود فرق بين متوسطي درجات الطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية؛ وعلى هذا يتم رفض الفرض الصفري ويقبل الفرض البديل وهذا نصه "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب"

هذه النتيجة دليل على فاعلية المقاربة التوافقية في تمكين الدارس على كفاية تحليل الخطاب أفضل بكثير من الطريقة الاعتيادية.

ينص الفرض الثاني على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاستراتيجية.

الجدول رقم (4,9) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) لاستجابات مجموعتي الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاستراتيجية.

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الحرية	قيمة t المحسوبة	القيمة الحرجة	مستوى الدلالة	الدلالة
التجريبية	45	14,288	2,232	83	13,689	1,96	0,05	دا
الضابطة	45	8,800	1,976	83	13,689	1,96	0,05	ل

يتضح من الجدول (4,9) أن قيمة "ت" المحسوبة (13,689) قد تجاوزت قيمتها الجدولية (1,96) عند درجة الحرية 83 ومستوى دلالة 0,05 مما يدل على وجود فرق بين متوسطي درجات الطلاب المجموعتين التجريبية والضابطة لصالح المجموعة التجريبية ؛ وعلى هذا يتم رفض الفرض الصفري ويقبل الفرض البديل، وهو "توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاستراتيجية"، هذه النتيجة دليل على فاعلية المقاربة التوافقية في تمكين الدارس على الكفاية الاستراتيجية أكثر من الطريقة الاعتيادية.

2- مناقشة نتائج الفرضين الصفريين:

هدف هذا البحث إلى التعرف على أثر المقاربة التوافقية في تعلم اللغة العربية لدى طلاب كلية التربية في ولاية كدونا، وكما أنه سعى للوقوف على الفروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين: التجريبية والضابطة

1. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب.

2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين

الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاستراتيجية.

وأما نتائج الفرض الأول فقد دلت على أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار كفاية تحليل الخطاب كما أشار إليه الجدول رقم (4,8). وهذه النتيجة تتفق مع دراسة بوزنجي (2013م) الذي أجرى دراسته على تطبيق المقاربة التواصلية في قسم اللغة الإنجليزية بمؤسسة لاوو التعليمية، حيث أكدت النتائج جدوى المقاربة التواصلية في تحليل الخطاب.

وأما نتائج الفرض الثاني فقد دلت على أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين الضابطة والتجريبية في اختبار الكفاية الاستراتيجية، كما أشار إليه الجدول رقم (4,9). وهذه النتيجة تتفق مع دراسة طكوك (2010م) وخواجة (2009م) والبوشيخي (2009م) مما يدل على قوة النتيجة.

يتضح من النتائج السابقة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين المتوسطين الحسابيين لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة على كل الاختبارات التي تم إجراؤها: اختبار كفاية تحليل الخطاب والكفاية الاستراتيجية، وأن هذه الفروق واضحة، كما أثبتت متوسطات لنتائج الجداول السابقة؛ مما يدل على أن المقاربة التواصلية لها بالغ الأثر في تعليم اللغة العربية لدى طلاب كليات التربية بولاية كدونا.

• قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، محمد الثاني (2011م)، اقتراح مشروع كتاب مدرسي لتعليم العربية بالمدارس الابتدائية الحكومية بنيجيريا، رسالة الدكتوراة مقدمة إلى جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، غير منشورة.
2. أبولاجي، علي عبد الرزاق (2014م)، الازدواج اللغوي وانعكاساته على التعليم العربي في نيجيريا، مجلة جامعة جازان- فرع العلوم الإنسانية، العدد:3.
3. بوقربة، لطفي (2003) محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد الأدب واللغة بجامعة بشار الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
4. حياة طكوك (2010) "نشاط القراءة في الطور الأول مقارنة تواصلية" مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة فرحات عباس، سطيف الجزائر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها.
5. خواجة بن عمر فقيه (2009م) "مستوى تطبيق إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية" مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم التربية، بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية. دولة الجزائر.
6. سعاد خلوي 2010م، "المقاربة التواصلية واكتساب مهارة التعبير الشفهي لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي". رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة فرحات عباس سطيف (الجزائر) كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم اللغة العربية وآدابها.
7. طعيمة، رشدي أحمد والناقبة، محمود كامل (2006م) تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج واستراتيجيات، منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

8. عبد السلام، أحمد شيخ (2010م) مقدمة في علم اللغة التطبيقي، الطبعة الثالثة، المركز الإسلامي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.
9. عزالدين، البوشيخي (2009م) المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، سجل المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المغرب، ص: 442-426.
10. العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، (2002م) أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، من منشورات مركز بحوث اللغة العربية وأدائها، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
11. مرتضى، محمود معاذ (2007م) "اللسانيات التطبيقية وتعليم وتعلم العربية بجمهورية غانا" وهو عبارة عن بحث تكميلي لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا المعمقة بجامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس.
12. الناقة، محمود كامل، وطعيمة، رشدي أحمد، (2003م): طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو .

13- *Vongxay, H (2013) The Implementation of Communicative Language Teaching (CLT) in an English department in LAO Higher Educational Institution: a case study, Master's thesis, New Zealand.*

• الهوامش:

1. مرتضى، محمود معاذ (2007م) 1 "اللسانيات التطبيقية وتعليم وتعلم العربية بجمهورية غانا" وهو عبارة عن بحث تكميلي لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا المعمقة بجامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس.
2. خواجه بن عمر فقيه (2009م) 2 "مستوى تطبيق إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية" مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم التربية، بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية. دولة الجزائر.
3. عزالدين، البوشيخي (2009م) المقاربة التواصلية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، سجل المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المغرب، ص: 442-426.
4. حياة طكوك (2010) 4 "نشاط القراءة في الطور الأول مقارنة تواصلية" مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة فرحات عباس، سطيف الجزائر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وأدائها.
5. سعاد خلوي 2010م، 5 "المقاربة التواصلية واكتساب مهارة التعبير الشفهي لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي". رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة فرحات عباس سطيف (الجزائر) كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم اللغة العربية وأدائها.
6. Vongxay, H (2013) The Implementation of Communicative Language Teaching (CLT) in an English department in LAO Higher Educational Institution: a case study, Master's thesis, New Zealand. 26:ص
7. Vongxay, H (2013) The Implementation of Communicative Language Teaching (CLT) in an English department in LAO Higher Educational Institution: a case study, Master's thesis, New Zealand 43:ص
8. طعيمة، رشدي أحمد والناقعة، محمود كامل (2006م) تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج واستراتيجيات، منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، ص: 49
9. طعيمة، رشدي أحمد والناقعة، محمود كامل (2006م) تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج واستراتيجيات، منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، ص: 49-51

10. إبراهيم، محمد الثاني (2011م)، اقتراح مشروع كتاب مدرسي لتعليم العربية بالمدارس الابتدائية الحكومية بنيجيريا، رسالة الدكتوراة مقدمة إلى جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، غير منشورة، ص: 39.
11. الناقة، محمود كامل، وطعيمة، رشدي أحمد. (2003م): طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- أيسيسكو، ص: 24
12. بوقربة، لطفي (2003) محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد الأدب واللغة بجامعة بشار الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص: 36
13. الناقة، محمود كامل، وطعيمة، رشدي أحمد. (2003م): طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- أيسيسكو، ص: 24
14. أبولاجي، علي عبد الرزاق (2014م)، الازدواج اللغوي وانعكاساته على التعليم العربي في نيجيريا، مجلة جامعة جازان- فرع العلوم الإنسانية، العدد: 3، ص: 1-1، ص: 5.
15. الناقة، محمود كامل، وطعيمة، رشدي أحمد. (2003م): طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- أيسيسكو، ص: 26.
16. إبراهيم، محمد الثاني (2011م)، اقتراح مشروع كتاب مدرسي لتعليم العربية بالمدارس الابتدائية الحكومية بنيجيريا، رسالة الدكتوراة مقدمة إلى جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، غير منشورة، ص: 48.
17. عبد السلام، أحمد شيخ (2010م) مقدمة في علم اللغة التطبيقي، الطبعة الثالثة، المركز الإسلامي، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ص: 122
18. إبراهيم، محمد الثاني (2011م)، اقتراح مشروع كتاب مدرسي لتعليم العربية بالمدارس الابتدائية الحكومية بنيجيريا، رسالة الدكتوراة مقدمة إلى جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، غير منشورة، ص: 40
19. العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، (2002م) أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، من منشورات مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص: 364.
20. العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، (2002م) أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، من منشورات مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص: 368

سيرة الشيخ محمد بن مالك اليماني ت نحو 470هـ من خلال كتابه كشف أسرار الباطنية-قراءة في المضمون وآليات الخطاب-

Extracting Sheikh Mohammed Bin Malik Al-Yamani Biography (Died 470 after the Hijra) Through His Book on (Kashf Asrar Al Batiniah): Reading in the content and the mechanisms of speech.

د. رائد مصطفى عبد الرحيم، Dr. Raed Mustafa Abdel Rahim

جامعة النجاح الوطنية-نابلس-فلسطين

AN-Najah national university-Nablus-Palestine

إيميل الباحث: raarrabeh@najah.edu

الملخص:

انبثقت فرقة القرامطة عن الفكر الشيعي، وكانت على علاقة قوية بالفكر الإسماعيلي الذي جذّرته الدولة الفاطمية منذ قيامها حتى انتهائها بين سنوات (296هـ-567هـ)، وكان لهذا الفكر دور كبير في استقطاب الناس، وغسل عقولهم، فظهرت كثير من الكتب التي تناولت عقائدهم، ولكنها لم تقف على وسائلهم في إقناع مرديهم وأتباعهم إلا قلة، منها سيرة الشيخ محمد بن فضل اليماني، التي وردت في كتابه كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وبيان مذهبهم واعتقادهم، إذ عاش مؤلفها بين قرامطة اليمن في القرن الخامس الهجري، وتحديداً في الدولة الصليحية هناك، وادّعى الانتماء إلى مذهبهم، فاطّلع على حقائق دعوتهم ومذهبهم، وطرقهم في ترويجها، فقدّم صورة واقعية عنها من واقع تجربته ورؤيته. من هنا يأتي هذا البحث للوقوف على:

- 1- فكر هذه الفرقة التي أسست دولة قوية في اليمن وهي الدولة الصليحية من خلال سيرته.
 - 2- وسائلها في استدراج الاتباع وغسيل أدمغتهم حتى يصبحوا موالين لها منغمسين في فكرها كما عاصرها وعاشها وجربها.
 - 3- أساليب الكاتب في الحديث عن هذا الفكر وتلك الطرق، وأساليبه في خطاب المتلقين وتنفيرهم من ضلالاتهم .
- الكلمات المفتاحية: سيرة ذاتية، خطاب، مضمون، أساليب، قرامطة.

Abstract :

The Qarmatians originated from the Shiite, and followed the Isma'ilism that the Fatimid state had followed from its inception until its end (296AH-567AH). This belief had a major role in attracting people and washing their minds. Many books were written based on that belief but only few of them included information on their means of persuading their patrons and their followers, like Sheikh Mohammed bin Fadl Al-Yamani's book titled as "KASHF ASRAR ALBATINIAH WA AKHBAR AL QARAMITAH". Al-Yamani wrote about their beliefs realistically because he lived in the Sulayhid State there, learned about the realities of their advocacy and their faith, and their promotion methods.

This research will study the following:

- 1- *The Ideology of the Doctrine that had established a strong state in Yemen, (a Sulayhid state).*
- 2- *The methods used to lure and brainwash followers as he experienced it.*
- 3- *The author's techniques used in writing about this ideology's methods and in enlightening the readers.*

Key words: *Biography, Speech, Content, Techniques, Carmatians.*

تقديم:

كتب محقق كتاب كشف أسرار الباطنية في مقدمته نبذة عن حياة مؤلفه ، فذكر أن اسمه محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي، من أهل اليمن، وقد عاش في في أواسط القرن الخامس الهجري¹، وتوفي نحو سنة 470هـ، وبين المحقق قلة المعلومات في كتب التاريخ عن المؤلف، إذ لا يعرف عنه سوى ما ذكره في كتابه من أنه كان معاصراً للدولة الصليحية في اليمن، وأنه عاش في عصر الإمام المستنصر بالله الفاطمي في مصر، ودليل ذلك أنه كان آخر خليفة ذكره منهم، وهو ما يتجلى في قوله في حديثه عن أصل الفاطميين، ونسبهم إلى ميمون القداح: "وكان أول أولاده عبيد الله وهو المهدي، ثم محمد وهو القائم، ثم إسماعيل المنصور، ثم المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم، ثم المستنصر"².

1- تأسيس:

1/1 - الهدف من تأليف الكتاب

عاصر المؤلف تأسيس الدولة الصليحية في اليمن، وكان يسمع ما يتداوله الناس عن مؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الصليحي³ وفكره القرمطي⁴، "وأغلب ما كان يسمعه عنه كلاماً سيئاً ينتقد معتقداته بشدة، بل يكفره ويكفر ما يصدر عنه من أعمال وسلوكيات"⁵ وهو ما عبّر عنه في قوله: "اعلموا أيها الناس المسلمون، عصمكم الله بالإسلام، وجنّبنا وإياكم طرق الآثام، وأصلحكم، ووفقكم لمرضاته، وسدّدكم، إني كنت أسمع عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون، وما يتكلّم عليه من سيئ الإذاعة، وقبح الشناعة"⁶، وعلى ما يبدو أن الرجل لم يكن يملك دليلاً على صدق الناس من كذبهم، ولهذا إذا "قال قائل: هو يفعل ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غدا، فيقول: ما شهدت ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدّق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس، ونطقت به الألسن"⁷ وكان سبب عدم جزمه بما يقال استهجاناً من أفعال الصليحي الشنيعة التي لا يمكن أن تصدر عن أحد من عرب وعجم، وعدم وجود دليل بين يدي الناس على صدق ما يقولون، واعتقاده بأن ذلك ناتج عن عداوتهم، وحسداهم للمكانة التي بلغها الرجل⁸، وبخاصة حين كان يسمع الصليحي فيما بعد يقول: "حكّم الله لنا على من يظلمنا، ويرمينا بما ليس فينا"⁹، ولذا أحب أن يخوض التجربة بنفسه، وأن ينخرط في سلك الصليحيين وزعيمهم، الذين عدّهم امتداداً للفكر القرمطي، فانخرط في سلكهم، وادّعى فكرهم وجالسهم حتى تشكّلت له رؤية عنهم، أحب أن يقدّمها تجربة خالصة رأي العين للمتلقين، فكان ما قدّمه عرضاً علمياً ووصفاً دقيقاً، وقد عبّر غير مرّة عن موقفه، وهدفه من تأليف هذا الكتاب إذا قال: "فرايت أن أدخل في مذهبه، لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه، ولأطلع على سرائره وكتبه، ولما تصفّحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك، ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيراً ممّن يحاول بغض هذا الدّين، والله موهن كيد الكافرين"¹⁰.

ومن هنا كان هذا الكتاب في قسم منه سيرة ذاتية مذهبية لرجل انخرط في سلك القرامطة في الدولة الصليحية، وقدّم عن كذب رؤية عن مبادئهم وأفكارهم، فكشف عن زيفها وبطلانها، وعن صدق ما يقوله الناس بأدلة وبراهين قاطعة دامغة من وحي المشاركة والسماع في مجالسهم، ولهذا تكررت العبارات الدالة على مصادر الواقعية كقوله: "وكننت كثيراً أسمع.."¹¹، ويقول: "ولقد سمعته مراراً وتكراراً يقول لأصحابه...."¹³. ويقول: "عباد الله، إني لم أزل

أتلف بخاصته، وأهل مذهبه، ولم أقنع حتى خالطته وأطعمته بقبول ما هو عليه من مذهبه، وضلالته وكفره وبدعته، وأعماله الشنيعة، وضلالته الفظيعة، التي تنكرها القلوب، وتشمئز منها النفوس¹⁴.

1/2- أقسام الكتاب

عدد صفحات الكتاب بدون المقدمة والزيادات فيه 59 صفحة، ويقسم إلى قسمين رئيسيين وهما:

1- قسم تناول فيه الكاتب تجربته في ظل القرامطة في الدولة الصليحية، وقدّم خلاصة ما رآه فيها من سلوك وفكر، ليكون دليلاً واقعياً على ما كان يتناقله الناس دون دليل، وبذلك يكون كلامه أكثر صدقاً، وأسلوبه أكثر تنفيراً من الوقوع في شباك هذه الفرقة الضالة التي عبثت بالفكر الإسلامي، وحاولت تحريف شرائع وأحكامه، متلاعباً بأهوائها وشهواتها الدنيوية، ومجمل ما يتضمنه هذا القسم الحديث عن فكرهم، وعن أفكارهم، وعن دعواتهم، وطريقتهم في استدراج الأتباع، وعن تأويلاتهم القرآن الكريم¹⁵، وعدد صفحاته 14 صفحة.

2- أما القسم الثاني الذي غطى بقية صفحات الكتاب الـ 45، فتحدث فيه المؤلف عن أصل الدعوة القرمطية، وعن تاريخها، وعن ومؤسسيها، وقدّم نبذة عن حياتهم وأخبارهم وحروبهم وتطور أمرهم، وتحدث عن جوانب من أفكارهم التي كانت سلوكاً على أرض الواقع، وبخاصة إباحة المحرمات، وإبطال شرائع الإسلام، ثم عن علاقتهم بالفاطميين الإسماعيليين إذ عدّ أفكارهم ومبادئهم أصلاً واحداً.

1- مضامين سيرة اليماني

ركّزت سيرة اليماني على حقبة زمنية عاشها الكاتب في ظل الدولة الصليحية ودعوتها القرمطية، فقدّمت مجموعة من الأفكار والمضامين الخاصة بهذه الدعوة والدولة ورؤيتها علي بن محمد الصليحي في اليمن بخاصة، وما بهم في هذا البحث هو عرض مضامين القسم الأول من الكتاب الذي يعتمد على المعاشة والتجربة، لا القسم الثاني، الذي اكتفى فيه بالسر التاريخي للأحداث، ويمكن توزيع هذه المضامين على العناوين الآتية:

- دعاة المذهب ومنهجهم في الدعوة إليه واختيار الأتباع
- صورة الرئيس الإمام
- أفكارهم ومعتقداتهم وفكرة التأويل
- أبرز الخصائص الفنيّة للسيرة.

1/2. دعاة المذهب ومنهجهم في الدعوة إليه وفي اختيار الأتباع

أفاض الكاتب في الحديث عن دعاة المذهب القرمطي في الدولة الصليحية، وعن صفاتهم وطرقهم في الدعوة، وأكثر ما يلفت النظر قدرتهم على الإقناع والمحااجة، فابتدأ بذكر مكانتهم ومسمياتهم، فهم نواب الرئيس "يسمهم" الدعوة المأذونين، وآخرين يلقيهم المكّبين، تشبهاً لهم بكلاب الصيد¹⁶ ويرجع سبب تسميتهم بذلك إلى قدرتهم على اصطيد الأتباع، فينصبون لهم "الحبائل ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون على كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل"¹⁷. وأسهب اليماني في شرح منهجهم وحيلهم في أقناع المدعويين، وإيهامهم بصدق نواياهم وفكرهم، معتمدين على الحجج والبراهين العقلية تارة، وعلى تأويل النصوص القرآنية، وليّ عنقها تارة أخرى، ويمكن إجمال خطواتهم في الدعوة في الآتي:

أ- يبتدئ الدعاة أول أمرهم وطرقهم بمحاولة إقناع المدعو بضرورة الالتزام بشرائع الدين الإسلامي ، فيأتونه من الجهة التي تتوافق وأفكاره التي اعتاد عليها ، فيحضونه على " الصلاة والصيام والزكاة كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه " ¹⁸ . وفي هذه الصورة دلالة من الكاتب على أنّ منهجهم الإغراء أولاً ثم الاصطياد ثانياً .

ب- ويصرّح عن سمة الصبر التي يتحلى بها الدعاة ، ويقصد بذلك الصبر على المدعو حتى يغرسوا الأفكار في ذهنه ، فيختبرونه " أكثر من سنة يمعنون فيه ، وينظرون صبره ، ويتصقّحون أمره " ¹⁹ ، وهو بذلك يؤكّد أن الدعاة لا يختارون أتباعهم اختياراً عشوائياً ، وإنما ينبغي أن يتحلوا بصفات ، وفي مقدمتها صبرهم على الدعوة ، وتحمل تبعاتها ، وخلال السنة يحاول الدعاة غسل عقل المدعوّ ، وحشوه بأفكارهم الجديدة ، وتعاليم مذهبهم ، فيخدعونه ، كما يقول اليماني ، " بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلّم ، محرّفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه " ²⁰ . . ومن هنا يتبيّن أن أدواتهم : الصبر ، والخداع ، وتزوير الحقائق وتقديمها على غير وجهها ، معتمدين على أحاديث موضوعة ، وعلى مذهبهم التأويلي في قراءة النصوص القرآنية .

ت- وبعد أن يغرسوا فيه هذه القيم ، ويدربونه على تلقي النصوص بطريقتهم ، وبعد أن يدركوا أن المدعو قد اقتنع بذلك ، وأعجبه ما هم عليه من فكر ، وأتته تبعهم مختاراً لا مجبراً ، يبدؤون في حثّه على السؤال عن شرائع الإسلام وأركانه الأساسية وعن نصوص القرآن الكريم وأحكامها ، وهدفهم من ذلك زعزعة ما درج عليه فكره من فهم لهذه الشرائع والنصوص القرآنية ، وهي خطوة في سبيل تغيير قناعاته بالمعاني الظاهرة للقرآن الكريم ، وخلال ذلك يقنعونه بأن من سأل ووصل إلى الحقيقة ، واطّلع على أسرار الدعوة هو شخص مختار على غيره من عامة الناس ، ومميّز عنهم ، وقد عبّر الكاتب عن ذلك في قوله : " قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ، ولا ترض لنفسك ، ولا تقع بما قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه ، واعرف مثله وممثوله " ²¹ ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وما روي عن النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك بالعبارة ، فإنّ جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لمثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإنّ العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه ، فاسأل وابحث " ²² . إن هذه الخطوة تهدف إلى زعزعة فكر المدعوّ ، وتشكيكه بمعتقداته التقليدية عن العبادات والقرآن الكريم ، وهي خطوة مهمة لربطه بالإمام صاحب الدعوة ، الذي لا يمكن فهم هذه البواطن إلا بالرجوع إليه ، وطاعة أوامره ونواهيه .

ثم يشرعون في زرع أفكارهم ودرجات مذهبهم الخمس في ذهنه ، وهي معرفة بواطن الصلاة والصيام والزكاة ، والخمر والميسر ، والزينة ²³ ، فيتدرجون في عرضها واحدة تلو الأخرى ، وهدفهم النهائي هو غسيل عقل المدعو ، وإقناعه بتأويلاتهم الجديدة الخاصة بهذه التعاليم والأحكام ومتعلقاتها من نصوص قرآنية ، وكل ذلك من أجل بث سمومهم الفكرية في عقله ، حتى يتخلى عن ممارساته العقيدية التي درج عليها ، ويتحلل من أحكامها التقليدية ، فيشيع بذلك الانحراف في المجتمعات ، ورأس هذا الانحراف هو إباحة الزنا وتبادل المحارم ، والخضوع التام للإمام الرئيس ، ولهذا يصبح غاية المدعو حضور المشهد الأعظم مع إمامهم ، ليبارك فكره الجديد ، ويحظى بفرصة لقائه والجلوس معه ، وحضور مجالسه ، ولهذا وكان الدعاة بين كل خطوة وأخرى يطلبون إلى المدعو أن يقدم قربانا قدره اثنا عشر ديناراً للإمام الرئيس حتى يقبله ، ويحط عنه مؤونة العبادات ، ويبيح له التحلل منها ²⁴ . ويبين الكاتب أن طريقة هؤلاء في الدعوة كانت مما يوافق هوى المدعوّ ، وتحقق رغباته ، وشهواته ، " والنفس أمارة بالسوء " ²⁵ ، وترك الصلاة والصيام

والزكاة والطهارة ، وشرب الخمر والتمتع بالنساء هو من هذا القبيل . وهو ما عبّر عنه الكاتب في قوله : " فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنّه مذهب الراحة والإباحة ، يريحهم ممّا تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله " ²⁶ . ويكشف الكاتب عن سبب آخر وقف وراء اقتناع هؤلاء المدعويين بالصليحي وفكره ، وهو أنّه " صادف أكثر الناس عواماً ، فأجابهم إلى دعوته الرعاع والطّغام ، ومن لم يكن له معرفة قبل بالإسلام " ²⁷ ويؤكد الكاتب هذه الحقيقة في موضع آخر حين بيّن جهل المدعويين ، وأخذ الدعاة عليهم اليهود والمواثيق المغلظة لكتمان أسرار الدعوة ، فقال : " وذلك أنّ الصليحيّ ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفيّ كل جهول غبيّ ، بعهود مؤكّدة ، ومواثيق مغلّظة مشدّدة على كتمان ما بويح عليه ، ودعي إليه ، وأنّه لا يكشف لهم سرّاً ، ولا يُظهر لهم أمراً " ²⁸ . ومن هنا كرّر الكاتب عبارات تدل على جهل المدعوّ وغفلته ، ومنها المخدوع ، والمغرور ، والموهوم ، كقوله : " ويوهمون ذلك المخدوع " ²⁹ ، و " يزداد هذا المخدوع انهماكاً " ³⁰ .

ويتبيّن من السيرة أنّ الدعاة إضافة إلى ما يتحلون به من صفات الصبر والقدرة على الجدل والحوار والإقناع ، أنهم كانوا على علم واسع بأمور الدين الإسلامي ، ونصوصه ، ويتمتعون بقدرة عالية على الخداع ، وجذب نفوس الناس إلى ما تحب وتهوى ، فهم بهذا المقياس خبراء اجتماعيون ونفسيون .

وقد لخصّ محمد بن مالك اليماني طريقة الدعاة ومنهجهم ، وتدرجها ، والغاية الأخيرة منها ، فقال مشيراً إلى الداعي والمدعوّ: " ثمّ يطلعه على علوم مموّهة ، وروايات مشبهة ، يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله ، كلمة حق يراد بها باطل ، ثمّ يأخذ بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، فإذا انقاد له وطاوعه ، أدخله في طرق المهالك تدريجاً ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً ، وتعويجاً ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة ، إلى أن يلبس عليه الدين ، ويخرجه منه كما يخرج الشعر من العجين " ³¹ .

2/1. صورة الإمام الرئيس

ويقصد بالإمام الرئيس علي بن محمد الصليحي القرمطيّ ، الذي عاش اليماني في أكنافه ، واطّلع عن كثب على فكره الذي عمل على نشره عن طريق الدعاة، وقد تبين ممّا سبق أنّ الغاية النهائية التي سعى إليها الدعاة هي غرز فكرة أنّ إمامهم هو وريث الله على الأرض، ولذا فهو امتداد لعلي بن أبي طالب ³² الذي ورث النور والعلم عن الرسول ، صلى الله عليه وسلّم، ومن هنا كان القادر على التفسير الباطني لأمر الشريعة وتعاليمه، ولنصوص القرآن الكريم بما فتحه الله عليه من فتوح العارفين ، وارثي العلم الإلهي، وهو الذي يحطّ ثقل العبادات عن الأتباع المنضويين تحت لوائه ، الذين عرفوا أسرار دعوته، بما يملكه من فهم صحيح، وتفسير باطني لها ، وقد مهّدوا للمدعو هذه الفكرة، ودربوه على تقبّلها حين بينوا له أنّ ما يعرفه عن الصلاة والزكاة والصيام والخمر والميسر والطهارة والزينة معرفة ظاهرة، وهي "أمثال مضروبة لمثولات محجوبة" ³³، وهذه المثلوات من اختصاص الإمام، ولهذا كانوا يوهمون المدعو أنّ إمامهم المرجع في تأويلها، فيطلبون إليه بعد أن فهم المعاني الباطنية لبعض الشرائع والأحكام أنّ يقدم قرباناً للرئيس اثني عشرة ديناراً، كي يبارك الأخير معرفته بأسرار الدعوة، ويضع عنه مؤونة هذه الشعائر، فكثّر قولهم له: "قرب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى، ونسأل مولانا يحطّ عنك الصلاة، ويضع عنك الإصر" ³⁴ ، فيقولون لرئيسهم: "يا مولانا إنّ عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الإصر، وهذه نجواه اثنا عشر ديناراً ، فيقول: اشهدوا أنّي قد وضعت عنه الصلاة ، ويقرأ له: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي

كانت عليهم)³⁵ ³⁶، ويتضح من تأويلهم الآية من سورة الأعراف أنّ الإمام يؤدي دور الله على الأرض ، فيمنح الغفران ، ويسقط الفرائض. وهذا يفسّر إطلاق الدعاة على المدعولقب العبد في أثناء مخاطبتهم الإمام الرئيس في شأن يتعلق بهذا التابع الجديد، كقولهم: "يا مولانا إن عبدك فلان..."³⁷ ، ويكرّرون في حديثهم مع الإمام عبارات تدلّ على مكانته تلك: " فيقول يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة، فأبج له الأكل ، فيقول لهم: قد وثقتة وأمّنته على سرائرنا؟ فيقول له: نعم، فيقول: قد وضعت عنك ذلك مدّة"³⁸. وفي تكرار ألفاظ أبج، وحط، ووثقتة وأمّنته، ووضعت عنه ، وحللت له دلالة على دوره الإلهي بينهم، أو وساطته بينه وبين الله³⁹.

ولهذا كانت طاعة هذا الإمام عمياء عند الداعي والتابع ، وهو ما تجلّى في موافقتة على أن يبیت المدعو الجديد في فراش زوجته، " فيقول : سمعاً وطاعة لله ومولانا"⁴⁰، فطاعة هذا المولى مقترنة بطاعة الله ، لأنّه "جعلهم القائمين بأمره، والدعاة إليه، وأهل الدلالة عليه، فينبغي لكافة الناس تعظيمهم وإجلالهم..."⁴¹.

وهذا الفضل الذي يقدّمه الإمام للمدعو في تفسير البواطن الشرعية ، وحطّ أوزارها عنه ، جعل لزاما عليه أن يقدّم الشكر والعرفان لمولاه ، صاحب النعمة والفضل عليه، وهذا ما كان يوجّهه الدعاة له ، ولذا كان المدعو يشكر الداعية على ما خففه عنه من عبادات، وما متّعه به من النساء وملذاتهن ، كان الأخير يجيبه: "ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين ، فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقتكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحطّ عنكم آصاركم، وأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم جهالككم (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم)"⁴² ⁴³. إن الاستشهاد بالآية القرآنية التي تدل على مكانة المؤمنين الصابرين في الجنة، تدل على أنّ من يطع الإمام، ويتبع تعليماته وأوامره مآله الجنة. وقد كانت قمة سعادة المدعو تكمن في هذه الطاعة، وفي حضوره المشهد الأعظم الذي يشارك فيه الإمام، حيث يجتمع أرباب الدعوة رجالهم ونساءهم، وتجري فيه من المنكرات الشيء الكثير⁴⁴.

3/1. أفكارهم ومعتقداتهم وتأويل النصوص:

تبيّن من العناوين السابقة جملاً من أفكارهم ومعتقداتهم وتأويلاتهم المتعلقة بالإمام الرئيس ودوره الإلهي على الأرض، ووجوب طاعته والانقياد له، ووضحت فكرة المثل والممثل عندهم ، التي اعتمدوا عليها في إقناع المدعويين، وحرفهم عن جادة الصواب، وإبطال شرائع الدين الإسلامي وهدمها، وتحديث الكاتب عن تربيتهم المدعو على الرفض، وسبّ صحابة رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم⁴⁵.

وكشف الكاتب عن درجات الدعوة الخمس، وهي التي يتدرجون في تعليم التابع إياها، حتى يغسلوا دماغه، ويضحي كاتماً أسرارهم، وعبداً مطيعاً لهم ولإمامهم، ومنغمساً معهم في الرذائل الدنيوية، ولعلّ كثيراً منهم كانوا يدركون حقيقة الأمر ولكن نفوسهم ركنت إلى المعاصي، وطابت لهم متع الدنيا ومغرياتها. وفي الآتي عرض لهذه الدرجات الخمس، ولتأويلاتهم الباطنية لما ورد فيها من أقوال ونصوص قرآنية:

أ- الصلاة والزكاة وفكرة الظاهر والباطن: وقفوا على معنى هذه الأركان معتمدين على القياس والتفسير الباطني، فقد وقفوا عند قوله تعالى: "أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"⁴⁶، فادّعوا أن الزكاة "مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة، من صلاها مرة في السنة، فقد أقام الصلاة بغير تكرار"⁴⁷. ولما كان لكل شيء عندهم ظاهر وباطن زعموا أن الصلاة صلاتان ومثلها الزكاة والصوم والحج، فمن أقوالهم: "وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن

"⁴⁸، واعتمدوا على نصوص قرآنية للدلالة على رأيهم، فمن ذلك قوله تعالى: "وذروا ظاهر الإثم وباطنه"⁴⁹، وقوله تعالى: "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن"⁵⁰ وكانت لهم حجج عقلية في قضية الظاهر والباطن فضربوا مثلاً البيضة التي لها ظاهر يتساوى الناس بمعرفته، وباطن لا يعرفه إلا القليل"⁵¹، ودعموا رأيهم العقلي بأدلة نقلية تؤكد صدق ما يقولون، ومنها قوله تعالى: "وما آمن معه إلا قليل"⁵²، وغير ذلك من الآيات"⁵³.

ب- الخمر والميسر: كان تفسيرهم للخمر والميسر اللذين حرمهما الله في كتابه العزيز على أنهما "أبو بكر وعمر لمخالفتهما علماً وأخذهما الخلافة دونه . أما ما يُعمل من العنب والحنطة وغير ذلك، فليس بحرام، لأنه ممّا أنبتت الأرض"⁵⁴، وساندوا رأيهم بتأويلهم قوله تعالى: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق"⁵⁵، وقوله تعالى: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا"⁵⁶. والإيمان في معتقدتهم هو اعتقاد الفكر القرمطي، والإيمان بما يقوله الإمام، فإذا وصل أولئك المؤمنون إلى هذه الدرجة أحلّ لهم كل شيء .

ت- والصوم في فكرهم وتأويلاتهم يعني الكتمان، لا الامتناع عن الطعام والشراب، وعنوا بذلك "كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين"⁵⁷، واستدلوا على معناهم بقوله تعالى في سورة مريم: "إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً"⁵⁸، فمعنى الصوم في الآية الصمت، ولو "عني بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطمع اليوم شيئاً"⁵⁹.

ث- الطهارة: اتخذ أتباع الصليحي من القرامطة من فكرة الطهارة، ومتعلقاتها من جنابة ومني وسيلة لإقناع مدعوهم بضرورة موالاة الأئمة وطاعتهم، فهي في تأويلهم تعني "طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره ماء ولا غيره"⁶⁰. وفسّروا الجنابة على أنها موالاة أصداد الأنبياء والأئمة"⁶¹، وجعلوا المني طاهراً غير نجس، لأن "منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته"⁶²، فهو أساس الخلق والبنيان، فلو كان الغسل منه أمراً دينياً، لوجب الغسل من الغائط والبول لنجاستهما"⁶³، وأولوا الآيات التي تفرض الغسل من الجنابة على غير وجهها، فقوله تعالى: " وإن كنتم جناباً فاطّهرها"⁶⁴، فالمعنى الباطني عندهم إن "كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلّموا واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح، كالماء الذي هو حياة الأبدان"⁶⁵.

وخلاصة الأمر وظّفوا الآيات الخاصة بالطهارة من الجنابة والمني لحث المدعوين على كتم الأسرار، وحثّهم على معرفة بواطن النصوص، والإيمان بها.

ج- إباحة الزنا وهتك المحارم.

إنّ الغاية العظمى التي يسعى إليها الفكر القرمطي هي إبطال الشرائع، وإباحة المحرمات، فمن ترك العبادات المفروضة السابقة، هان عليه الزنا وهتك المحرمات، ومجاعة نساء غيره، والسماح للآخرين بوطء محرماته، وقد كان هذا الانحراف العقدي والخلقي هو الدرجة الخامسة في فكرهم، التي ينبغي للأتباع أن يؤمنوا بها، ويمارسوها على أرض الواقع، وفسّروا الآيات المتعلقة بالزينة والنساء تفسيراً باطنياً يتلاءم وأفكارهم وانحرافاتهم، وقد بينوا أن من سقطت عنه الصلاة والصيام والزكاة والخمر والميسر والطهارة حقّ له أن يتمتع بالجنة، والجنة عندهم جنتان: جنة في الدنيا، وأخرى في الحياة الآخرة، يدخلها، ويتنعم بها من آمن بالفكر القرمطي، وعمل بمقتضاه، ودلّلوا على ذلك بقوله تعالى: «وإنّ لنا للآخرة والأولى"⁶⁶، وقوله تعالى: "فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين"⁶⁷. وكانت استباحتهم الأعراس، والزنا بالنساء مبنية على أدلة نقلية أولوها على أهوائهم الباطنية، فقوله تعالى: "قل من حرم

زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة⁶⁸، والزينة عندهم ما خفي من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بها، وهم عباد الله من أرباب الفكر القرمطي، ومن هنا فسروا بعولتهم في قوله تعالى: "ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن"⁶⁹ على أنهم المستحقون التمتع بهذه الزينة الخفية من أتباع المذهب، المطلعون على أسرارهم⁷⁰، وهم يشيرون بذلك كله إلى الزنا، الذي هو مكافأة إلهية، وجنتهم في الدنيا والآخرة، ومن "لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب، وأهل العقول دون الجهال"⁷¹. واعتمدوا على الجذر اللغوي "جنّ" الذي يعني الخفاء والاستتار، ليبيّنوا أن هذه الجنة لا يدركها عامة الناس وجهالهم بالمذهب القرمطي، بل يختص بها من كشف عنهم الغطاء من أتباع المذهب، أصحاب العقول والألباب. وبناء على ذلك كله أباحوا الزنا بنسائهم، فتبادلوا الأدوار فيما بينهم⁷². وأباحوا الاختلاط فيما بينهم في المجالس، وفعل ما طاب لهم بالنساء، وهو ما كان يحدث في المشهد الأعظم، الذي يحضره الإمام الرئيس، ورجال الدعوة ونسائها، وقد وصف ابن مالك اليماني هذا المشهد، وما يحدث فيه من شرب خمر وزنا ومنكرات، فقال: "حتى إذا جنّ الليل، ودارت الكؤوس، وحميت الرؤوس، وطابت النفوس، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفأوا السرج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثمّ يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين"⁷³.

يلاحظ على أفكارهم السابقة أنّ هدفها في نهاية المطاف:

- 1- إقناع المدعوين بوجود ظاهر وباطن لا يعلمه إلا المخصوصون، وأصحاب الحضوة الإلهية، وممثل الله على الأرض.
 - 2- إقناع المدعوين بوجوب طاعة الإمام والانقياد لأوامره ونواهيه، فيضحون أداة طيعة بيده يستغلها كيفما شاء.
 - 3- إسقاط شرائع الدين الإسلامي، ونشر المحرمات، وإباحة الزنا واللهو والمجون في المجتمع الإسلامي.
 - 4- الإنكار على من اغتصبوا الخلافة من علي، رضي الله عنه، وهما أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما.
- وقد أورد محمد بن مالك اليماني أبياناً شعريّة تلخص فكر القرامطة، قالها أحد شعرائهم معبراً عن ادّعاء أحد رؤسائهم النبوة، وهي⁷⁴:

خذي الدفّ يا هذي والعبى	وغنّي هزازيرك ثمّ اطربي
تولّي نبيّ بني هاشم	وهذا نبيّ بني يعرب
لكلّ نبيّ مضى شرعة	وهذي شرائع هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة	وحطّ الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلّوا فلا تنهضي	وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من أقربي ومن أجنبي
أليس الغراس لمن ربّه	وسقاه في الزمن المجدب

وما الخمرُ إلا كماء السَّماءِ حلالاً فقدِستَ من مَدَهَبِ

3. أبرز خصائص سيرة اليماني الفنية

يفرّق النقاد بين مصطلحي سيرة ذاتية ومذكرات ، ولعلّ أبرز من فرقوا بينهما هو فيليب لوجون في قوله: "جرى العرف في إنكلترا على إطلاق اسم السيرة الذاتية على المذكرات التي ترتبط بالأشخاص أنفسهم أكثر من ارتباطها بالأحداث التي عايشوها. وتحظى السيرة الذاتية بنصيب كبير في المذكرات المكتوبة، ولكن يحدث أحياناً في هذا النوع من الكتابات أن نجد الجزء الخاص بالأحداث المعاصرة بالتاريخ نفسه أكبر بكثير من الجزء المتعلّق بشخصية الكاتب، ولذلك فإن إطلاق اسم المذكرات على هذا النوع يوافقها أكثر من إطلاق اسم السيرة الذاتية"⁷⁵.

وقد يتبادر إلى الذهن أن كتاب ابن مالك اليماني من صنف المذكرات، لأن الكاتب ركّز على الصليحي وأتباعه من القرامطة، وتحدث عن دعواتهم ومنهجهم في الدعوة ، وعن رئيسهم وأفكارهم، إلا أن التفكير ملياً في واقع الكتاب يخرجنا عن أن يكون مذكرات بعيدة عن شخصية الكاتب، ذلك أنّ اليماني يتحدّث عن تجربة ذاتية مرتبطة بواقع عاشه، وانخرط فيه ، وجمع المعلومات عنه، وقدمها من وجهة نظره التي رآها، معتمداً على ترتيبه وتحليله ووجهة نظره الذاتية، التي كانت منبثة في ثنايا الكتاب، ولهذا يصدق على كتابه أن يكون سيرة ذاتية تحليلية، وتعني أن يركّز الكاتب "على ناحية من حياته، ويتبعها مستقصياً، وجاعلاً كل شيء ثانوياً بالنسبة لها، ومحللاً المواقف والنزعات أثناء العرض"⁷⁶. وقد حلّل الكاتب ما تعلّمه ورآه مدة إقامته في المذهب القرمطي، واستقصى وانتقد ، فكان كتابه سيرة ذاتية لمرحلة فكرية عاشها في حياته. وهذا النوع من فنون النثر له أساليبه الخاصة به، لأنه موجّه إلى جمهور المتلقين الذين سيفيدون منه، ولذا ينبغي أن يشتمل على آليات وتقنيات فنيّة، تحقق له هذا التوجّه الواقعي الإقناعي في نفوس المتلقين، ولعلّ أبرز الخصائص الفنيّة التي يشتمل عليها الكتاب هي الآتي:

1- كتب اليماني سيرته بلغة سهلة يفهمها المتلقون، وكانت لغته فصحي بعيدة عن التعقيد والتعقير اللغوي، تجري على اللسان بيسر وسهولة، وهي مليئة بالمصطلحات والعبارات والأفكار المنبثقة عن الفكر القرمطي، وتمتلى بأسلوب التناسل القرآني بأنواعه، والحجاج العقلي الذي يعتمد عليه دعاة القرامطة في نقل أفكارهم، وإقناع الأتباع بها. وفي العناوين السابقة أمثلة كثيرة على ما أقول .

2- إن كاتب السيرة الذاتية عليه أن يقدم خلاصة تجربته، هذه التجربة التي تميّزه عن غيره من البشر، ومن هنا تكون مفيدة لهم، فيها معلومات وخبرات جديدة، تضيف قيمة كبيرة على السيرة، وتجعلها مشوقة للمتلقين، ولعل ذلك قد تحقق في سيرة اليماني، التي قدّمت معلومات عن تجربته مع القرامطة، وزعيمهم الصليحي لا تتأتى لأي شخص، فقد ادّعى الرجل مشايعة فكر تلك الطائفة، وراح يتقرّب منها بطرقه الخاصة، وربما تعرّض إلى المخاطر في سبيل قنص المعلومة، واستيعابها، وهو ما عبّر عنه إذا قال: "عباد الله، إنّي لم أزل أتلطّف بخاصته، وأهل مذهبه ، ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه"⁷⁷، حتى تمكّن في نهاية المطاف من استيعابها ، ونقلها خالصة للمتلقين، وهي بحق تحدث المتعة في النفس والاستغراب من فكرهم وتفسيراتهم الباطنية، وإعجاب بمنهجهم في غسيل العقول، واستهجان من قبول كثير من الناس لها وتبنيها على علّاتها، ووضوح زيفها وبطلانها .

3- بنى الكاتب سيرته الذاتية بناء فنياً محكماً، كل قضية عرضها تقود إلى الأخرى، وتجمع هذه الأفكار تتضح الصورة النهائية والهدف النهائي من وراء هذه السيرة، فقد بدأها بالحديث عمّا كان يدور من كلام بين عامة

الناس عن الصليحي وفكره المنحرف، ولكنّه لم يكن مؤمناً بما يقولون، ذلك أنّه لا دليل عندهم على ذلك، ثم أصرّ على معرفة الحقيقة فانخرط في سلك القرمطي، وحضور مجالسه، وشاركه بعض أسفاره، فاطّلع عن قرب على حقيقة أفكاره، التي أحب أن يقدّمها للمتلقين، ثم راح يتحدّث عن هذا الأفكار ودعاتها ومنهجهم ، فقدمها بصورة متسلسلة ومتراصة، اللاحق فيها مبني على السابق ، فقدمها من أولى خطواتها حتى يؤمن التابع بها، ويصبح غاية مناه الانقياد لرئيسها ، وحضور مشهده الأعظم ، وتطبيق فكره، وتعبير آخر حتى ينسلخ عن توجهاته القديمة، ويغسل عقله تماماً بالفكر القرمطي الجديد، ويختم سيرته بتحذير المتلقين من هذا الفكر، ويحثهم على الابتعاد عنه، وعدم الانخراط فيه، وهذه هي الغاية النهائية لتجربته الذاتية، جاءت بعد مقدمات عنه ، وبعد معايشة مذهبية مستفيضة له، فكان تحذيره بناء على واقع عينه.

4- تتميز سيرة اليماني الذاتية بالحقيقة والصدق، ويتجلى ذلك منذ اللحظة الأولى من كتابتها ، حين بيّن أنّ ما كتبه فيها كان بناء على تجربة واقعية ومعايشة، فقد وضع هذا الميثاق بينه وبين المتلقين كي يؤكد لهم صدق ما يقول، وتتجلى الحقيقة في ذكر مصادر معلوماته التي اعتمدت على الرؤية والسماع، وقد عبّر عن ذلك غير مرّة عن ذلك، كقوله: "فرايت أن أدخل في مذهبه .."⁷⁸، وقوله: "هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالهم .."⁷⁹ ، ومنها قوله الدال على مشاركته مجالسهم ودعوتهم: "إني لم أزل أتلطّف بخاصته، وأهل مذهبه، ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه مذهبه.."⁸⁰، وقوله عن الصليحي: "سمعتة مراراً..."⁸¹. وقد دفعته الرغبة في بيان صدق ما يقول أن راح يدعو على نفسه إن كان ما قدّمه عنهم كذباً، وفي هذا الدعاء زيادة في محاولته إقناع المتلقين بصواب ما يقوله وواقعيته ، يقول: "ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخرى الله من كذب عليهم بباطل، له جهنم وساءت مصيرا، ومن حكى عليهم بغير ما هم عليه ، فهو يخرج من حول الله وقوّته إلى حول الشيطان وقوّته"⁸² .

ومن وسائله في وضع هذا الميثاق أن جعل الله شهيدا على ما يقول من كفرهم وضلالهم ، فهو الوحيد العالم بصدق قوله: "والله تعالى عليّ شهيد بجميع ما ذكرته، ومما اطلعت عليه، من فعلهم، وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته عالم به"⁸³. ومنها أن اليماني عدّ ما توصل إليه شهادة على خبث القرامطة ورئيسهم، ولا ينبغي على مؤمن، بحكم كتاب الله، كتمان هذه الشهادة أو حجبا عن أمة الإسلام "فأدبت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله عليّ من حفظ هذه الشهادة ، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها أدائها إلى من لم يسمعها ، قال سبحانه وتعالى: "ستكتبُ شهادتهم ويُسألون"⁸⁴ ⁸⁵ .

ولعلّ في هذا الإصرار من الكاتب على هذا الميثاق بينه وبين المتلقين دلالة أخرى على موضوعيته، وبعده عن التحيز لرأي نمطي سابق سمعه من عامة الناس، فأحب أن يقدّم رأيه بموضوعية من خلال مخالطته أتباع المذهب. وتجدر الإشارة إلى أنّ كاتب السيرة الذاتية أو شخصياته الذين تعامل معهم عادة ما يكونون مشهورين ، كتبت عنهم مصادر التاريخ كثيراً، ولذا يمكن المقارنة بين ما قدّمه كاتب السيرة الذاتية، وبين ما كتبت مصادر التاريخ، وفي الحقيقة فإن هذه المصادر تحدّثت عن العلاقات المتينة بين الصليحي، المستنصر بالله الفاطمي، الذي استجاب لطاعة الصليحي، وأمدّه بالمعونات والأموال من أجل استقطابه لنشر الدعوة الفاطمية، والسيطرة على اليمن، كي يكون للفاطميين امتداد في تلك البقعة المكانية ، ومن الأمثلة المقارنة على ذلك قول اليماني مشيراً إلى الصليحي: "فلما

استقرّ بالجبل كتب إلى صاحب مصر، وهو المستنصر من بني عبيد، ووجه إليه بهدايا سبعين سيفاً...."، "فوجّه معه المستنصر إليه بريات وألقاب، وعقد له الولاية.."⁸⁶. وجاء في اتعاظ الحنفا: "وقام ببلاد اليمن رجل يعرف بعلي بن محمد الصليحي يتشيع، فحسّن له الدعاة الدخول في نصرة خلفاء مصر، فأعلن ذلك بها، ودعا أهل اليمن إليها، وحمل تجارتهم مع هدية جلييلة تبلغ زهاء عشرة آلاف دينار إلى المستنصر.."⁸⁷.

وفي موضع آخر يشير المقرئ إلى هذه العلاقة فيقول: "في سنة 455هـ" قدم الصليحي مكة بعدما ملك اليمن كله سهله وجبله، وبره وبحره، وأقام بها وبمكة دعوة المستنصر"⁸⁸. وعلى الرغم من هذا الميثاق إلا أن بعض باحثي الشيعة المحدثين ينفون عن الصليحي وحركته الخروج على تعاليم الإسلام، ويعدّون ما ذكره اليماني في كشف الأسرار، وغيره من المؤرخين ضرباً من الافتراء، واستمراراً للسياسة العباسية في تشويه الدولة الفاطمية ودعوتها وأتباعها، ويستدل بذلك على الخدمات الجلييلة التي قدمها الصليحي لمكة، وتساهله مع أهل السنة في اليمن، وإعطائهم الحرية الدينية⁸⁹.

يقول الهمداني في كتابه "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن": "ظهر الصليحي على صفحات التاريخ داعياً متمسكاً بأهداف دينه، حريصاً على ما جاء في الكتاب والسنة، غير مكروه لأحد في الدين، فلم يرخص لأحد مطلقاً في التهاون بشيء من فرائض الدين، ولكنّه مع ذلك اتهم كما اتهم الفاطميون من قبله بالكفر، والخروج على الدين الإسلامي، ومن الأعجب أن يذهب بعض المؤرخين إلى أن الصليحيين كانوا يدينون بالإباحة وتعطيل الشرائع"⁹⁰. ويمكن الرد على الهمداني من وجوه:

أ- أن هذا دأب الشيعة عبر التاريخ، فهم دائماً ينكرون ما ورد في التاريخ من معلومات تشير إلى انحرافاتهم، أو خيانة بعضهم وتسليمهم البلاد والعباد للعدو، على الرغم من انتشار الروايات التاريخية المتحدثة عن ذلك، وحجتهم في ذلك كره أهل السنة لهم متمثلين ببني أمية أو العباسيين أو غيرهم، وقد نفوا وجود عبد الله بن سبأ، وحاولوا أن ينفوا عن أنفسهم أن يكونوا سبباً في سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ على يد المغول، وتشددوا في نفي طاعتهم الإمام طاعة عمياء مطلقة، حتى باتت صورته عندهم تضاهي صورة الله، ونفوا عن أنفسهم شبهة تكفير الآخرين، وهي أمور لا تخفى على متدبركهم وأفكارهم.

ب- لم يذكر محمد بن مالك اليماني في سيرته أنّ الصليحي كان يجبر أحداً على الدخول في مذهبه، بل على العكس من ذلك أجهد نفسه في بيان أنه كان يعتمد على دعاة أكفاء في إقناع الأتباع بدعوته، والدخول فيها. وقد ذكر في كتابه اعتماد الصليحي على الدين، ومبدأ الاستئناس في استقطاب المدعويين، معنى ذلك أنّه وأتباعه لم يفرضوا مذهبهم بالقوة على الناس في اليمن وغيره. فأمام العامة يبينون متمسكين في الدين، ولكن في دائرة فكرهم المغلقة كانوا يمارسون طقوساً ضالة، فيها خروج عن الدين وتعاليمه. ثم إنّ اليماني بين اختلاف الناس في شخصية الصليحي وفكره، وأنه شخصياً لم يصدق ما كان يُشاع عنه حتى اختلط به وبدعائه، فرأى منهجهم في الدعوة عن كذب، وقد وضع ميثاق صدق غليظ بينه وبين المتلقين.

5- ينبغي على كاتب السيرة الذاتية أن يحسن اختيار الأفكار وجوانب السيرة التي تكون شاهداً على الهدف الذي ارتجاه من كتابة سيرته، وكلّما كانت هذه المعلومات مهمة وجديدة، تحوي الكثير من الفائدة والمتعة والإثارة والقدرة على الإقناع، كلما كان نجاحها في بلوغ الغاية المرجوة منها أعلى وأعظم. وقد تجلّت هذه الميزة في سيرة اليماني المذهبية

إذ أحسن الكاتب اختيار الأفكار التي تؤيد وجهة نظره في كفر القرمطي وجماعته وضلالهم ، فقد انتقى أهم أفكارهم وسلوكياتهم، وهي الدرجات الخمس التي ينبغي للتابع أن يفهم بواطنها، وفي تمامها يكون قد تحلّل تماماً من فكره الذي درج عليه قبل دعوتهم، وهي أفكار ما إن يقرأ المتلقي ما كتبه عنها حتى يلتحم مع وجهة نظر اليماني ، فيحدث التأثير والتطهير من تلك الأفكار، فلا يمكن لإنسان عاقل ، تشرب الإسلام أن يقبل بمثل التفسيرات التي يذهب إليها القرامطة للصلاة والصيام والزكاة والطهارة والزينة وتحريم الخمر والميسر، ذلك أن قبولها يعني القضاء على شرائع الدين ، ومخالفة سنن المصطفى صلى الله عليه وسلّم وهديه، ولكن ما اختاره وانتقاه يكشف من جهة أخرى عن مكر الدعاة القرامطة وخبثهم ودهائهم، هذا الخبث الذي ينبغي على كل مسلم أن يعرفه حتى لا يقع في شركه وحبائله . من هنا نجح الكاتب في اختيار ما قدّم في سيرته .

6- ومن أبرز خصائص هذه السيرة سمة التعليق، التي تُقدّم للمتلقى كيف كان يفكر الكاتب على مسرح الحياة لحظة نقله تجربته وأحداثها، هذا التعليق الذي يكشف عن رؤيته وفكره ومعتقداته وآرائه، وورد التعليق في حديثه عن سبب إنصوائه في سلك القرامطة ، وعن الغاية من كتابة السيرة ، التي تجلّت في رغبته في عدم كتم الشهادة ، وكتّم ما رأى من كفرهم وضلالهم ، لتحذير الناس منهم ، يقول: "وقد رأيت أيها الناس، وفقنا الله وإياكم للصواب أن أذكر أحوال هذه الدعوة الملعونة، لئلا يميل إلى مذهبهم مائل ، ولا يصبو لمقاتلهم لبيب عاقل .."⁹¹. وبدا التعليق في حديثه عن دعوتهم ومدعوهم ، إذ وسم الدعاة ماكرين، يوهمون الأتباع بصدق ما يقول، ووسم المدعويين بالمخدوعين المغرورين الموهومين⁹²، وكان يعلّق على أساليبهم وطرقهم في الخداع بقوله مشيراً إلى المدعو: "يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه"⁹³ .

أمّا دعوتهم ، فوقف عندها كثيراً معلقاً على أهدافها وهي تدمير الإسلام، كما في قوله مشيراً إلى الصليحي: "لقد سمعته مراراً وأسفاراً وهو يقول لأصحابه : قد قُرب كشف ما نحن نخفيه، وزوال هذه الشريعة المحمدية"⁹⁴، ووصفها بأوصاف تدلّ على وجهة نظره، فهي الكفر عينه، والبدعة، والجهل، والضلالة "الفضيحة التي تنكرها القلوب، وتشمئز منها النفوس"⁹⁵. ومذهبهم في رأيه "مذهب الراحة والإياحة"، ولهذا يستقطب الكثير من الخلق⁹⁶. وقد وصف الغاية النهائية لدعوة الصليحي في قوله: "وقصارى أمره إبطال الشرائع، وتحليل المحارم"⁹⁷. ومن هنا كان يكثر من تحذير الناس من الدخول في الفكر القرمطي، أو الانصياع للصليحي، فيكثر من عبارات التحذير ، كما يبدو في قوله: "فاحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربتة ومخالطته والركون إلى قوله، فإنّه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلّون من ركن إليهم..⁹⁸ ولذلك كلّه دعا الكاتب عليهم غير مرة، ومنه قوله: "فأهلكم الله بذنوبهم، وما كان الله لهم من واق"⁹⁹، وقوله في الصليحي: "والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين، وهلاك المسلمين"¹⁰⁰.

7- وبرزت في السيرة سمة النمو والتطور والتغيير، وتجلّى ذلك في تطوّر تفكير الكاتب، فبعد أن كان غير موقن بما يشيعه الناس عن القرامطة وأفكارهم ، انخرط فيهم، وتغيّر فكره بناء على الواقع الذي رآه، ثم صار محدّثاً منه ومن الخوض فيه أو الاقتراب منه، وبدا النمو والتطور والتغيير فيما عرضه من تدرّج في الدعوة القرمطية، وفي الحال التي آل إليها الأتباع، حتى غسلت أدمغتهم، وصاروا منقادين وموالين للفكر الجديد .

خاتمة:

بعد دراسة سيرة محمد بن مالك اليماني يمكن تسجيل النتائج الآتية :

- لا يُعرف الكثير عن كاتب هذه السيرة سوى اسمه، وتاريخ وفاته نحو سنة 470هـ، وما قدّمه للمتلقين عن انخراطه في المذهب القرمطي ، ودولة الصليحي ممثّل المذهب في اليمن، ورأيه فيه وفي فكره.
- هدف الكاتب من كتابة سيرته المذهبية تقديم الحقيقة عن الفكر القرمطي، معتمداً على أدلة وبراهين واقعية جمعها وعايشها في الدولة الصليحية، وهدف إلى تحذير الناس من اعتناق ذلك المذهب الضلالي الكفري، الذي يهدف إلى تدمير الإسلام، وإبطال الشريعة المحمدية.
- قسم الكتاب إلى قسمين: قسم حوى سيرة اليماني المذهبية، وكان مدار البحث والدراسة، وقسم اعتمد فيه المؤلف على المنهج التاريخي في تقديم المعلومة عن تاريخ القرامطة وفكرهم ورجالاتهم .
- اشتمل الكتاب على مجموعة من المضامين دارت حول الدعاة والدعوة وأتباع المذهب، ومنهج اولئك الدعاة في الدعوة، وتحدثت السيرة عن الإمام الرئيس في الفكر القرمطي، وعن أفكاره ومعتقداته .
- يطلق على الدعاة في الفكر الباطني القرمطي أسماء المأذونين والمكّلبين، وقد اعتمد هؤلاء في منهجهم على المكر والخداع وتضليل الدعاة، والحجاج العقلي والنقلي، على أحاديث موضوعة ، و على التفسير الباطني لآيات القرآن الكريم، أو ما يعرف عندهم بالمثل والمثول، وتدرجوا في الدعوة، وصبروا على المدعو، وأحسنوا اختياره واختباره، حتى أخرجوه عن فكره القديم، وغسلوا عقله بأفكارهم وأباطيلهم الجديدة، وهي الدرجات الخمس، حتى جعلوه منصاعاً لها، ولأوامر الإمام الرئيس.
- بيّن الكاتب أن الدعاة كانوا من عامة الناس وجهالهم، وأنهم خُدعوا وأوهموا، واستكانوا للمذهب القرمطي القائم على فكرة الراحة والإباحة.
- بيّن من الكتاب ان درجات المعرفة الباطنية عند القرامطة خمسة، ومن بلغ تأويلها وصل إلى المعرفة الحقيقية التي معها تسقط عنه الفرائض ومؤونة العبادة، ويدخل بمقتضى هذا الإيمان الجنة دنيا وآخرة. وتلخصت أفكارهم في تصوير الرئيس الإمام، فهو ممثّل الله على الأرض، وورث النور الإلهي الذي انتقل إلى محمد ثم إلى وصيّته علي بن أبي طالب، فالأئمة من آل البيت حتى وصل القرمطي وغيره من الأئمة، فكان صاحب الزمان، والمعرفة الدينية، والتفسير الباطني لنصوص القرآن، فهو الذي يبيح، ويحط عن أتباعه الأوزار والخطايا، وبياركهم حين يتخطوا درجات المعرفة الخمس، فيدخلوا الجنة الدنيوية ثم الآخروية، ولذا كان على الأتباع الولاء المطلق لهذا الأمام، لأنه صاحب السلطة الإلهية، ومن تبعه اهتدى، ومن ترك هديه ضل في سعيه دنيا وآخرة. ويحوي فكرهم شتماً لصحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلّم ، وتحديدأ أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، لأنهما اغتصبا بزعمهم الخلافة من علي، رضي الله عنه. أمّا درجات المعرفة الخمس، فهي الصلاة والزكاة والصيام والخمر والميسر والطهارة والزينة، وقد فسروا كل درجة منها تفسيراً باطنياً، تلغي التفسيرات الظاهرية المتعارف عليها في مذهب أهل السنة والجماعة. فقد قاسوا الصلاة على الزكاة ، فأوجبوها على الأتباع مرة واحدة في السنة، وفسروا الخمر والميسر أبا بكر وعمر مغتصبا بالخلافة من علي، أمّا الخمر المأخوذ من الحنطة والعنب، فحلال شرهه ، لأنه مأخوذ مما تنبت الأرض الذي أحله الله. وذهبوا إلى أن معنى الصيام الصمت عن كشف أسرار الأئمة المستورين، وعنوا بالطهارة ومتعلقاتها من جنابة ومني، الكف

عن موالاته الأضداد غير أئمة القرامطة، وعدّوا المني طاهراً ، لأنه أساس الخلق، وأن الغسل منه يعني السعي لمعرفة علم الباطن، وترك المعاني الظاهرية، وأباحوا الزنا ومعاشرة النساء، مفسرين الآيات الخاصة بهن على غير وجهها، ولذا كان التمتع بالنساء الغاية التي يصل إليها الأتباع، وهي جنتهم في الدنيا، ومن لم ينل هذه الجنة في الدنيا، فلا جنة له في الآخرة.

-اتسمت السيرة بمجموعة من السمات الفنية، ومنها سهولة اللغة وفصاحتها، واعتمدت على أسلوب الحجاج العقلي، والتناص القرآني، واشتملت على مصطلحات من الفكر القرمطي، وعلى معان مستوحاة منه ، وامتازت سيرته بوحدة الموضوع ، والتماسك في بنائها الفني وتسلسله، وكانت سيرته تحليلية، وتجلّت فيها عناصر السيرة الذاتية، وهي: الحقيقة والصدق ، والموضوعية، وحسن الانتقاء، والتعليق، والنمو والتطور والتغيّر.

● قائمة المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم

1. إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ط1، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، طباعة: دارعالم الكتب، الرياض، السعودية، 1406هـ-1986م.
2. إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان ، الأردن.
3. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي، القرامطة، تحقيق: محمد الصباغ، ط 5، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا ، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
4. راند عبد الرحيم، دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بقلين آخر ملوك بني زيري في غرناطة ، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، المفرق. الأردن، المجلد العاشر، العدد الخامس، 1425هـ-2004م، ص (319-368).
5. الشيرازي ، مؤيد الدين هبة الله، المجالس المؤتدية، حَقَّق وعلّق: محمد عبد الغفار، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1414هـ، 1994م.
6. ابن ظافر، جمال الدين علي، أخبار الدول المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب: أندريه فريه، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، 1972.
7. عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م.
8. الغزالي، محمد أبو حامد الطوسيّ النيسابوري ، فضائح الباطنية، حَقَّقه وقدّم له: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، حَوَّلِي، الكويت.
9. ماهر حسن فهيم، السيرة تاريخ وفن، ط 2، دار القلم، الكويت، 1403هـ-1983م.
10. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشّيال، ط 2، جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، 1416هـ-1996م.
11. المقرئ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي، اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001م.
12. مها العطار، السيرة الفنية في الأدب العربي حتى أوائل الثمانينات، دمشق، 1995م.
13. النعمان المغربي، الهمة في آداب أتباع الأئمة، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، منشورات دارومكتبة الهلال، 1985م، بيروت، لبنان.
14. الهمداني، حسين بن فيض الله اليعبري الحرازي، بالاشتراك مع حسن سليمان محمود الجمي، دار المدينة، صنعاء، ط3، 1407هـ-1986م.

15. يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

16. اليماني، محمد بن مالك بن أبي الفضائل، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، السعودية.

• الهوامش:

¹ - اليماني، كشف أسرار، ص 9 من المقدمة.

2- المصدر نفسه، ص 35 .

3 - مؤسس الدولة الصليحية، واسمه علي بن محمد بن علي الصليحي أبو الحسن، ولد سنة 403هـ، وقتل سنة 459هـ، والصليحي نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز باليمن، كان والده سنياً، شافعي المذهب، وهو القاضي محمد، الذي حكم في جبل مسار، من مناطق أحرار باليمن، ولكن ابنه تعلم في منطقة عدن لاعة، أول مكان لظهور الدعوة الفاطمية العلوية، فتبنى فكرها، وبني علاقة مع الخليفة المستنصر بالله العبيدي، ودعا أهل اليمن إلى الولاء للخلافة الفاطمية فأقره المستنصر على اليمن، وبعث إليه "برايات وألقاب، وعقد له الولاية" وصار أحد مؤسسيها في اليمن. يقول المقرئ متحدثاً عن الصليحي وعن سبب تشييعه، وتطور أمره "وكان باليمن الداعي عامر بن عبد الله الرّواحي، فاستمال أبا الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي، وهو صغير، حتى مال إليه، فلما مات عامر أوصى له بكتبه وعلومه، فدرسها حتى تضلع من معارفه، وصار من فقهاء الشيعة، وحج بالناس دليلاً خمس عشرة سنة، ثم ثار في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وتزايد أمره، ودعا للمستنصر، وكتب إليه بما هو عليه، واستأذنه في المسير إلى تهامة، فأذن له ولم تخرج سنة خمسين وأربعمائة حتى ملك السهل والجبل والوعر من بلاد اليمن"، واستولى على مكة، وأقام بها الخطبة للمستنصر الفاطمي سنة 456هـ، المقرئ، انعاط الحنفا، 96/2، 101، 108، 110، وانظر تفصيل ذلك في كشف أسرار، ص 72-73، ص 21 حاشية رقم 1، والهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص 62 وما بعدها .

4 - مؤسس هذه الفرقة هو حمدان بن الأشعث قَرَمَط، وقد ابتدأ في أخذ دعوته عن أبي الحسين الأهوازي حين التقى به في الكوفة، وأعجبه زهده وتقواه، حتى أخذ عليه الأهوازي العهد، وأفضى إليه بأمر دعوته، وتتخلص دعوة الحسين الأهوازي في أنه وريث المسيح المهدي المنتظر، الذي أوصى بعده إلى أحمد بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، حتى بلغ الأمر أن جعلوا أحمد هذا رسولا من الرسل، وقد بث لقرمط شرائعه التي ورثها، وتتعلق بالأذان والصلاة، التي أضحي لها طقوسها المختلفة عن التي نعرفها، فالأذان يتكوّن من الله أكبر 3 مرات، ثم أشهد ألا إله إلا الله مرتين، ثم أشهد أن آدم رسول الله، ثم وأشهد: أن نوحا رسول الله فأبراهيم فموسى فعيسى فمحمد فأحمد بن الحنفية. وعلمه كلمات تقال في الصلاة.... ثم يركع، ومن أفكاره صيام يومين في السنة، وهما يوما المهرجان ونوروز، وأحل الخمر، وأن لا غسل من جنابة وإنما وضوء كوضوء الصلاة، ومن شرائعه: أن لا يؤكل ما له ناب أو مخلب، وأن القبلة تكون لببيت المقدس والحج إليه، وأن الجمعة هي يوم الاثنين. وقد أوصى الحسين الأهوازي عند وفاته بجعل حمدان قرمط مكانه، فراح الأخير يجمع الناس، ويبث الدعاة، وينشر فكره، وأضاف إليه أمورا أخرى، فاجتمع عليه أناس من العرب والعجم، وكان مكان دعوته الكوفة، ولما كثرت أتباعه راح يغسل أدمغتهم ويتأول آيات من القرآن الكريم يفسرها تفسيرا باطنيا، يدل على فكره وما يرمي إليه، وفرض على الناس أموالا يدفعونها إليه ولدعوته وعرفت باسم: الفكرة، والهجرة، والبلغة، والأخماس، والألفة، وتعني الأخيرة أن يؤلف الناس أموالهم ويجمعوها لقرمط. لأنه لا حاجة لهم بها، فالأرض ستكون لهم عما قريب، وراح قرمط يبث دعائه في الأمصار، فلما تمكن له الأمر راح ينشر جيوشه في الآفاق: في القطيف فالإحساء وعمان، وجعل دار هجرتهم أي مكان دعوته سواد الكوفة في مكان يعرف بمهتّماباد، وقد كثرت عددهم. وراحو يبثون الخوف والرعب والقتل والرعب في البلاد، فكانوا لا رحمة لهم قساة القلوب، ومن أبرز رجالات القرامطة: مهرويه وعبدان وأبو سعيد الجنابي وأولاده: أبو سعيد وأبو طاهر وأبو القاسم وأبو المنصور وأبو العباس محمد، ومن الأفكار التي زادها القرامطة على فكر أبي سعيد الأهوازي: أن المهدي المنتظر هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي سيعود ليملا الأرض عدلا ونورا، وأنه حي لم يموت، وقد طلب إلى الناس أن يجمعوا الأموال له لحين ظهوره، ومنها إباحت الأموال والفروج والاستغناء عن الصوم والصلاة والفرائض، وأن ذلك كله موضوع عنهم، وأن معرفة صاحب الدعوة والحق تغني عن كل شيء، ولا يخاف معه إثم ولا عذاب و، استحلال دماء مخالفهم وعرف عن القرامطة قتلهم الحجيج، وتهبهم الحجر الأسود، وقد كانوا في صراع مع العباسيين وبخاصة الخليفة المعتضد حين ظهورهم، واتفقوا برهة مع الفاطميين لتلاقيهم معهم في جوانب فكرية ثم ما لبثوا أن تخاصموا وتحاربوا. انظر تفصيل ذلك في الغزالي، فضائح الباطنية، ص 12، المقرئ، انعاط الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، 151/1 وما بعدها. ولمزيد من المعلومات انظر ابن الجوزي، كتاب القرامطة.

5 - كشف أسرار، ص 9 من المقدمة.

6- المصدر نفسه، ص 21.

7- المصدر نفسه، ص 21.

- 8- انظر المصدر نفسه، ص 22.
- 9- المصدر نفسه، ص 22.
- 10- المصدر نفسه، ص 22.
- 11- المصدر نفسه، ص 22.
- 12- المصدر نفسه، ص:73.
- 13- المصدر نفسه، ص 73-74.
- 14- المصدر نفسه، ص 74.
- 15- المصدر نفسه، ص 74-75.
- 16 - كشف أسرار، ص 22، وانظر الغزالي ، فضائح الباطنية، 42-43.
- 17 - المصدر نفسه، ص 22.
- 18 - المصدر نفسه، ص 22-23.
- 19 - المصدر نفسه، 23.
- 20- المصدر نفسه، 23.
- 21 - مصطلحان درجت على استخدامها الحركات الباطنية، ويقصد بهما أن لكل شيء ظاهراً وباطناً، وبخاصة في تأويلهم القرآن الكريم، وأن الظاهر يتساوى في معرفته العام والخاص، وهو المشهور بين الناس، أما الباطن، فلا يملكه غير الإمام، وارث الشريعة والنور الإلهي عن آل بيت رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، وهو النور الذي سرى في الأنبياء ثم تجسّد كاملاً في الرسول محمد، صلى الله عليه وسلّم، ثم انتقل إلى وصيّيه علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه، ثم إلى الأئمة الحسن فالحسين. فأولاده وأحفاده من آل البيت. انظر في ذلك: النعمان المغربي ، الهمة في آداب أتباع الأئمة، ص 51-55، 92-93، الشيرازي، المجالس المؤيدية، ص 107-108، الغزالي، فضائح الباطنية، ص 12، 37، 52، 55، ابن الجوزي، القرامطة، ص26، إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، 483-485.
- 22 - كشف أسرار، ص 23.
- 23 - سيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن معتقداتهم وانحرافاتهم العقدية.
- 24 - انظر تفصيل ذلك في كشف أسرار، ص 23 وما بعدها.
- 25 - المصدر نفسه، ص 26.
- 26 - المصدر نفسه، 24 .
- 27 - المصدر نفسه، ص 75.
- 28 - كشف أسرار، ص74.
- 29- المصدر نفسه، ص27.
- 30- المصدر نفسه، ص 29 وانظر ص 24 و 26.
- 31- المصدر نفسه، ص 75.
- 32- انظر المصدر نفسه، 27.
- 33- المصدر نفسه، ص 23.
- 34- المصدر نفسه، 24-25.
- 35- سورة الأعراف، آية 157 .
- 36- كشف أسرار، ص25.
- 37- المصدر نفسه، 25 ، وانظر ص 26 .
- 38- المصدر نفسه، ص 26-27 .
- 39- ولزيد من الأمثلة انظر المصدر نفسه، ص 27، 28، 29.
- 40- المصدر نفسه، 29.
- 41- النعمان المغربي، الهمة في آداب أتباع الأئمة، ص36.
- 42- سورة فصلت، آية 35 .
- 43- كشف أسرار، ص 35 .

- 44- سيأتي الحديث عن مفهوم الجنة عندهم، وعن المشهد العظيم في الحديث عن أفكارهم وانحرافاتهم العقدية.
- 45- انظر كشف الأسرار، ص 74.
- 46- سورة البقرة، آيات: 43، 83، 110 .
- 47- كشف أسرار، ص 24.
- 48- المصدر نفسه، ص 24.
- 49- سورة الأنعام ، آية 120.
- 50- سورة الأعراف، آية 33.
- 51- كشف أسرار ص 24.
- 52- سورة هود، آية 40.
- 53- انظر كشف أسرار، ص 24.
- 54- المصدر نفسه، 25.
- 55- سورة الأعراف، آية 32. وكشف أسرار، ص 25 .
- 56- سورة المائدة ، آية 93، وكشف أسرار، ص 26 .
- 57- كشف أسرار، ص 26 .
- 58- سورة مريم، آية، 26، وكشف أسرار، ص 26.
- 59- كشف أسرار، ص 26.
- 60- المصدر نفسه، ص 27.
- 61- المصدر نفسه، ص 27.
- 62- المصدر نفسه، ص 27.
- 63- انظر المصدر نفسه، ص 27.
- 64- سورة المائدة، آية 6.
- 65- كشف أسرار، ص 27 .
- 66- سورة الليل، آية 13 وكشف أسرار، ص 28 .
- 67- سورة السجدة، آية 17، كشف أسرار، ص 28 .
- 68- سورة الأعراف، آية 32، وكشف أسرار، ص 28 .
- 69- سورة النور، آية 21 .
- 70- كشف أسرار، ص 28 .
- 71- المصدر نفسه، ص 28-29 .
- 72- انظر المصدر نفسه، ص 29 ، 30 .
- 73- المصدر نفسه، ص 30 .
- 74- كشف أسرار، ص 55 .
- 75- أدب السيرة الذاتية في فرنسا، ص 25 ، وانظر يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 3، عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ، ص 60 ، رائد عبد الرحيم، دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة، ص 322 .
- 76- إحسان عباس، فن السيرة، ص 69، ماهر فهسي، السيرة تاريخ وفن، ص 314، مها العطار، السيرة الفنية، ص 189 .
- 77- كشف أسرار، ص 74 .
- 78- كشف أسرار، ص 22 .
- 79- المصدر نفسه، 30، وانظر ص 31
- 80- المصدر نفسه، ص 74 .
- 81- المصدر نفسه، 74 .
- 82- المصدر نفسه، ص 31 .
- 83- المصدر نفسه، ص 31 ، وانظر ص 22 .

- 84- سورة الزخرف، آية 19 .
- 85- كشف أسرار، ص 31 .
- 86- المصدر نفسه، ص72-73 .
- 87- اتعاظ الحنفا ، 69/2 ، وانظر ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص71-73، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص 93 .
- 88- اتعاظ الحنفا، 108/2، انظر أخبار الدول المنقطعة، ص71-73 .
- 89- انظر الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص 109-110 .
- 90- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص108 .
- 91- كشف أسرار، 31 .
- 92- لقد مرّ ذلك مفصّلاً في الحديث عن الدعاة والدعوة القرمطية .
- 93- كشف أسرار، ص 22-23 .
- 94- المصدر نفسه، ص 74 .
- 95- المصدر نفسه، ص 44 ، وانظر 22 ، 30 ، 31 .
- 96- المصدر نفسه، ص24 .
- 97- المصدر نفسه، ص 75 .
- 98- المصدر نفسه، ص 73 .
- 99- المصدر نفسه، ص 75 .
- 100- المصدر نفسه، ص 74 .

ممكنات القيم التاريخية والاجتماعية والإنسانية في النصوص التعليمية اللغوية .

– كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط أنموذجا -

The possibilities of historical, social and human values in texts Linguistic educational

د. عَلَّام مُحَمَّد. *Allam Mohammed*

كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان / الجزائر

إيميل الباحث: medallam013@gmail.com

الملخص:

تُكسب المدرسة المتعلم المهارات العلميّة والمعرفيّة المختلفة، وجانب كبير من القيم والأخلاق والاتجاهات الإيجابية في الحياة، فالمدرسة وما تقوم عليه من منهاج، ومدرسين، ونظم تعليميّة ووسائل منبُغ خصب للقيم والاتجاهات السلوكيّة عند الأفراد، وهناك نماذج يمكن نشرها، من خلال النصوص التعليمية اللغوية والتي تحيل المتعلم على مصادر القيم في المجتمع المتنوّعة، ولقد وقع الاختيار في بحثي على كتاب اللغة العربيّة السّنة الرابعة من التعليم المتوسط إذ يعتبر مجالا فسيحا لغرس قيم تربوية عالية الجودة من خلال ما يتضمنه من معارف وطرائق عمل، وقيم عبر النصوص المنطوقة والمكتوبة.

الكلمات المفتاحية: التعليمية -القيم الاجتماعية والإنسانية، الدينية -كتاب اللغة العربية، المتعلم، المعلم، التربية، النصوص، السنة الرابعة من التعليم متوسط، سبل علاجية.

Abstract:

The school gains the learner the various scientific and cognitive skills, and a large aspect of values, morals and positive attitudes in lif Linguistic educational studies, which refer the learner to the sources of values in the diverse society. In my research, the Arabic language textbook was chosen for the fourth year of intermediate education, as it is considered a wide area for implanting high-quality educational values through its knowledge and working methods. Values through the spoken and written texts.

Key words: educational, social, human, religious, Arabic language book, learner, teacher, education, texts, fourth year of intermediate education, remedies.

تقديم:

الحديث عن القيم في الكتاب المدرسي أمر في غاية الأهمية لأن الأمر يتعلق بالأمل في الحياة والمستقبل المشرق ، حديث عن غرس وانتظار ثماره لكي يكتسب الرزق من بعد ذلك ، فلا خير في مجتمع بدون قيم ، ولا أمل يراود دولة إذا غابت عنها ، ولعل هذا هو الدافع لعملنا هذا حتى يكون مساهمة متواضعة في استنباط أهم القيم – التاريخية ، الاجتماعية والإنسانية – الموجودة في كتاب السنة الرابعة من التعليم المتوسط وعلى وجه الخصوص في المقطع الأول والثالث مع إثارة مشكل تراجع القيم في المؤسسة التربوية، والبحث عن أسبابه واقتراح بعض الحلول لذلك ، وقبل الولوج في تحليل المقطعين لا بأس أن نذكر بإيجاز بمميزات نصوص الكتاب إذ يوجد فيه ثمانية مقاطع ، في كل مقطع مجموعة من الوضعيات والأنشطة والموارد كالنصوص المنطوقة والمكتوبة ، والتي يكتشف من خلالها المتعلم الأنماط المستعملة ويحلّل الظواهر اللغوية الموجودة فيها . وهناك نص ثالث يأتي في قالب شعري بخلاف النصوص السالفة الذكر، يهتم بجانب القيم ويعبر المتعلم فيه عن موقفه، إلى جانب البحث عن الترابط والاتساق في النص وانسجامه وبناءه. (1)

أما عن الإشكالية التي يمكن طرحها من خلال هذا المقال هي : ما هي ممكنات القيم التاريخية والاجتماعية والإنسانية في النصوص التعليمية؟ وكيف يمكن تحسين منظومة القيم في حقولنا التعليمية ؟

2- القيم التربوية لنصوص المقطع الأول: "القضايا الاجتماعية"

2.1 نص ذكرى و ألم " لمالك بن نبي : 1973/1905 م :

ففي هذا النص للمفكر الجزائري مالك بن نبي، رائد النهضة الفكرية في العالم العربي والإسلامي في القرن العشرين (2)، نجد عدّة قيم تربوية، إنسانية والاجتماعية وحتى دينية وتاريخية، فحديث هذا النص يدور عن العلاقة الزوجية وما يشوبها من توتر عنيف نتيجة آفة اجتماعية منتشرة في المجتمع وهي الخمر والمحرّم في ديننا الحنيف، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣﴾

والكلام عن القيم مهم كونها منظومة يتبناها الفرد والمجتمع وهي المكون الأساسي للأيدولوجيا المحركة لأفكار وأقوال وأفعال الفرد والمجتمع والأمة، كما أنها الركيزة الأساسية لشخصية المجتمع الأمة، والملهم الحقيقي لها، والقوة الدافعة نحو المحافظة على البقاء والنمو والتطور. (4)

فيستخلص المتعلم القيمة الاجتماعية، التي تحيله بالضرورة إلى قيمة تاريخية كون آفة الخمر وجدت منذ زمن بعيد، فيستنتج عواقبها الوخيمة، أما عن القيمة الإنسانية فيمكنه الوقوف عليها عند مشهد العصفور ونهايته المأسوية، فيعلم أنه سلوك هادم للبقاء والنمو والتطور.

لتكون القيمة الشيء الثمين وهي قدر الشيء وهي الشيء القيم المعتدل العالي، والشيء القيم هو الشيء الغالي النفيس، والإنسان القيم: هو ذو المكانة الرفيعة السامية، وهو المعتدل فكراً وفهماً، وهو المستقيم سلوكاً وأخلاقاً. والكتاب القيم: الذي يحتوي على أفكار مفيدة وهامة وجديدة والدين القيم: الدين الحق الصحيح العدل السوي. (5)

ومما يزيد من استوعاب المتعلم، الطّابع القصصي للنّص حيث يعطي المتلقي تشويقاً لتوفرها على عنصري الزمان و المكان ، وتسلسل الأحداث وتفاعل الشّخصيات وصولاً إلى الذروة ثم مرحلة الانفراج.

فيتمكن المتعلم من الوصول إلى النتيجة التالية:

- الخمر يؤدي إلى ندم وانعدام للحياة الإنسانية.

2.2- نص "الضحية والمحتال" بديع الزمان الهمداني: 1009/969م

وهو أبو الفضل أحمد بن الحسين كاتب القصة القصيرة، وعرف بفن المقامة (6) ويستطيع المتعلم استخلاص مجموعة من القيم الإنسانية والاجتماعية، وحتى التاريخية في هذا النّص، فالقيمة الإنسانية تظهر في تضامن المتعلم مع الضحية، ونفوره من شخصية عيسى بن هشام، الإنسان المحتال أمّا القيمة الاجتماعية هي ظاهرة الطمع المتفشية في المجتمع العباسي، ليجد نفسه أمام قيمة تاريخية عندما تجول به القصة في عصر ازدهرت فيه فن المقامة بأسلوبها الرائع الشّيق، فسياق النّص طريف مرصّع بالبديع، والفواصل العذبة المؤنسة للأذان عبر ترداد حرف الدال- اشتهيت الأزاد وأنا ببغداد - (7) إضافةً إلى تسلسل الأحداث ووضوح الفكرة، والنّمط السّردي المناسب والحوار الشّيق الدال عليه، والبيان الذي يزيد معنى وضوحا وبلاغة، خاصةً إذا تعلق الأمر بالكناية فيصبح التلميح فيها أبلغ من التّصريح، فعناصر النّص هذا تضع التلميذ أمام قيمة تاريخية وفنية خالدة، تجعله يجوب في رحاب عناصر الأسلوب القصصي بوجدانه وفكره.

2.3 النّص الشعري - سائل - عبد الله صالح حسن: 1999/1929:

هذا النّص آخر نصوص المقطع الأوّل وهو عبارة عن قصيدة شعرية عدد أبياتها اثنا عشر بيتا، بعنوان " سائل " بصيغة اسم الفاعل " سائل" للفعل سأل (8)، وجاءت نكرة لتصف حال المتسول أينما كان وفي هذا دلالة على القيمة الإنسانية التي يمكن استنباطها من هذا النّص الشعري، أمّا القيمة الاجتماعية تظهر في حالة السائل المزرية بين أناس لا رحمة فيهم، ولا شفقة.

كما يمكن استنباط القيم الدينية وحتى التاريخية، باعتبار ظاهرة التّسول لها تاريخ في الأثر الإنساني، والتي تستوجب رد مال الغني على الفقير، فعن عطاء بن يسار أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " لا تحلّ الصدقة لغني إلاّ لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني." (9)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾

فعبر النّص الشعري يغوص التلميذ في معاني الأبيات، ويعيش بمشاعره ووجدانه معاناة المتسول رغم أنّ ديننا الحنيف أوصى بالتكفل والعناية به، كما هو جليّ في الآية الكريمة والحديث النبوي الشّريف إلاّ أنّ هذه الظاهرة - التوسل - قد يلمسها التلميذ في مجتمعه، فيسقط الصّورة نفسها، متفاعلا مع النّص الشعري، ويجد نفسه أمام قيمة دينية يجب توفرها في الإنسان المسلم حتى يسمو بإنسانيته، ويجعل تاريخه خالداً حتى بعد موته.

إلا أنّ الوضع في المجتمع أو البيئة المحيطة بالمتعلم يستوجب تغيراً جذرياً، لأنّه أصبح أكثر تعقيداً بالنسبة للقيم، أمام اتساع الفجوة بين الطبقات الاجتماعية مختزناً إلى أقصى حد، وسببها صعوبات التّواصل الثقافي وقلة الاهتمام بالقيم الثابتة⁽¹¹⁾

لذا يجب على المعلّم أن يمرّن المتعلم على استنباط القيم الثابتة، لأنّها أساس التغيير والسبيل الوحيد لردم الفجوة الموجودة بين الطبقات الاجتماعية، فالقيم الاجتماعية تحيل التلميذ على القيم الإنسانية ليصل في الأخير إلى القيم الدينية الثابتة.

3 - القيم التربوية لنصوص المقطع الثالث : التضامن الإنساني:

يهتم هذا المقطع بالمشكلات الإنسانية ويهدف إلى التوعية والإرشاد وضرورة التحلي بالقيم الإنسانية بعدما أصبح العالم يعيش مظاهر الظلم والفساد، لتكون الإنسانية الضحية، بسبب زيادة جهل الإنسان وطغيانه ، وأنايته.

3. 1 نص " وكالة الأونروا " UNRWA:

يعرّف النصّ بهيئة "الأونروا" التابعة لمنظمة الأمم المتحدة، والتي تعمل على إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، في أعقاب الصراع العربي الإسرائيلي عام 1948 م⁽¹²⁾، وشكل النصّ يرسخ الفكرة لدى المتعلم ، كونه مقالاً صحفياً يعالج قضية إنسانية مستندا بحقائق تاريخية عبر المراحل الثلاثة المميزة لفن المقال انطلاقاً ، من المقدمة مرورا بالتوسيع وصولاً إلى الخاتمة .

فيتعرف المتعلم على القيمة الإنسانية لهذه المنظمة، ودورها في غوث اللاجئين وحرصها على توفير الحياة الكريمة للمهاجرين، من بلدانهم ومنحهم حقوقهم الإنسانية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه من هو السبب في هذه الهجرة ؟، وهل نحن أمام كلمة مهاجرين أو مهجرين؟ ، لأنّ العجز عن سعادة الآخر هو نوع من عدم الفعالية الثقافية التي تعاني منها جميع الثقافات، وهذا ما يسمى بالفجوة الإنسانية وهي إحدى النتائج لتسارع التاريخ والتي لها عواقب ذات طبيعة هندسية متغيرة حسب الطوائف الاجتماعية والدول.⁽¹³⁾

فمن خلال ما سبق ذكره نسجل اختفاء القيم التاريخية وراء القيم والإنسانية فلولا الظروف التاريخية لما كان العمل الإنساني، فعلى المعلم التنبه لهذه القضية حتى تصل الرسالة على أكمل وجه، ونفعل بذلك ثقافة المتعلم في حينها.

3. 2 نص " في مواجهة الكوارث":

هذا النصّ يعرّف باللجنة الدولية للصليب الأحمر، باستعمال التّمطين السردي والتفسيري والهدف من ذلك إثبات القيم الإنسانية من خلال دور الجمعيات الخيرية في مواجهة الكوارث، باستعمال الوسائل اللغوية كالشرح، والتّحليل، والوصف.

وكاتبة هذا المقال -أمال فضيل - عن مجلة الجيش⁽¹⁴⁾، تسعى إلى تحقيق هدفها وهو الصليب والهلال الأحمر، رمزان للتعاون والتآخي بين أبناء الإنسانية، لتظهر قيمة المقال الإنسانية ، أمّا التاريخية تكمن في تاريخ إنشاء هذه المنظمات كالفدرالية الدولية لمؤسسات الصليب والهلال الأحمر والمؤسسة سنة 1919 م، واللجنة الدولية للصليب الأحمر التي أنشأت سنة 1863 م، فالقيمة التاريخية لهذه المنظمات تعرف المتعلم بجذور الصّراع الإنساني على هذه الأرض ، وحجم معاناته منذ زمن بعيد ، بل تجعله يبحث ، ويكتشف الأسباب والعوامل المؤدية لإنشاء هذه المنظمات

، لأنّ مشكلة القيم يمكن إرجاعها للوحدة المفقودة بين الشعوب ، فكثرة القيمة تكمن في تسمياتها ، الخير ، الحق ، الجمال ، النافع ، المقدس ، ولا تبدولنا في حلة خالصة ، بل صلوات متداخلة متشابكة .⁽¹⁵⁾

فلا يمكن أن تتحقق القيمة إلا باكتمال القيم كلّها ، فالخير لا يمكن أن يكون بدون الحق وهذا الأخير لا يمكن أن يتحقق النفع إلاّ به ، ليسود الجمال في الأخير ، جمال الأخلاق والقلب ، ويعيش الجميع محافظين سالمين .

3.3 النصّ الشعري: "من يُجير الفؤاد الصغير" محمد العيد آل خليفة:

إنّ هذا النصّ عبارة عن قصيدة شعرية في حدود اثنا عشر بيتا للشاعر الجزائري ، شاعر الأمة العربية والذي

يقول في مطلعها:

تفاقم كربُ الفقير الكسير أما عندكم من يد جابره ⁽¹⁶⁾

فالشاعر عُرف بالخطاب المفعم بالإنسانية و الخادش للمشاعر ، المؤثر في النفس لتسهيل عملية استنباط القيمة الإنسانية الموجودة في القصيدة ، فيتعاطف المتلقي للخطاب مع هذا المسكين ، أمّا عن القيمة التاريخية ، فنجد الفضاء الخارجي للقصيدة يُحيلنا إليها بصورة غير مباشرة ، وهو الواقع المير الذي يعيشه المجتمع وتأثر الشاعر بذلك ، وراح يعبر عنه في فضائه الداخلي مستعملا الصورة الشعريّة ومعانها الهادفة ، المعبرة عن الحسرة ، والألم ، و الاستعطاف والتضامن ...

ليظهر المغزى الحقيقي من القصيدة وهو إرشاد النَّاس بنمط توجيهي ، يعتمد على الأمر والنهي والتّداء والاستفهام ، ويخدمه في ذلك النّمط الوصفي ، الكاشف عن حال الفقير ومعاناته .

ومما لا شك فيه أنّ القيم التاريخية والإنسانية تجعل المجتمع ، مثالا في الأخلاق والعيش الكريم ، فالفعل الأخلاقي حدث تاريخي إنساني خالد ، لا يمكن إنكاره .

4 - سبل تحسين منظومة القيم في الحقول التعليمية:

مهنة التعليم لا تساويها مهنة في الفضل والرفعة ، ووظيفة المعلم من أشرف الوظائف وأعلاها كما أن العلم ليس غاية في ذاته إنما " هو وسيلة للحفاظ على فطرة الله في الإنسان حتى لا تنحرف عن العلم والمعرفة ما هي إلاّ وسيلة لأقدار النَّاس على القيام بحق خلافة في الأرض بإيجابية وفاعلية " ⁽¹⁷⁾ فالمسؤولية عظيمة تقتضي منا البحث عن أسباب تدني القيم التربوية ، والسعي نحو تحسينها فهي تعتبر منظومة أساسية يقوم عليها المجتمع الحضاري ، لذا وجب الاهتمام بالمنهج التربوية المبنية نصوصها التعليمية على العدل بين الأفراد والصلوات الاجتماعية ، قال تعالى : " أهُمْ يُقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون " .⁽¹⁸⁾

فكل فرد فاضل في جهة ، مفضل عليه في جهة أخرى ، وعلى القائمين على هذا القطاع الحساس اختيار النصوص المعبرة عن روح التضامن والمساواة .

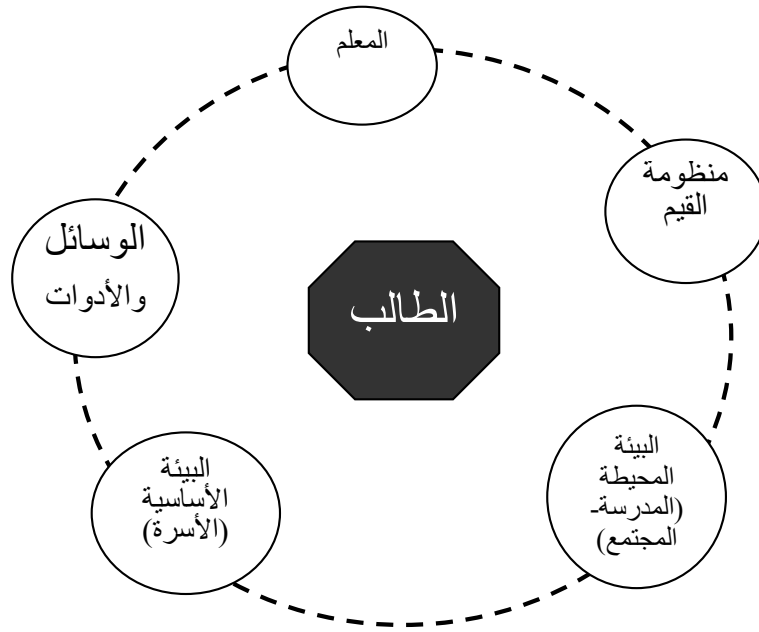
ويمكن القول أنّ غياب المناهج التربوية القائمة الشعائر الدينية في معظم أقطار العالم العربي هو من أهم أسباب البلاء والتخلف نعاني منه اليوم .⁽¹⁹⁾

ومن واجب المناهج أن تتعرض لحقيقة المجتمع والحياة، والتأكيد على أنّ الحياة ليست قوة مدبرة في ذاتها، إنّما هي خليفة أنشأها الله بقدر، والتأكيد على القيم والمفاهيم الأساسية وأهميتها في بناء الأمة على أساس أنّها ضرورة لنصرة دين الله، وأنّ الجهاد يبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة من أهم ضروريات الحياة القويمة. (20)

ومن أجل تحقيق حياة قيّمة وقويمة، لا بد من القيام بحركات إصلاحية، تمس كل من له علاقة بالمتعلم إذ لا يمكن لهذه القيم أن ترسخ في ذهنه، إذا لم يلتزم الآباء بروح المسؤولية المباشرة في تربية ومتابعة أبنائهم، كما يجب علينا اعتبار المدرسة أخلاقاً يُرتكز فيها على حرية العقل وتكريم المتعلم والمعلم على أساس ذلك، مع وجوب إدانة الفوضى والضياع، وتقسيم الميول والاتجاهات وتوجيهها، وجعل العلم وفلسفة الحياة مرتكزة على قواعد وضوابط صحيحة. (21)

فأصبح من الواجب إعادة النظر في المنهج مع إبراز فضل العلم والعلماء لأتّهم خير الناس «ورثهم تلي رتب النبوة، ومن يكرم العالم فكأنما أكرم سبعين نبياً، ومن أكرم معلماً فكأنما أكرم سبعين شهيداً والمقصود بالعلماء هم العاملون والأبرار المتقون الذين لا يطلبون العلم لمنافع شخصية أو غايات دنيوية». (22)

وما ذكرناه يمكنه تحسين وبكثير منظومة القيم والتي تعتمد أساساً على المعلم والوسائل والأدوات والبيئتين الأساسية والمحيطية، كما يظهره الشكل الآتي: (23)



ويمكن القول أنّ منظومة القيم ليست وحدها هي السبيل لتحقيق عائد تربوي وتعليمي جيّد؛ حيث إنّها أحد عناصر المنظومة التربوية، والذي يضمن تحقيق النجاح التربوي هو تكاتف عناصر العملية التربوية جميعها.

وعموماً التربية في المجال الفردي هي عامل لبناء الإنسان وأداة توجيهه، نحو بلوغه قمة الجمال والكمال وبناء أناس مفكرين ومدبرين، مبتكرين.

كما يمكن التنبيه إلى نسبة القيم الفردية الدخيلة، التي تهدف إلى تهوين الدين وبعثرة القيم الثابتة الروحية والعقلية والدينية (24)، إذ يجب محاربتها والكشف عن دسائسها.

وتجدر الإشارة إلى أهمية قيمة الحوار، والذي يُكسب المتعلم حب الآخرين والتواصل الجيد معهم كما تمنحه القدرة على تطوير، وزيادة معارفه وتنوير أفكاره، كما تمنحه الثقة بالنفس، والقدرة على تحليل القيم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية بشكل دقيق، ويُنبئ مهاراته اللغوية، فالقيمة هي العزم والمحافظة والإصلاح والثبات والاعتدال والاستقامة (25)، ومن هنا يتضح لنا الهدف الأساسي من القيم وهو صناعة المسؤولية بمعنى التكليف لا التّشريف.

فالتربية هي عملية إعداد للحياة عن طريق المشاركة الجماعية، وعلى هذا فلا بد أن نشترط في التغيير الذي تحدثه التربية في الشخصية بأن يكون محققا لما تتفق عليه الجماعة من علم ومعايير، وما تتطلع إليه من آمال وطموحات وهنا تبرز لنا أهمية العقيدة الدينية (26).

فالنصوص التعليمية كلما كانت قريبة من الواقع ومن التعاليم الإسلامية أحس المتعلم بتلك القيم الروحية ويصبح مستعدا للتطبيق والممارسة دون تردد، بل يشعر بشخصيته الحقيقية ولا يمكن له التفكير في أشياء خارجة عن نطاق العادات والتقاليد، والتي ألفها في مجتمعه.

كما يجب التركيز على جانب اللغة باعتبارها مقوم من مقومات الشخصية العربية فالجانب اللغوي أكبر قوة وجدت للاندماج في المجتمع (27)، والحديث عن اللغة يعد منطلق القيمة وعمودها الأساسي لأنها وسيلة تواصل وكشف عن حقيقة المجتمع وانتمائه العربي الأصيل.

إذن لا بد من الرجوع إلى القيم التربوية التي يحملها القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة والتي تقدم الجانب العملي، والمثل الكامل للحكمة، وفيها القدرة الفائقة على التمييز بين الصواب والخطأ (28).

فلقد كانت مناهج الفهم النبوي والتفكير النبوي تجسيدا للسنن والقوانين التي تضمنتها آيات الكتاب المنزل من عند الله عز وجل، والقيمة التربوية لا يمكن تحقيقها بعمل اعتباطي بل يجب وضع قواعد ذات أهداف بيداغوجية، ويقتضي ذلك التدرج في كل ما يناسب عمر المتعلم وتطور خبراته، ونموه العقلي والجسدي وما يتفق مع تصنيف الإسلام مرحلة: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان (29).

ولعل هذا هو الهدف من معالجة موضوع القيم، فالغرض منه بناء أفراد يمثلون في المجتمع مظهرا للقيم المقبولة، دون تعارض رغباتهم مع النوايا السامية للمحيط الاجتماعي من خلال الالتفات إلى الماضي ومعايشة الحاضر والتخطيط للمستقبل.

• خاتمة:

وفي الختام يمكن القول أنّ ممكنات القيم التاريخية والاجتماعية والإنسانية في النصوص التعليمية لها تأثيرها المباشر في شخصية التلميذ، فيصبح قادرا على استنباط الأمور مستقبلا في حياته اليومية ويتحقق له العيش الكريم.

ويبقى على القائمين في هذا القطاع اختيار النصوص اللغوية التي تتماشى مع واقع التلميذ ، والتي لها ارتباط مباشر بالمجتمع؛ فهو جميع الناس و الأفراد المؤثرين في حياة المتعلم بشكل من الأشكال ، وكثير ما يحصل تعليمهم السلبي في إفشال جهود المربين ، فمسألة القيم لها ارتباط وثيق بأفعال الانسان خاصة ظاهرة التقليد الأعمى لبعض السلوكات المشينة كالأنانيات التي لا تسمح بتفاعل المتعلم مع أقرانه ، والعصبية و النظرة الضيقة للمسائل والكسل والدعة كل هذه الأمور لها عقبات في وجه التلميذ والمربي على حدّ السواء ، ليصبح عمل المربي صعب في ظل هذه الأوضاع وإصلاح ذلك يتطلب وقتا وجهودا علمية وتربوية كبيرة .

وأساس هذه الجهود هي مسألة القيم و الاشتغال عليها مستقبلا في محتويات المناهج و الدروس ، انطلاقا من الاسرة لأن الطفل يتأثر بها منذ الولادة ، كتأثره بالجوانب السلبية لدى الأبوين وما يحصل في العائلة من نزاعات واختلافات - مثلما رأينا في نص المفكر الجزائري مالك بن نبي - من سوء تصرفات ، كلّها عقبات وقيم خاطئة لها عواقبها الوخيمة لذا نشدد على دور الأسرة أولا قبل المدرسة ، لما لها من أثر كبير في تربية الطفل ، لتأتي بعدها الحقول التعليمية وما يؤثر فيها من مناهج دراسية وطرائق تدريس ، وتعامل المعلم والمدير والنواحي العاطفية والاجتماعية ، كلّ هذا يعتبر مؤثرا في القيمة التربوية للمتعلم ، وترسم له معالم مستقبلية بحسب نوعية المحتويات و البرامج وليس كونها غثة أو سميكة .

لتبقى مسؤولية القيم التربوية على عاتق الجميع ، فالآباء يتولون مسؤولية مباشرة ، ثم الحكومة والمسؤولين الذين يتولون وظيفة عامّة في تحسين ظروف العمل المادية والمعنوية للمعلم ، قصد إنجاح العملية التعليمية ، وبناء الأخلاق وتصفية القلب والتأكيد على حرية العقل ، وإدانة الفوضى والضياع وتقييم الميول والاتجاهات وتعديد الغرائز والسعي إلى توجيهها على أساس الأهداف الصحيحة .

هذا ولقد توصلت في الأخير بعون الله تعالى إلى جملة من النتائج التالية:

- الحديث عن القيم التربوية له أهمية بالغة وكبيرة ، لأنه حديثاً عن مستقبل أمة .
- أغلب النصوص اللغوية تحمل قيماً تاريخية وإنسانية واجتماعية .
- إنّ القيمة شيء ثمين فمن خلالها نستطيع تكوين شخصية قوية لها شأن في المستقبل .
- النص القصصي أكثر رسوخاً في ذهن المتعلم لما يتوفر عليه من تشويق جذاب وحوار للشخصيات ، فيسهل استخراج القيم الكامنة فيه .
- النصوص الشعرية أكثر تأثيراً من النصوص النثرية ، لاعتماد الأولى على لغة القلب ، والعقل معاً في حين تعتمد الأخيرة على لغة العقل فقط .
- المقال يُسهل استنباط القيم لاحتوائه على عناصره الثلاثة؛ المقدمة وفيها يمهد للموضوع ويوطأ له ، ثم التوسيع وفيه يتم استعراض وتحليل الموضوع ، وأخيرا الخاتمة وفيها يتم ذكر أهم النتائج . كما حدث في نص : في مواجهة الكوارث .

- يلعب صاحب النصّ دورا كبيرا في توصيل المعلومة للمتعلم وترسيخ القيمة التربوية فيه، فالشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في حد ذاته قيمة عظيمة تستوجب من المتلقي الاهتمام والانتباه، بالنظر لتاريخه الحافل بالقيم المختلفة.
- وجوب إعادة النّظر في المنهاج حتى يتم النهوض أكثر بمنظومة القيم، وإعداد حياة الجماعة وتحقيق الأمل والطموحات المحلية والعربية.
- ضرورة الاهتمام باللّغة العربية لأنّها من مقومات الشّخصية والوسيلة التي يعبر من خلالها عن القيم، فهي القناة الناقلة وإهمال الفصحى هي عملية دفن للقيم.
- لا يمكن إنجاح العملية التعليمية التعلّميّة سواء تعلق الأمر بالقيم أو غيرها، إلاّ بتعاون الأسرة والمجتمع.
- وجوب محاربة الأفكار الدخيلة التي يمكنها أن تشتت ذهن المتعلم وتبعده عن القيم الدينية في ظل التطور التكنولوجي، ومجتمع معلوماتي مكهرب وخطير.
- كفاءة الأستاذ حضورها ضروري من أجل تنوير المتعلم، وكشف القيم المشبوهة، ووباء كورونا الأخير أو ما يسمى بـ: covid 19 خير دليل على انعدام القيم الإنسانية في العالم والأهداف السياسية الفاسدة.
- كما يجب تكثيف العمل في مجال التقييم التربوي والاشتغال على مسألة القيم عن طريق رسم سبل جديدة تتعلق بالحواس (المشاهدة) حتى تبقى راسخة في ذهن المتعلم، وتقييم أبعاد الشخصية، من خلال سلوك الفرد وردود أفعاله، ودراسة العادات والميول والصفات الأخلاقية التي تبيّن الجوانب الاجتماعية للشّخصية.
- الضرورة الملحة للتّخطيط الجديد لأنّ الوضع المعيش يقتضي التغيير والتجديد على مستوى المؤسسة التربوية كتجديد دور المعلمين لتكون حصيلة التّجديد بإذن الله تعالى هي بناء أفراد واعين ومسؤولين جيدين، للقيم الأخلاقية حاملون وللشّرّ داحرون.
- التركيز على الأهداف والتقدم بصورة أوسع نحوها، تحقيقا للرغبات المختلفة، كتربية السّلك بالوظائف الاجتماعية والاستفادة من أوقات الفراغ والترفيه.
- وأخيرا إنّ الهدف الأساسي من القيم التّربوية هو صناعة فرد قوي الشّخصية، متعلم عالم مقدم صبور، فعّال للخير، لشّرّ مُزِيل .

● قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم ،مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،1436 هـ
- 1.-الكاظم لوبادي - أسس التربية، تر: عبد، دار النبلاء، بيروت، ط 1، 1991 م.
- 2.-إبراهيم رمضان أسس ومهارات بناء القيم التربوية، د ديب، ط 1، 2006 م.
- 3.-أحمد علي بلحاج العولة والتربية آفاق مستقبلية، دمك، قطر، ط 1، 2011 م .
- 4.-أحمد مذكور مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2001م.
- 5.-الإمام مالك، موطأ، رواية يحيى بن يحيى اللّيثي، دار النّفائس، بيروت لبنان، ط 12، 1994م.
- 6.-بينديكت دوبيسون، باردي، كيف يتعلم الطفل الكلام، تر: محمد الدنيا، منشورات الهيئة العامة، وزارة الثقافة، دمشق 2011 م .
- 7. حسين شنوف كتاب اللّغة العربية السنة الرابعة من التعليم المتوسط، إشراف منشورات الشهاب باتنة الجزائر 2019م

8. -عادل العوّا ، العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1986م.
9. -فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن ط 1 ، 2009 م.
10. -ماجد عرسان الكيلاني - النظرية التربوية الإسلامية ، دار ابن كثير ، دمشق، بيروت، ط.2.1985م
11. -مصطفى الغلاييني جامع الدروس العربية ، دار الكتاب العربي بيروت ، ج 1 و 2 ، 2009 م
12. -المهدي المنجرة ، قيمة القيم ، ط2 . الرباط ، 2007 م.
13. -نادية محمود مصطفى القيم في الظاهرة الاجتماعية، سيف الدين عبد الفتاح، دار البشير للثقافة والعلوم ، ط 1، 2012م.

• الهوامش:

- 1 - ينظر، كتاب اللّغة العربيّة السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط ، إشراف د حسين شنوف ، منشورات الشّهاب ، باتنة الجزائر 2019 ، ص6.
- 2 -كتاب اللّغة العربيّة السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط، نفسه ، ص 10.
- 3 - سورة المائدة ، الآية : 90-91 .
- 4 - ينظر أسس ومهارات بناء القيم التربوية ، د إبراهيم رمضان ديب ، ط 1 ، 2006 م ، ص 8.
- 5 - أسس ومهارات بناء القيم التربوية ، د إبراهيم رمضان، نفسه ص 40
- 6 - كتاب اللّغة العربيّة السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط ، ص 16.
- 7 - كتاب اللّغة العربيّة السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط ، نفسه ، ص 16.
- 8 - جامع الدروس العربيّة ، لمصطفى الغلاييني ، دار الكتاب العربي بيروت ج 1 و 2 ، 2009 م ، ص 592
- 9 - موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى بن يحيى اللّيثي ، دار النّفائس ، بيروت لبنان ، ط. 12 ، 1994 م ص 197.
- 10 - سورة التوبة الآية (60)
- 11 - ينظر قيمة القيم ، المهدي المنجرة ، ط 2 . الرباط ، 2007 م ، ص 96
- 12 - كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الرّابعة متوسّط، ص 50
- 13 - العولمة والتربية آفاق مستقبلية ، أحمد علي بلحاج، دمك ، قطر، ط 1، 2011 م ص 192.
- 14 - كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط ص 56 .
- 15 - العمدة في فلسفة القيم ، د عادل العوّا ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط 1 ، 1986 م.
- 16 - كتاب السّنة الرّابعة من التّعليم المتوسّط، ص62.
- 17 - مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مذكور ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، القاهرة ، 2001 م، ص 110
- 18 - سورة الزخرف الآية 32 .
- 19 - مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، علي أحمد مذكور ، السابق ، 117
- 20 - مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها ، نفسه 12.
- 21 - ينظر أسس التربية ، تر:عبد الكاظم لوبادي ، دار النبلاء ، بيروت ، ط1 ، 1990، ص 106
- 22 - النظرية التربوية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني ، دار ابن كثير ، دمشق، بيروت ، ط.2. 1985 م ، ص 191
- 23 - أسس ومهارات بناء القيم التربوية ص 91 .
- 24 - ينظر الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي ، فؤاد محسن الراوي ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، الأردن ط 1 ، 2009 م ، ص 133.
- 25 - ينظر العمدة في فلسفة القيم ، عادل العوّا ، ص 242.
- 26 - ينظر القيم في الظاهرة الاجتماعية ، نادية محمود مصطفى، سيف الدين عبد الفتاح ، دار البشير للثقافة والعلوم ، ط1 ، 2012 م ص 287 .
- 27 - بنظر كيف يتعلم الطفل الكلام ، بينديكت دوبيسون ، باردي ، تر: محمد الدنيا ، منشورات الهيئة العامّة ، وزارة الثقافة ، دمشق 2011 م ص 205.
- 28 - ينظر النظرية التربوية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني، ص 54
- 29 - ينظر النظرية التربوية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني، نفسه ص 56.

قراءة في الزمن: دلالاته وتقنياته، في رواية " امرأة بلا ملامح " لكamal Berkani.

A reading in time: its significance and techniques, in the novel "A Woman without Features" by Kamal Berkani.

الباحث: عبد العزيز نصرأوي

مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب

معهد اللغة والآداب، جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميله / الجزائر

إيميل الباحث: a.nesraoui@centre-univ-mila.dz

الملخص:

يعدّ الزمن عنصرا فعّالا في استكمال بناء الرواية باعتبارها العالم الذي تتحرّك فيه الشخصيات من الماضي إلى المستقبل وفقا لتسلسل الأحداث، يُعرف بزمن الحكاية، ومن أجل تحديد طبيعة العلاقة بين الأحداث والشخصيات يستخدم الروائيّ تقنيات زمنية مثل: التلخيص، الوقف، الحذف، المشهد، الاسترجاع والاستباق. تظهر في رواية " امرأة بلا ملامح " مفارقات زمنية وذلك بقصد من السارد لأجل تشكيل عناصر فنيّة وجماليّة حيث يتمّ التلاعب بعنصر الزمن في لغة أدبيّة تكشف لنا عن تناقضات في تجربة كلّ شخصيّة وفي طريقة التعبير عن ذاتها.

الكلمات المفتاحية: زمن، دلالة، تقنيات، امرأة بلا ملامح.

Abstract:

Time is an effective element in completing the construction of the novel as the world in which characters move from past to future, according to the sequence of events, known as the time of the story. In order to determine the nature of the relationship between events and characters, the novelist uses time techniques such as Summary, Pause, Ellipsis, Scene, Analepsis, and Prolepsis.

In The Novel of "a Woman Without features", there are temporal paradoxes in order to form artistic and aesthetic elements where the time manipulated in a literary language, revealing contradictions in the experience of each character and in the way of expressing herself.

Keywords: Time, Significance, Techniques, A Woman Without features.

تقديم:

تستمد رواية "امرأة بلا ملامح" تفاصيلها من الواقع، وهي تسجل لمرحلة زمنية وتاريخية تشكل في ذاتها مغامرة في التجريب الروائي برؤية واعية تتقصى بقايا ملامح مشوهة بنظرة متعددة وأوضاع اجتماعية تهاوت معها جدران الإيديولوجية في الجزائر، ليبدأ زمنها التاريخي في الخامس من شهر أكتوبر عام 1988، وهي تنقل في أحداثها وجع الظلم في الوطن والعالم كما تظهر في ملامحها قصة انطفاء حبّ عابر داخل فوضى المدينة، تتقاسمه شخصيات تمّ جمعها عن طريق الصدفة؛ حيث تباينت رؤاهم الفكرية والثقافية في ذلك الفضاء الزمنيّ ممّا تولّد عنه تشكيل مفارقة أدت إلى حلم الانتصار سرعان ما تحوّل إلى موت وفجيرة.

الإشكال المطروح، هل استطاع الروائيّ تحريك الشخصيات وترتيب الأحداث وفق خطية زمنية تجمع بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والمستقبل بطريقة مقنعة؟ وهل تمكّنت صيغ الخطاب المستخدمة من خلق عنصر المفارقة؟ ثمّ ما التقنيات التي توكّأ عليها الروائي بغرض الكشف عن تنوع الخطابات المتفاعلة؟ وبعبارة أخرى: كيف تجسّدت المفارقة الزمنية بدلالاتها الزمنية وتقنياتها في تشكيل بناء ملمح الرواية؟

1- ملخص الرواية:

ينطلق بطل الرواية من مغادرة قريته بعدما توفيت أمه (حورية) حين وضعته فعاش مع جدته (فطوم) التي تزوجت سبع زيجات وأنجبت والده الوحيد بعدما بلعت في مسيرتها كلّ الأزواج، ثمّ ينتقل ليرسم في الجامعة أحلامه رفقة (سمير ومراد) ورابعتهم (هيفاء) في وقت كان الوطن يلفظ أبناءه في الغربية والفاقة والفراع. يتخذ من غرفته فضاء مغلقاً على ذاته، كونها السبيل الوحيد للانكفاء على النفس، غير أنّه يحاول أن يتحرّر من هذا الانغلاق، باسطة امتداده البصري إلى أحياء مدينة (باتنة) أين يفتح له الفضاء المتعدّد بما يشتمل عليه من حركات وعوالم من التناقض والتضاد تجمع بين يوميات شخصيات في شوارع شعبية يسكنها الكادحون وراء الهامش، توازيها أحياء ثرية تلوّنت بالتناقض، وبين غربة وعشق ممنوع تدخل وجوده ووجدانه امرأة تقاسمه التاريخ.

2- مفهوم الزمن الروائي:

يكتسي مفهوم الزمن في بناء هيكل الرواية أهمية بالغة؛ باعتباره أساساً تبني عليه أجزاء الرواية لما فيه من حركة تتداخل فيها الأحداث والشخصيات، لذلك عدّه (رولان بارث) (Roland Barthes) « جزءاً يدخل في تكوين بنية الخطاب ونسقه»¹ وهذا التعريف ينطبق أساساً على الزمن السردّي أو الدلالي، أمّا الزمن الحقيقيّ فهو « وهمّ مرجعيّ واقعيّ»² في حين يرى (ميخائيل باختين) (Mikhaïl Bakhtine) أنّ الزمن يتجاوز الدلالات المرجعية إلى رؤية الروائيّ « من خلال تنوع المضامين وتزامنها والنظر إلى علاقاتها من زاوية واحدة. وأهمّ ما يميّز الرواية عنده هو التجربة والمعرفة والممارسة في الزمن»³ وعلى هذا الأساس، يُجمع الدارسون على اعتبار الرواية « فنّاً زمنياً بالدرجة الأولى، لأنّ العوامل والأعراف الزمنية تؤثر عليها، أكثر من أيّ شيء آخر: فالفعل السردّي هو في الأصل حركة في الزمن، وما الوصف الذي يتخلّل المقاطع السردية إلا استراحات بين الأحداث تقطع المسار الزمنيّ لحظات، إلى حين عودتها»⁴ وهي تبني على ركيزتين أساسيتين: المتن والمبنى؛ فالمتن يتمثّل في « مجموعة الوقائع والأحداث والأفعال المتصلة فيما بينها كما يُفترض أنّها وقعت في نظام تنابعيّ سببيّ (منطقي) وطبيعيّ (كروولوجي)، فهو زمن خطّي يسير وفق الأحداث، بينما المبنى هو الأحداث نفسها لكنّها تُعرض بنظام آخر وطريقة خاصّة تخالف منطق الترتيب التسلسليّ وتكسره»⁵

مثلما يرى (جيرار جينيت) (Gérard Genette) بأن كل حكاية لها نظام زمني مزدوج: « الزمن الأول هو زمن الأحداث كما وقعت بالفعل، والزمن الثاني هو زمن لا يخضع لانتظاميات الخطاب أو القصة، ولهذا يقترح دراستها ضمن ما يُسمّى المفارقات الزمنية.»⁶ لذلك وجب التمييز بين زمن القصة وزمن الحكاية، أو ما يُصطلح عليه بالمفارقة الزمنية كونها « تمثل مختلف أشكال التناظر بين ترتيب القصة، وترتيب الحكاية.»⁷ وهذا البناء يستوجب تواجد زمنيين اثنين هما: زمن القصة وزمن الخطاب، وهو ما « يستلزم مراقبة وتنظيم الأحداث وترتيبها زمنيًا من أجل المقارنة بين تدرج الأحداث في الزمن الطبيعي (زمن الحكاية الأصلي) وتدرجها الفني (زمن القصة المروية).»⁸ لذلك يكتسي مفهوم الزمن أهمية كبيرة في أي عمل روائي؛ لأنه « أول عنصر يستحق الاهتمام (كما أن) طبيعته هي الأكثر فعالية في تشكيل الرواية وبنائها.»⁹ والعلاقة بينهما جدلية، ذلك أن الرواية أو القص بشكل عام، يعدّ « أكثر الفنون التصاقًا بالزمن، فلوانتفى الزمان، انتفى الحكي في الرواية كونها فنًا زمنيًا.»¹⁰ وفي المقابل « لا يمكن أن نلغي الزمن من السرد، فالزمن هو الذي يُوجد السرد؛ وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن.»¹¹

3- تقنيات الزمن الروائي:

قبل استعراض أهم تقنيات الزمن المعتمدة في بناء نسيج النص الروائي تجدر الإشارة إلى أن النظام الزمني في المتن الروائي غالبًا ما يكون ممزوجًا بالزمن السردية المحكي من خلال بؤرة تلتقي فيها الأزمنة والأمكنة: مجتمعة أو متقاطعة مع الاشتغال على آلية التذكر ومعانقة « ذوات الشخصيات عبر الاسترجاع والتضمين واستغلال ذاكرة الشخصيات الروائية، أو ذكريات ثقافية وتاريخية واجتماعية [...] تسعى للتخلص من أوضاع معينة [...] وكأن النص الروائي يؤرخ لذاته ومجمعه.»¹² وهو ما يشكل مفارقة زمنية يستحيل فيها التوازي بين نظام زمن الرواية المتعددة الأبعاد ونظام زمن الخطاب، وهو ما يعني بالضرورة إعادة « مقارنة نظام ترتيب الأحداث الزمنية في الخطاب السردية بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة.»¹³ بوساطة مجموعة من التقنيات غرضها الأساسي التلاعب الفني والجمالي وكذا التنوع في أساليب السرد والإحاطة بتفاصيل الأحداث وتحريك الشخصيات برصد ملامحها وتداخل علاقاتها الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى باستعمال لغة سردية وشاعرية متميزة وهو ما يضيف على فعل الحكي والحبك تماسكًا وترابطًا ينتهي إلى مأساة درامية محكومة بلعبة سردية مفارقة للخطية الزمنية. ومن أهم هذه التقنيات نذكر: التلخيص، الوقف، الحذف، المشهد، الاسترجاع والاستباق.

• أولاً: التلخيص.

التلخيص ميزة من ميزات السرد الروائي وهو تقنية تقوم على « سرد موجز يكون فيه زمن الخطاب أصغر بكثير من زمن الحكاية [...] ويظل ارتباطها بالأحداث الاستراتيجية الماضية أكثر بروزًا من علاقتها بتلخيص الحاضر السردية.»¹⁴ أو هو « المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ.»¹⁵ وتتميز هذه الصيغة بقدرة السارد على تكثيف الأحداث بنظام وتركيز وتجاوز فترات طويلة من حياة الشخصية؛ إذ يقوم على أساس « سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرّض للتفاصيل.»¹⁶ حيث تظهر الأحداث السردية في متن الرواية مختزلة، ومتمركزة حول شخصية (هيفاء) التي تحوّلت بدورها من مجرد خطية في الزمن الماضي إلى بؤرة مركزية كفعل حاضر يشكّل في حد ذاته عملية ذهنية، تواصلية، ومختزلة في ذهن السارد كما في قوله:

« زهرة المدائن المتوحّشة»¹⁷

وقوله:

« يا ركام حكاية، يا كلّ العمر المسلوب»¹⁸

وقوله:

« ولهيفاء فصول ممطرة دوما»¹⁹

وقوله:

« هيفاء كانت امرأة مدينة بأسرها»²⁰

إنّ الاكتفاء بهذه العبارات المختصرة، مثل: (المدائن المتوحّشة، العمر المسلوب، فصول ممطرة، امرأة مدينة) يكشف للقارئ أنّ هناك أحداثا مكثّفة؛ لكنّها تفتقر إلى الوصف الدقيق للوقائع والمجريات وكأنّ السارد انحصر دوره في مجرّد « المرور السريع على فترات زمنيّة، لا يرى [...] أنّها جديرة باهتمام القارئ»²¹ وبذلك تحوّلت العبارات الموجزة إلى عناصر تحفيزيّة تشوّق القارئ إلى معرفة التفاصيل.

• ثانيا: الوقف.

الوقف هو إبطاء حركة السرد وتطوّر الزمن ويعرّف بأنه عبارة عن « توقّفات معيّنة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرة الزمنية ويعطلّ حركتها»²² أي أنّ « زمن السرد أصغر بكثير من زمن الحكاية»²³ وبمعنى آخر: هو تقنيّة تقوم على تعطيل زمن السرد أو إبطاء حركته لإعطاء فرصة للسارد لكي يتوسّع في بعض التفاصيل الجزئيّة، وهذا التوقّف هو « مجرّد توقّف افتراضيّ، واقع بحقّ كلّ من الراوي والقارئ وحدهما، أمّا الشّخصيات [...] فإنّهم ينتظرون، حتّى يتفضّل السرد بالعودة إليهم وإعادتهم للحياة»²⁴ وبذلك يتمّ « تعليق مجرى القصة لفترة قد تطول أو تقصر [...] (وهناك) نوعان من الوقفات: الوقفة التي ترتبط بلحظة معيّنة من القصة [...] وهي تتوافق مع توقّف تأمليّ للبطل نفسه، والوقفة الخارجة عن زمن القصة والتي تشبه إلى حدّ ما محطات استراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه»²⁵ ويظهر ذلك في وصف المواقف أو الأماكن أو الشّخصيات أو التعليق على أفعالها، وتتخذ الوقفة الزمنيّة صبغة ودلالة معيّنة تتداخل فيها الصّور الدّهنية والرمزيّة والتفسيرية والوصفيّة ومن هذه الصّبغات والدلالات نجد:

• صبغة فلسفيّة، كالوقف عند فكرة الموت. كما في قوله:

« أوه، أشعر برغبة سرّيّة فادحة للبكاء، تراني أموت [...] جدّتي (فطوم) كانت دوما تقول: تأتي الموت في زيّ

امرأة حلوة الملامح، ترفل في أثواب بيضاء»²⁶

• صبغة رمزيّة، كالوقف عند دلالة شهر أكتوبر. ويظهر ذلك في قوله:

« وشهر أكتوبر حزين، ترتب، يقولون أنّ الشمس في أصباحه الصّافية أقرب ما تكون إلى الأرض من أيّ شهر

آخر»²⁷

• صبغة تفسيرية، كالوقف عند دلالة المدينة. في قوله:

« (باتنة) امرأة استثنائيّة [...] لؤلؤة في دياجير الظلام [...] كلّ شيء فيها يسرد حكاية.. فصولها ضاربة في القدم

[...] تظلّ باسمه تمّي نفسها بعريس لا يشبه العرسان»²⁸

• صبغة وصفية، كالوقوف عند دلالة القرية. في قوله:

« قريتي ما زالت تحضن في فرحة أكوأها القديمة وفوانيسها العتيقة وكوانين الجمر، ورائحة روث البقر المشوي، وعرق الرجال الكادحين». ²⁹

إنّ تقنية التوقف المتعددة سواء أكانت فلسفية أم رمزية أم تفسيرية أم وصفية تهدف في جوهرها إلى تقريب المكان والأحداث والشخصيات من الواقع؛ لذلك تباينت الأزمنة التي طال فيها البطء أو تضاءل وهو ما جعل اشتغال آليات الإبطاء أو التعطيل حاضرة على مستويي الخطاب والصورة بمجرد توقف وتيرة السرد، وهو ما يبرز فاعلية الشخصيات الساردة وهي تختزل المكان لتلتقي في زمن واحد هو شهر (أكتوبر) وهنا يتخذ المفهوم صوراً ذهنية ساكنة تجمع بين ما هو جمالي وبين ما هو رمزي.

• ثالثاً: الحذف.

الحذف يشير إلى « تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء إليها». ³⁰ حيث يكون « زمن السرد أكبر بكثير من زمن الحكاية». ³¹ وهو « التقنية الزمنية [...] التي تعمل على تسريع حركة السرد». ³² والغاية منه تتبع تلك الثغرات في خطية السرد أو « في التسلسل الزمني أو انحلال للاستمرارية السردية». ³³ وعليه « يكتفي الراوي بإخبارنا أنّ سنوات أو أشهر مرتت، دون أن يحكي عن أمور وقعت في هذه السنوات، أو تلك الأشهر». ³⁴ ومهما تعددت أنواع الحذف، سواء أكان ضمنيًا أم معلنا فإنّ ما يميّز الرواية هو اشتغالها على الحذف الضمني بكثرة؛ كون الحذف المضمري يستدعي قراءات تأويلية تتباين بحسب الخلفية الثقافية، أي أنه « حذف مسكوت عنه في مستوى النصّ، وغير مصرّح به أو بمدّته [...] نكتشفه ونحسّ به من خلال القراءة». ³⁵ وهو ما يستدعي مؤهلات ذوقية لمعرفة الجزء المحذوف وهنا تتكشف لنا جماليات مضمرة يضعها السارد قصدياً في هذه الثغرات ليحصل التفاعل بينه وبين المتلقي، ومن هذه المضمرات نجد:

• لجوء السارد إلى إسقاط أحداث للانتقال إلى أحداث دون تحديد الفترة الزمنية، الدالة على تعاقب الأحداث، وذلك باستعمال ضمائر الغائب. كما في قوله:

« لعنت في سري كلّ سلاطين جاءوا من بعده». ³⁶

• استعمال الظروف. نحو قوله:

« ابتلعت كلّ الرجال الذين تزوجوها علنا قبل أن ينعموا بدفء الأبوة». ³⁷

• الحذف باستعمال القرائن الظرفية، كالليلة والعام والسنة. في قوله:

« بأعوام كثيرة تساقطت تحت أقدامي». ³⁸

وقوله:

« برزت بجلاء بعد سنين من اشتراكية مزيفة». ³⁹

وقوله:

« فمئذ آلاف السنين [...] ونحن محكومون بوباء التدمير والحرائق». ⁴⁰

أما الحذف المعلن فهو يمثل « إعلان الفترة الزمنية المحذوفة على نحو صريح. »⁴¹ ويكون في الغالب مصحوبا « بإشارة محددة أو غير محددة، للفترة التي يقفز عليها. »⁴² أو بنوع من التلميح الذي يساعد على تقدير الفترة المحذوفة، كما في قوله:

« امتدّ العرس سبع ليالٍ مقمرة. »⁴³

وهنا يبدو التلميح المعلن واضحا لأنّ فعل الامتداد يشمل بالضرورة الليل والنهار معا.

• رابعا: المشهد.

المشهد يعني تلك الفترة الزمنية القصيرة التي يمثلها الراوي في مقطع « يتزامن (فيه) الحدث والنص، فنرى الشخصيات وهي تتحرك وتمشي وتكلم وتتصارع وتفكر وتحلم. »⁴⁴ أي أنّ « زمن السرد يساوي زمن الحكاية. »⁴⁵ والمشهد يأتي في تضاعيف السرد وهو يمثل « نقطة التقاء المكان بالزمن، في لحظة متكافئة مضبوطة يسهل قياسها والمقارنة بها. »⁴⁶ وبعبارة أخرى: هو تقنية « يقوم الراوي فيها باختيار المواقف المهمة من الأحداث الروائية وعرضها عرضا مسرحيا مركّزا، تفصيليا ومباشرا أمام عيني القارئ، موهما إيّاه بتوقّف حركة السرد عن النمو. »⁴⁷ وفيه يتوافق زمن القصة مع زمن الحكاية على شكل حوار خارجي أو داخلي. أي أنّ كلّ مشهد « مرهون بالأسئلة ومشحون بالغياب ومهدّد بالعودة إلى الذاكرة. »⁴⁸ لذلك تكمن أهمية المشهد في تحديد الوظيفة « الدرامية في السرد، وقدرته على تكسير رتابة الحكاية بضمير المتكلم أو الغائب. »⁴⁹ وهو ما يُوهم القارئ بتوقّف حركة السرد ويكشف لنا عن مواقف اجتماعية ومشاعر نفسية تقوم بها الشخصيات التي يعرضها الراوي عرضا مباشرا يعبر عن أدق التفاصيل والأحداث. في الحوار الخارجي نجد السارد ينقل الأحداث بحركيّة وفاعليّة لأجل كسر الرتابة السردية وإعطاء الشخصيات فرصة في التعريف بنفسها ومواقفها من الأحداث؛ حيث يتمّ فيه الكلام « بين شخصيتين أو أكثر [...] ويقدم كما هو مفترض أن يكون بدون لاحقات استفهامية. »⁵⁰ مثل قوله:

« إذ ذاك نحن في الحقل الشاسع نرعى البقرات والنعاج قالت بإصرار:

- سأشتري بثمان الشويبات صندوق عرائس.

- إيه جدّتي، هل خبلت؟ لا زلت تنتظرين رجلا يقاسمك السرير كما لو كنت حورية الفردوس الموعود.

تبّا لهذا الجسد الحريق.

حين قهقهت جذبتني من أذني حتى أدمتها.

- لا زلت صبيّة أمّها الوغد والخطّاب كثيرون. »⁵¹

يعرض لنا الراوي حوارا خارجيا داربينه وبين جدّته (فظوم) بغية تحليل موقف اجتماعي يتمثل في إلحاحها على إعادة الزواج حتى بعد وفاة زوجها لما يحقّقه من مكانة اجتماعية واستقرار نفسي؛ ولأجل لذلك استعان بجمل قصيرة معبرة ليطيل بها زمن الحوار منتقيا لها من الألفاظ ما يوحي بالفكرة المقصودة.

أما الحوار الداخلي أو الذاتي فهو وسيلة تُستخدم للكشف عن نفسيّة الشخصيات وعن طبيعتها؛ إذ به يتمّ تحديد موقف كلّ شخصيّة، كما أنّه يجمع بين « التناقضات الفردية وبين التعدّد اللغوي الاجتماعي حيث التناغمات الحوارية تدويّ لا فوق قيم الخطاب الدلالية [...] إنّما تتسرّب إلى طبقاته العميقة. »⁵² ويتربّ عنه تحديد أعماق الذات ومكوناتها. أي أنّ السارد حين يعطّل خاصيّة التداخي الحرّفانّه يخلق جوّا انفعاليا مشحونا بطاقة

تجعل وتيرة تأزم المواقف تتضاعف، وهو الدافع الذي يبقي القارئ مشدودا ومتابعا لمجريات الأحداث المتعاقبة، مثل قوله:

« أحيانا أقول لنفسي :

ما نعدشه، هو العبث بعينه.»⁵³

وقوله:

« قلت ببني وبين نفسي :

أنت رجل سلي لا يطاق.»⁵⁴

يكشف لنا مضمون الحوار الداخلي أنّ للسارد موقفا معيّنا من الحياة ومن ذاته؛ فهي مجرد عبث، وحاكمًا على ذاته بالسلبية والنفور ممّا يؤكّد حضور الشّعور بالإحباط نتيجة الخيبات المتوالية وهو ما يحقّز القارئ إلى أن يتخذ موقفا يواءم جهازه النفسي إمّا بالرفض أو التعاطف مع موقف السارد.

• خامسا: الاسترجاع.

الاسترجاع يعني: أن « يترك الراوي مستوى القصة الأول، ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويروها في لحظة لاحقة لحدوثها.»⁵⁵ وهو شكل من أشكال المفارقة الزمنية إن لم نقل « أكثر التقنيات السردية حضورا وتجليًا في النصّ الروائي، فهو ذاكرة النصّ، ومن خلاله يتحايل الراوي على تسلسل الزمن السردية، إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي بجميع مراحلها ويوظفه في الحاضر السردية، فيصبح جزءا لا يتجزأ من نسيجه.»⁵⁶ لذلك ورد في ثنايا الرواية حكايات متعدّدة تضافرت جميعها لاستكمال الحكاية الرئيسية من جهة وملا الفجوات التي يخلفها السرد من جهة أخرى؛ وذلك بتقديم معلومات جديدة تارة بصوت الراوي، وتارة أخرى بأصوات الساردين من خلال ربط الأحداث الماضية بالحاضرة بفضل استعادة كلّ ما كان ماضيا في الحدث المحكي.

1- الاسترجاع بصوت الراوي.

• مقتطف تاريخي عن مدينة (أورجلان). في قوله:

« من قال أنّ (ورقلة) مدينة هادئة، مسالمة، بدويّة السحنة والعينين؟ من ترى سمّاها واحة السلاطين، هذه الجزيرة الخضراء في خضم النار؟ سحقا للنوميين شيدوك ذات زمن عابر، وها أنت تطردينهم واحدا بعد الآخر، كما لو أنّهم أتوك غزاة أول مرة.»⁵⁷

• سرد سيرتي عن شخصيّة الولي (سيدي لخضر). في قوله:

«كانت الحاضرة تُقام سنويا في شهر مارس يسمونها هنا: حضرة سيدي لخضر بودريالة. هو رجل لفظته الطرقات إلى هذا القفر، انكفأ على نفسه لا يكلم أحدا، وفي لحظة ما قرّر أن يتخذ من خيمته جامعا يأتيه الناس.. لا زالت نسوة القرية يسردنها بشيء من القداسة والعجب، غير أنّ التهرحين أتى جرفه مع الحجارة الكبيرة والأخشاب العملاقة فأعلنت القرية حدادها وتوجت سيدي لخضر وليا إلى الأبد.»⁵⁸

• سرد تاريخي وحواري عن سيرة (بني هلال). في قوله:

« من قال أنّ (بني هلال) جاءونا فاتحين.. كان الفتح قد استقام، وللدّين الجديد جنود يحرسونه، غير أنّهم جاءونا تسبقهم الأوبئة والحرائق والدّماء المستباحة، شرّدوا الأهالي، نثروهم على قمم الجبال واستولوا على كلّ خصب..»⁵⁹

● سرد أسطوريّ عن شخصية (الجازية). في قوله:

« ولم تكن (الجازية) إلا عملية جنّدها الأهالي كي تشتّت شمل قومها، هم يعون جيدا أنّهم لا يحاربون إلا من أجل امرأة.. وكانت (الجازية) أجمل نساء الهلاليين، أشاعت جسدها لرجال القبيلة.

(ذياب) لم يكن معشوقا أبدا، وما بطولته إلا وهمّ اصطنعتة القبيلة لدرء العار، وحين قبضوا على (الجازية)

متلبّسة بين أحضان رجل بربريّ قتلوه وصنعوا من كبده حساء لذيذا. أعادوها إلى البيت حبسوها شهرا:

قال أبوها بحزم:

- فلتزوّجوها.

أوما أشرف القبيلة برؤوسهم موافقين غير أنّ لا أحد منهم تجرّأ على قبولها في خيمته.

قالوا:

- نزوّجها (ذياب).

(ذياب) كان أهبل القبيلة، وفي سرّه كان يشتهي جسد (الجازية).»⁶⁰

اعتمد الرّوائيّ في استرجاعاته المختلفة على مضامين تاريخيّة وثقافيّة غلب عليها الطّابع الأسطوريّ بأسلوبيّة

قصّ جعلته ينتقل من « رهافة القول السّرديّ [...] إلى معادلة ثقافيّة في آن واحد، يشغل طرفها الأوّل على استدعاء الموروث الشّعبيّ، وتوظيفه بأسلوبيّة فنيّة تقارب الطّرف الثّاني المتلبّس في منطقة الواقع.»⁶¹

2- الاسترجاع بأصوات السّاردين.

أوجد السّارد لشخصيات الرّواية مجالا معقولا لتحكي بنفسها وتقدّم نفسها ووجهة نظرها، مكتفيا بدور

الشّاهد على الأحداث أو المتتبّع لحركات الشّخصيات رغم أنّه عالم بما تُبديه وما تخفيه، مثل:

● رواية (سمير) عن مرحلة طفولته وحياته الشّخصيّة. في قوله:

« لم يكن بوسعي أن أضع ثديين، كان لأمي ثدي وحيد فالآخر قطعته جنديّ فرنسيّ بسكينه ورماه لكلبه. قهقهه

قبل أن يواصل سرده بحسرة وأسى:

برغم كلّ ما قدّمته العائلة لا زلنا نسكن بيتنا من حجر.»⁶²

● سرد (مراد) عن مرحلة شبابه ومغامراته العاطفيّة. في قوله:

« وأضاف يسرد الحكاية وفي عينيه خضرة حقول الرّيتون القصيّة:

- ممتلئة الجسم، خمريّة اللون، عسليّة العينين، حينما رأيتهما اشتبهتاهما. حاولت مرّة، تمنّعت، تلتها محاولات

أخرى، وحين بلغ الإطراء أذنها، تبسّمت تعرّت أمام المرايا ولما أيقنت من صدق الكلام، شرّعت أبواب البيت وثقوب

الجسد، صار البيت قربة ماء، قطرة تطفئ لهب العمق، ويفغر المدى فاه على مدائن من غشاء السّيل.

صمت لحظة يقاوم إغراء الدّمع اللّنج ثمّ أضف بشيء من التّأكيد:

- كنت أستطيع النّيل منها، غير أنّي لم أفعل.»⁶³

● سرد (هيفاء) عن مرحلة عن مرحلة شبابها. في قولها:

« كانوا أربعة، [...] حينما كنت صبيّة مغرورة بارتفاع التّهد، قاومت في البداية غير أنّ قوتهم مكّنتهم من التّيل مّي، ثمّ اختفوا. وما ميّزت غير قهقهتهم، ظلّت ترنّ في أذني أبد العمر، دخلت البلدة مساء ممزّقة الأثواب شعثناء الشّعر، زائغة العينين، لاحقني الأطفال في الممرّات الضّيقة وصاح النّاس مذعورين:
- هيفاء غشّأها التّمّل.

وكان لأبي صوت مثل نعيق الضّفادع وسروال يسع لأكثر من رجل واحد. وعينان صغيرتان حادثان، لم يقل شيئا. أبي كان صامتا، نظر فقط إلى من خلف الأدخنة المتصاعدة، اكتفى بالنّظر. وارتدت أمّي الأثواب السّوداء وركنت إلى الجدار ترقب عتبة الباب. ومتّ في داخلي، متّ في أعين النّاس، فارتميت في التّوبات المباعثة، والأقراص المهذّنة، وها أنت تعيي كإله عتيق أحيل على المتحف، طال انتظارنا له.»⁶⁴

بفضل خاصيّة التّعّدّد الصّوتي وكذا الحيز التّعبيريّ المسموح به يتّضح أنّ الرّوائي لم يهمل عمليّة إدارة اللّعبة السّردية سواء تعلّق الاسترجاع بالسّارد أم بالسّاردين فإنّ إعادة الأحداث بهذا الشّكل يعطي « تفسيراً جديداً في ضوء المواقف المتغيّرة أو لإضفاء معنى جديد مثل الذّكريات؛ (حيث) كلّما تقادمت تغيّرت نظرنا إليها [...] وأنّ الحاضر يضيء عليها ألواناً جديدة وأبعاداً متغيّرة.»⁶⁵

● سادسا: الاستباق.

الاستباق تقنية سرديّة « بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الرّأوي فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقّع حادث ما أو التّكهن بمستقبل إحدى الشّخصيات [...] وقد تأتي على شكل إعلان عمّا ستؤول إليه مصائر الشّخصيات.»⁶⁶ لكن، هذه المعلومات ليست يقينيّة ما لم تتحقّق فعلا حسب الرّؤية الفنيّة للسّارد. أو هو عمليّة استشراف « الأحداث والقفز على حاضر النّص.»⁶⁷ وباجتماع الاستباق مع الاسترجاع تنبثق ثنائيّة قطبيّة متلازمة في المفارقات السّردية باعتباره « حركة سرديّة تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يُذكر مقدّما.»⁶⁸

يغلب على الاستباق في الرّواية إيراد مقاطع متتابعة لمفارقات سرديّة تكشف مدى تلاعب الرّأوي بالنّظام الزّمانيّ بفعل القطع ثمّ العودة إلى الوقائع في تسلسل يواكب الزمن المحكي بتوظيف الضّمائر وتبادل الأدوار « وذلك بسبب الطّابع الاستعاديّ المصرّح به بالذّات، والذي يرخّص للسّارد في تلميحات إلى المستقبل ولا سيّما إلى وضعه الرّاهن، لأنّ هذه التّلميحات تشكّل جزءاً من دوره نوعاً ما.»⁶⁹ ومن جملة التّلميحات التي تمظهرت في الرّواية نجد:

● تلميحا يؤكّد ضرورة الإيمان اليقين بقدم الموت. في قوله:

« قادمة هي تمتطي أنوار مصابيح الأشجار الدرية (كلّ من عليها فان) سجّل: أمنت بالله، أمنت بالرسول! »⁷⁰

● وتلميحا يدلّ على فكرة مفهوم العمر. في قوله:

« ويأتي العمر، كلّ العمر يخاصمنا، يرتدي علامات استفهام، يسألنا عن ما تبقى من لحظة عابرة! وما تبقى

من العمر إلا بعض حكاية! »⁷¹

● وتلميحا يعبر به عن شوقه إلى أمّه (حورية). في قوله:

« الحواري لا يأتين إلا في الموسم! »⁷²

● وتلميحا يدلّ على الخوف من الموت. في قوله:

« يا ويلي أخشى توأبت السفر! »⁷³

● وتلميحا آخر يتحسّر فيه على انقسام الوطن. في قوله:

« وطن ممتدّ من البحر إلى البحر، وخارطة قابلة للإثراء في كلّ لحظة! »⁷⁴

إنّ استعمال الاستباقات والتنويع من التلميحات داخل المتن الروائيّ ليكشفُ بوضوح للقارئ مدى وعي السارد وقدرته على إيهامه بأنّه مجرد شاهد عاجز عن تفسير الحقائق، بدليل أنّه يؤمن بالمصير الرّمزيّ الحتميّ المتمثل في الموت؛ لكنّه في المقابل يخاف الانتقال إليه.

خاتمة:

في ختام دراستنا للزمن من حيث: الدلالة والتقنيّات في المنجر الروائيّ، تمكّنا من التّوصّل لعدّة نتائج نوجزها كما يلي:

- إضفاء الروائيّ "كمال بركاني" على روايته "امرأة بلا ملامح" طابعا واقعيّا تسجيليّا يؤرّخ لتجربة ذاتية جعلت الزمن يندمج بعنصري الواقع والتّخييل، ونتيجة هذا الاندماج تحوّلت المرأة مركزا محوريّا جامعا كلّ الأحداث، فهي الجدة وهي الأمّ وهيفاء والوطن وفلسطين وبغداد، وهو ما يمنح المعنى دلالات مفارقة تنعكس على ملامح الشّخصيات الفاعلة في النصّ.

- تميّز الرواية بلغتي السرد ولغة المحكي جعلها تستدعي توظيف تقنيّات التّليخيص والحذف لخلق مشاهد متباينة تدفع بالشّخصيات إلى نوع من المأساة بلغة اتّسمت بالواقعية كونها تستدعي جوانب تاريخية من جهة، وبشاعرية كونها تمتلك مفردات لغوية فصيحة ترتقي بمجازاتها وأخيلتها من جهة أخرى، وهي تكاد تكون ميزة هامة في لغة السارد والشّخصيات على السواء.

- توظيف تقنيّة الوقف بين المقاطع السردية وذلك بالمزج بين لغتي السرد والوصف والاعتماد على الانتقالات الزمنيّة تارة وعلى تبادل الضّمائر تارة أخرى؛ مكنّ من تقديم مساحة كافية للساردين للتعريف بأنفسهم ورسم ملامحهم وهو ما خلق نوعا من التميّز في سماتهم الشكليّة، وفي طبيعتهم وتفاعلهم وانفعالهم وعلاقتهم فيما بينهم، في حدود ما تسمح به الخطيّة الزمنية التي رسمها السارد في ذهنه مُسبقا.

- استخدام تقنيّتي الحوار الدّاخلي والخارجي كخاصيّة تحفيزية في مقابل السرد لمنع حصول التّداعي الحرّ وهو ما يجعل القارئ واقعا تحت ضغط المثيرات النّفسيّة التي تحدّد طبيعة المواقف الممكنة والنّهيات المتوقّعة، كما أنّ الحوار الدّاخليّ أبان -من وجهة أخرى- عن نفسية السارد ومواقفه تجاه الدّات والآخر والعالم.

- استدعاء التّراث الشّعبيّ العربيّ والمحليّ في عملية الاسترجاع لغرض الرّبط بين نمطين من الزمن: زمن الواقع وزمن الماضي البعيد من أجل خالق لحظة سردية مفارقة تدلّ على فعليّ التّعاقب والاستمرار بدليل تلك الاستباقات والنّهيات الحتمية كفكرة الموت وتمزّق الوطن ومصير الإنسان، وهي قضايا يغلب عليها الطابع الفلسفيّ والرّمزيّ مما يؤكّد حضور الوعي الفنيّ في رؤية العالم وتجسيد حالة الإنسان المحاصر بالعبث والخوف.

وإجمالاً، يمكن القول: إنّ بناء المتن الحكائيّ في رواية " امرأة بلا ملامح" كان مشبّعاً بخطيّة زمنية أكسبته مفارقة وتموّجاً بفعل طبيعة مكوّناته وتضاعف طاقاته الدلاليّة التي سمحت له باختراق اللّحظة الزمنيّة الفارقة بين السّعة والبؤرة بلغة سعت إلى استنطاق المخبوء من خلال تقابل اللّعبة السّردية في إطار حركيّة فاعلة للأحداث، وفي منظومة زمنيّة تعكس المرحلة التّاريخيّة بواقعها الفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ في محاوره استرجاعيّة بين الماضي والحاضر وأخرى استباقية بين الحاضر والمستقبل لتكشف لنا عن تعدّد في لغة الأصوات السّاردة وهو ما يؤكّد فنيّة المبدع في تجربته الإبداعية.

● قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أمنة يوسف: تقنيّات السّرد في النّظرية والتّطبيق، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت-لبنان، ط2، 2015.
- 2- جيرار جينيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط2، 1997.
- 3- جيرالد برانس: المصطلح السّردية، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2003.
- 4- حسن بحراوي: بنية الشّكل الروائيّ، الفضاء-الزّمن-الشّخصية، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت-لبنان، ط1، 1990.
- 5- حميد لحمداني: بنية النّص السّردية من منظور النّقد الأدبيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت-لبنان، ط1، 1991.
- 6- خضر محجز: تقنيّات السّرد الروائيّ، محتوى الشّكل وأنماط الرواية في ثلاثيّة عبد الرّحمان منيف، عطية للنّشر والتّوزيع، غزّة-فلسطين، ط1، 2014.
- 7- سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثيّة نجيب محفوظ، دار التّنوير للطباعة والنّشر، بيروت-لبنان، ط1، 1985.
- 8- صلاح فضل: أساليب السّرد في الرواية العربيّة، دار المدى للثقافة والنّشر، بيروت-لبنان، ط1، 2003.
- 9- عبد الرّحمان غانمي: الخطاب الروائيّ العربيّ، قراءة سوسيولسانيّة، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2013.
- 10- عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السّردية، منشورات اتّحاد كتّاب العرب، دمشق-سورية، ط2، 2008.
- 11- كمال بركاني: امرأة بلا ملامح، منشورات الاختلاف، الجزائر-الجزائر، ط1، 2001.
- 12- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2002.
- 13- محمّد صابر عبيد: تأويل متاهة الحكّي في تمظهرات الشّكل السّردية، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، اللاذقية-سورية، ط1، 2007.
- 14- مها حسن القصرأوى: الزّمن في الرواية العربيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، عمان-الأردن، ط1، 2004.
- 15- ميخائيل باختين: الخطاب الروائيّ، تر: محمّد برّادة، دار الفكر، القاهرة-مصر، ط1، 1987.
- 16- يمني العيد: تقنيّات السّرد الروائيّ في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط3، 2010.

● الهوامش:

- 1 - حسن بحراوي: بنية الشّكل الروائيّ، الفضاء-الزّمن-الشّخصية، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت-لبنان، ط1، 1990، ص111.
- 2 - المرجع نفسه، ص. ن.
- 3 - أمنة يوسف: تقنيّات السّرد في النّظرية والتّطبيق، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت-لبنان، ط2، 2015، ص31.
- 4 - خضر محجز: تقنيّات السّرد الروائيّ، محتوى الشّكل وأنماط الرواية في ثلاثيّة عبد الرّحمان منيف، عطية للنّشر والتّوزيع، غزّة-فلسطين، ط1، 2014، ص172.
- 5 - يمني العيد: تقنيّات السّرد الروائيّ في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط3، 2010، ص19.
- 6 - عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السّردية، منشورات اتّحاد كتّاب العرب، دمشق-سورية، ط2، 2008، ص129.

- 7 - جيرار جنيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط2، 1997، ص47.
- 8 - لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2002، ص56.
- 9 - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1985، ص34.
- 10 - مها حسن القصرأوى: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان-الأردن، ط1، 2004، ص37.
- 11 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء-الزمن-الشخصية، ص117.
- 12 - عبد الرحمان غانعي: الخطاب الروائي العربي، قراءة سوسيولسانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2013، ص299.
- 13 - حميد لحمداني: بنية النصّ السردّي من منظور النّقد الأدبيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت-لبنان، ط1، 1991، ص73.
- 14 - مها حسن القصرأوى: الزمن في الرواية العربية، ص224.
- 15 - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص82.
- 16 - حميد لحمداني: بنية النصّ السردّي من منظور النّقد الأدبيّ، ص76.
- 17 - كمال بركاني: امرأة بلا ملامح، منشورات الاختلاف، الجزائر-الجزائر، ط1، 2001، ص7.
- 18 - الرواية، ص8.
- 19 - الرواية، ص37.
- 20 - الرواية، ص119.
- 21 - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص56.
- 22 - حميد لحمداني: بنية النصّ السردّي من منظور النّقد الأدبيّ، ص76.
- 23 - أمّنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص139.
- 24 - جيرار جنيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وآخرون، ص113.
- 25 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائيّ، الفضاء-الزمن-الشخصية، ص175.
- 26 - الرواية، ص7.
- 27 - الرواية، ص11.
- 28 - الرواية، ص108.
- 29 - الرواية، ص18.
- 30 - حميد لحمداني: بنية النصّ السردّي من منظور النّقد الأدبيّ، ص77.
- 31 - أمّنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص126.
- 32 - المرجع نفسه، صص125، 126.
- 33 - جيرار جنيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وآخرون، ص119.
- 34 - يمني العيد: تقنيات السرد الروائيّ في ضوء المنهج البنويّ، ص82.
- 35 - عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردّي، صص137، 138.
- 36 - الرواية، ص26.
- 37 - الرواية، ص29.
- 38 - الرواية، ص ن.
- 39 - الرواية، ص14.
- 40 - الرواية، ص15.
- 41 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائيّ، الفضاء-الزمن-الشخصية، ص159.
- 42 - المرجع نفسه، ص ن.
- 43 - الرواية، ص15.
- 44 - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص95.
- 45 - أمّنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص132.
- 46 - صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص21.
- 47 - المرجع السابق، ص ن.
- 48 - محمّد صابر عبيد: تأويل متاهة الحكي في تمظهرات الشكل السردّي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سورية، ط1، 2007، ص166.

- 49 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء-الزمن-الشخصية، ص166.
- 50 - جيرالد برانس: المصطلح السردى، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2003، ص59.
- 51 - الرواية، ص30.
- 52 - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد بزادة، دار الفكر، القاهرة-مصر، ط1، 1987، ص57.
- 53 - الرواية، ص9.
- 54 - الرواية، ص68.
- 55 - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص58.
- 56 - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد بزادة، ص192.
- 57 - الرواية، ص19.
- 58 - الرواية، ص33.
- 59 - الرواية، ص43.
- 60 - الرواية، ص44.
- 61 - محمد صابر عبيد: تأويل متاهة الحكى في تمظهرات الشكل السردى، ص193.
- 62 - الرواية، ص44.
- 63 - الرواية، ص50.
- 64 - الرواية، ص61.
- 65 - الرواية، ص89.
- 66 - سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص59.
- 67 - محمد صابر عبيد: تأويل متاهة الحكى في تمظهرات الشكل السردى، ص132.
- 68 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء-الزمن-الشخصية، ص133.
- 69 - جيرار جنيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، ص51.
- 70 - الرواية، ص76.
- 71 - الرواية، ص8.
- 72 - الرواية، ص9.
- 73 - الرواية، ص16.
- 74 - الرواية، ص17.

MAQAMAT

International scientific periodical journal

June 2020

"MAQAMAT" International scientific periodical an Algerian six-monthly, under the supervision of a scientific body of experienced and competent researchers from abroad, and following up by a competent arbitration body that is formed periodically to evaluate research and studies. The journal is specialized in academic studies and research, and the journal is specialized in the field of human, social, literature and languages. The magazine publishes every original work, not part of a published book, and is not quoted, and the research has not been published or published. The magazine aims to publish the original scientific research by researchers, professors and doctoral students in order to disseminate knowledge, to learn about new and serious research, to link communication between researchers and to make available research and studies.

للمراسلة والتواصل:

البريد الإلكتروني: cua.makam@gmail.com

الهاتف: +213699113862

